برنامج الدبلوم

المستوى الأول

الكتاب الثالث

- الحديث
- العقيدة
- الفقه
- صفات الداعية

الحديث

برنامج الدبلوم المستوى الأول


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد

فهذا منهج الحديث المقرَّر لدورات الأئمَّة والخطباء، ويهدف إلى:

١ - التعريف بالسنَّة النبويَّة ومكانتها في الإسلام، وتيسير الوصول إلى مصادرها.

٢- التربية على دوام الصلة بالله.

٣- التأدب بآداب الإسلام الفرديَّة والاجتماعية.

٤- تعزيز مكانة الخلق في وجدان المسلم الجديد.

والمقرر مختار ليناسب الملتحقين بالدورات من حيث المحتوى وسهولة مفرداته، ومن حيث اشتماله على أهمّ ما يحتاج الطالب معرفته في هذه المرحلة من حديث النبيِّ الكريم ﷺ .

وصلى الله وسلَّم على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين



مقدِّمة موجزة حول السنَّة النبويَّة

التعريف بالسنَّة النبويَّة:

السنَّة في اللغة: هي: السيرة والطريقة محمودةً كانت أو مذمومة.

جاء في لسان العرب: (وقد تكرَّر في الحديث ذكر السنة وما تصرف منها، والأصل فيه الطريقة والسيرة)[١].

وفي اصطلاح المحدِّثين: ما أُثر عن النبيِّ ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقيَّة أو سيرة[٢].

فالقول: مثل قوله ﷺ: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ..) الحديث، وقولِه ﷺ: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُو رَدٌّ). وغيرها.. والأحاديث القولية أكثر السنَّة النبويَّة.

---

(١) لسان العرب مادة (سنن) وينظر القاموس المحيط فصل السين باب النون.

(٢) ينظر توجيه النظر إلى أصول الأثر ص٢، والسنة قبل التدوين ص١٦.

والفعل: ما نقله الصحابة ﷺ من أفعاله ﷺ كلها كنقلهم صفة وضوئه، وصلاته، وحجه وغيرها.

والتقرير ما أقرَّه ﷺ من أفعال الصحابة سواء كان بسكوته أو بإظهار استحسان له.

وصفاته الخَلْقيَّة: مثل ما نقلوه من طوله وصفة وجهه ﷺ وغيرها.

وصفاته الخُلُقية: كل ما نقلوه من صفاته وأخلاقه كتواضعه وحلمه وكرمه وبشاشته وغيرها.

ويدخل في سيرته ما روي من أخباره منذ ولادته إلى وفاته ﷺ.

و السنَّة النبويَّة بهذا الاصطلاح: تماثل لفظ (الحديث) عند جمهور أهل العلم.

ولفظ السنَّة: يستعمل اصطلاحاً عند الفقهاء وعلماء أصول الفقه وعند علماء العقيدة.

١-فعند الفقهاء يعنون بالسنَّة: ما يرادف المستحب وهو ما يثاب الشخص على فعله ولا يعاقب على تركه.

٢- وعند علماء الأصول يعنون بها: ما ثبت عن النبيِّ ﷺ من قول أو فعل أو تقرير مما يصلح أن يكون دليلاً شرعيًّا. غير الكتاب والإجماع والقياس.

٣- وعند علماء العقيدة: كل أمر دلَّ عليه الدليل الشرعيُّ سواء من القرآن أو من الحديث أو من قواعد الشريعة. فالسنة عندهم مقابل البدعة.

وسبب الاختلاف في هذه التعريفات أنَّ أهل كلِّ علم نظروا إلى هذه السنَّة بمنظار يختلف عن منظار الآخرين.

فالمحدِّثون نظروا إليها من جهة قائلها وهو الرسول ﷺ.

والفقهاء عرَّفوها باعتبارها حكماً شرعيًّا.

والأصوليُّون عرَّفوها باعتبارها دليلاً شرعيًّا يحتج به.

وعلماء العقيدة عرفوها باعتبارها منهجاً وطريقة، يقابلها البدعة.

أهمية السنَّة ومنزلتها:

السنَّة النبويَّة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بإجماع علماء الأمَّة سلفاً وخلفاً، فهي مكملة للقرآن، ومفصلة لما يحتاج إلى تفصيل، وموضحة ما يحتاج إلى إيضاح، فهي والقرآن مصدران متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر، ولا يتم كمال التشريع إلا بهما، ويمكن أن نذكر -ملخصاً- بعض جوانب أهمية هذا المصدر العظيم:

١- أنَّ السنَّة النبويَّة هي التفسير العملي للقرآن الكريم، والتطبيق الواقعي له، فقد كان النبي ﷺ يقيم حياته على ما ينزل عليه من الله تعالى، فيراه الصحابة رضي الله عنهم فيمتثلون أمره ويقتدون به، وإذا ما احتاجوا إلى بيان شيء بينه لهم. فحياة الرسول ﷺ في جميع جوانبها تطبيق لما جاء في القرآن الكريم.

٢- أنَّ السنَّة النبويَّة هي التي يتم فيها فهم القرآن الكريم واستيعابه

على ما أراد الله تعالى، فهي تفسر مبهمَه، وتفصل مجمله، وتقيد مطلقه، وتخصص عامَّهُ، وتوضح أحكامَه، وتشرح غامضه، وتكمل ما يحتاج إلى تكميل، وهذه أمور واضحة لا تحتاج إلى بيان، فالصلاة -مثلا- لم ترد إلا مجملةً في القرآن الكريم والسنَّة بينت أوقاتها، وأعدادها، وعدد ركعاتها، وفرائضها، ونفلها، وأركانها، وواجباتها.. إلخ.

٣- أنَّ دراسة السنَّة النبويَّة المشرفة وفهمها وتطبيقها من طاعة الله تعالى، التي تضافرت النصوص القرآنية ببيانها، فدراسة السنَّة طاعة لرسول الله ﷺ وطاعة الرسول ﷺ من طاعة الله تعالى، قال سبحانه: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[النساء: ٨٠].

٤ - ومن أهمية السنَّة أن هناك أحكاماً لم ينص عليها في القرآن الكريم، فجاءت السنَّة النبويَّة ببيانها، إذ إن السنة تحكي وقائع النَّاس وما يحدث منهم، فيبين الرسول ﷺ حكم ما وقع وما حدث مثل بيانه لكثير من الأحكام، كأحكام لحوم الحمُر الأهليَّة، وأكل كل ذي ناب من السباع، وبعض أحكام النكاح، وغيرها.

أهميَّة تعلُّم السنَّة النبويَّة وثمرة ذلك:

و لهذه الأهمية السابقة التي يستخلص منها ضرورة تعلُّم السنَّة النبويَّة لمعرفة أحكام الدِّين والدنيا، ولقيام حياة النَّاس على شريعة الله ﷻ، ندب الله ﷻ إلى تعلُّم العلم الشرعيِّ، وكذا رسوله ﷺ.

حيث قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر: ٩].

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة: ١١].

وقال ﷺ: (مَن سلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طريقًا إلى الجنَّةِ)[١].

وقال أيضاً: (إذَا مَاتَ ابنُ آدم انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ)[٢].

و السنَّة النبويَّة من أهمِّ ما يجب حفظه وتعلمه وتطبيقه ففيها يكمل كتاب الله تعالى، ويعمم خاصَّه، ويفسر مجملَه، وبها تعرف تفاصيله ودقائقه.

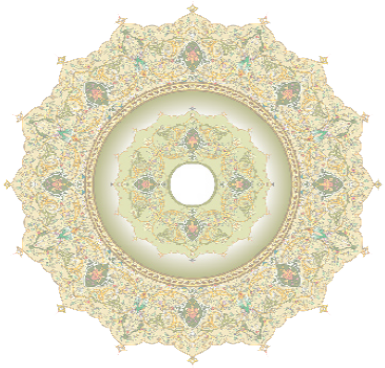
وبمعرفة السنَّة النبويَّة يتم الاقتداء برسول الله ﷺ فهو الأسوة والقدوة، وهي صدرت منه ﷺ وبتعلم السنَّة النبويَّة يتم حفظ هذا الدين نظريًّا وتطبيقيًّا قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر: ٩].

وبها يُعرف الحلال مِن الحرام والصحيح من الخطأ إذ هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي الذي يستنبط منه الحلال والحرام.

وبها يتم التعبّد لله ﷻ حيث لا تكتمل طاعة الله تعالى إلا بطاعة رسوله ﷺ الذي أكمل الله به الدين وأتمَّ علينا به النعمة، فبلغه رسول الله ﷺ إلينا وأشهد الأمَّة على ذلك.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة.
(٢) أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة.

وتعلم السنَّة النبويَّة خير في الدنيا، وثواب مدخر في الآخرة، كيف لا وهي ميراث النبوَّة، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنَّما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر، وتعلُّم السنة رفعة في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة: ١١].





التعريف بأمهات كتب السنَّة النبويَّة

مدخل:

لم تكن كتابة السنَّة النبويَّة ظاهرة موجودة في حياة النبيِّ ﷺ بل وردت نصوص تمنع من كتابتها مثل قوله ﷺ: (من كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه)، وذلك خشية التباس السنَّة واختلاطها بالقرآن الكريم.

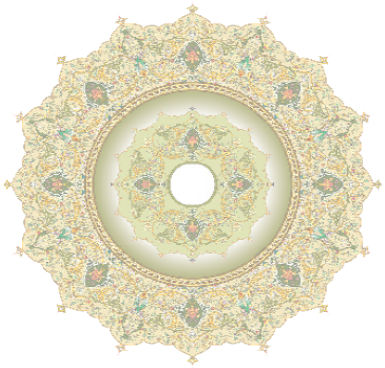
فلما تعلم الصحابة القرآنَ الكريم وكتبوه، أَذِنَ النبي ﷺ لبعض الصحابة بأن يكتبوا شيئاً من الحديث مثل إذنه لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وغيره.

فلما جاء عهد التابعين كتبوا شيئاً من السنة لتذاكرها ومراجعتها وليس لقصد التصنيف.

فلما تقادم العهد، وتكاثر دخول النَّاس في الدين، وانتشر الصحابة في الأقطار، ومات أكثرهم اجتهد الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله فأمر بعض العلماء بأن يكتبوا ما لديهم من سنة رسول الله ﷺ، فكتب عدد منهم،

منهم الإمام محمَّد بن مسلم بن عبيد الله المشهور بالزهري المتوفى سنة ١٢٤هـ فهو أول من دون السنن وجمعها جمعاً رسميًّا.

وبعد ذلك استمرت الكتابة شيئاً فشيئاً حتى جاء القرن الثالث للهجرة فهو القرن الذهبي لتدوين السنة حيث جمعت الأحاديث وصارت في كتب معروفة، ومتداولة إلى يومنا هذا -والحمد لله على فضله-.



ومن أبرز هذه الكتب:

١-كتاب لموطأ:

تأليف الإمام مالك بن أنس اليحصبي إمام دار الهجرة المتوفى سنة (١٧٩هـ).

ألَّف كتابه الموطأ بطلب من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور حيث طلب منه أن يجمع ما ثبت لديه من سنة الرسول ﷺ، ويدونه في كتاب، و يوطئه للناس.

فاجتهد الإمام مالك ﷺ في جمع ما لديه من الحديث حتى قال: «عرضت كتابي هذا على سبعين فقيهاً من فقهاء المدينة فكلُّهم واطأني عليه فسميته الموطَّأ».

ومن اجتهاده ﷺ أنَّه بلغ أكثر من أربعين سنة في تأليفه وجمعه، فقد انتقى الأحاديث، وهذبها ونقحها.

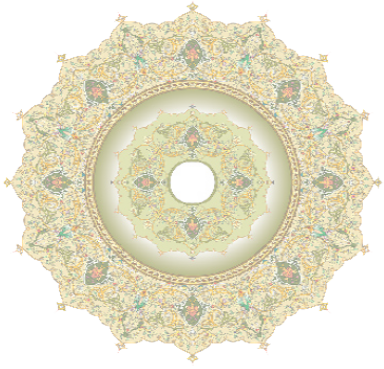
ومن منهجه فيه أنه يذكر المرفوع من حديث رسول الله ﷺ، ثمَّ ما ورد من آثار الصحابة والتابعين في كل بابٍ. وأحياناً يذكر ما عليه العمل، أو ما عليه الإجماع. ونحو ذلك.

ومن اجتهاده أنَّ أغلب ما في الموطَّأ من الحديث صحيح، أما عدد أحاديثه فقد اختلف فيها أهل العلم، وهذا راجع إلى أن الموطأ روي بروايات متعددة، ولكنها كلها متقاربة، يقول ابن حزم ﷺ: (أحصيت ما في الموطأ لمالك، وما في حديث سفيان بن عيينة فوجدت في كل منهما من المسند خمسمائة حديث ونيفاً، وثلاثمائة مرسلا ونيفاً، وفيه نيف وسبعون حديثاً فقد ترك مالك نفسه العمل بها، وفيها أحاديث ضعيفة وعاها جمهور العلماء) .

وقد طبع الكتاب عدة طبعات وهو متداول بين أهل العلم وطلبته وقد شرح عدة شروحات من أبرزها شرح الإمام أبي عمرو يوسف ابن عبد البر الأندلسي ﷺ في كتابه العظيم الذي سماه: (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد).

أما الإمام مالك: فهو إمام دار الهجرة العالم الرباني أبو عبد الله مالك بن أنس اليحصبي، سيد فقهاء الحجاز، ولد سنة« ٩٥ هـ» بالمدينة المنورة، ونشأ بها، وأدرك أفاضل التابعين، وأخذ عنهم العلم والحديث، وهو أول من جمع السنَّة النبويَّة، واشتهر أمره، وصار يرحل إليه، وضرب به المثل حتى قيل: (لا يفتى ومالك في المدينة).

وابتلي في زمانه من قِبَلِ بعض الوشاة الذين سعوا في أمره لدى الخليفة المنصور، ثم لما عرفه استسمحه لما قابله في الحج، ويتمتع الإمام مالك بخلق رفيع وتواضع جمّ، وبذل وقته للعلم والتعليم، والإفتاء والرواية، حتى توفاه الله تعالى بالمدينة المنورة سنة ١٧٩ هـ، فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.



٢-مسند الإمام أحمد:

فهو كتاب عظيم جليل، جمع فيه الإمام أحمد بن حنبل ﷺ أربعين ألف حديث.

وغالب هذه الأحاديث صحيحة وفيها كثير من الحسن وفيه بعض الأحاديث الضعيفة.

ورتبه الإمام أحمد على طريقة المسانيد وهي أن يجمع أحاديث كل صحابي على حِدة، فيجمع مثلاً أحاديث ابن عمر ﷺ بغض النظر عن موضوع الأحاديث، مبتدأً بمسانيد العشرة المبشرين بالجنَّة وهكذا مختتماً بأحاديث النساء.

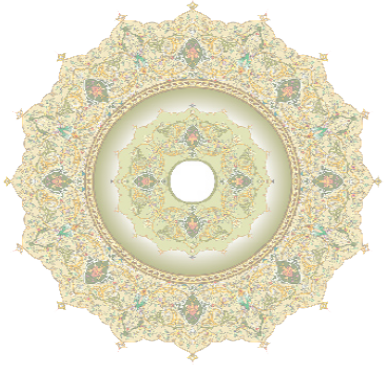
أما الإمام أحمد: فهو إمام أهل السنة في زمانه أبو عبد الله أحمد ابن محمَّد بن حنبل الشيباني، ولد ببغداد سنة ١٦٤، ونشأ بها نشأة أهل العلم، فظهرت عليه علامات النبوغ والنجابة، فحفظ القرآن الكريم صغيرا، وطلب العلم، واهتم بالسنَّة وجمعها، فتلقى العلم عن الأكابر حتى كان شيخه الإمام الشافعي يجله ويقول: (خرجت من بغداد، وما خلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل). وامتُحن في عقيدته وبخاصة في مسألة خَلْقِ القرآن، فجُرَّ وأوذي وضرب، وتتلمذ على يديه عدد من أكابر المحدِّثين كالإمام البخاري ومسلم وأبي داود وغيرهم، وما زال يحدِّث ويعلم حتى توفاه الله في ربيع الأوَّل سنة ٢٤١هـ، ومشى في جنازته مَن لا يحصون عدداً، فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

٣- الجامع الصحيح للبخاري:

هو من أعظم كتب المسلمين ألَّفه قاصداً جمع ما صح من الحديث دون استيعاب للجميع، جمعه خلال (١٦) سنة، وبلغ ما فيه بالمكرر (٧٣٩٧) حديثاً وبدون المكرر (٢٧٦١) حديثاً، ورتَّبه على الكتب وهي على الأبواب وبدأ فيه بحديث النيَّة المشهور، (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)، وجعل في التراجم أحاديث معلقة. وقد اهتمَّ العلماء بهذا الكتاب شرحاً وتعليقاً واختصاراً ونقداً ومن أفضل من قام بذلك الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري.

أما الإمام البخاري: فهو الإمام العام الحافظ أبو عبد الله محمَّد ابن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي مولاهم، ولد في ١٣ شوال عام ١٩٤هـ، وتوفي ليلة عيد الفطر عام ٢٥٦هـ عن ٧٢ سنة.

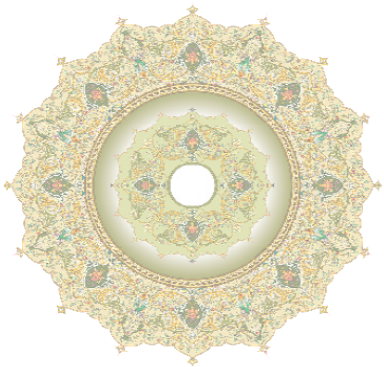
حفظ الحديث وعمره ١٣ سنة، وبدأ التحديث وعمره ١٨ سنة. وامتاز بقوَّة الحفظ والهيبة والفقه، وبرع في العلل والرجال ومعرفة الصحيح من السقيم. وألَّف عشرات الكتب منها: الجامع الصحيح، التاريخ الكبير والأوسط والصغير، الأدب المفرد، العلل، المبسوط، الكنى.. وغيرها.. رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.



٤- المسند الصحيح للإمام مسلم:

هو ثاني كتاب في الصحة بعد جامع البخاري، وقد قدَّمه بعضهم عليه لحسن ترتيبه، حيث رتَّبه على الكتب والأبواب بدون تسمية لها بل سردًا، واجتهد العلماء بعده على وضع العناوين فيه، وجمع مسلم في صحيحه هذا طرق الحديث في موضع واحد غالباً، وربَّما كرره في موضع آخر، وبلغ عدد الأحاديث فيه دون المكرر (٣٠٠٠) حديث تقريباً، ومن أشهر شروحه شرح النووي عليه واختصره جماعة منهم المنذري.

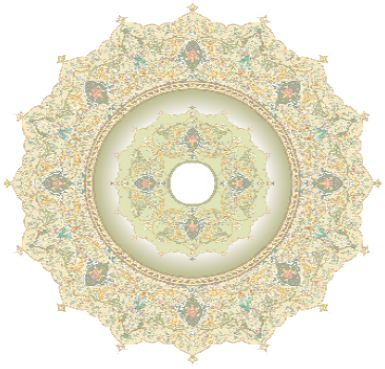
أما الإمام مسلم، فهو الإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ولد سنة ٢٠٤هـ، وتوفي سنة ٢٦١هـ، تتلمذ على البخاري وأحمد وغيرهما وألف المسند الصحيح، والتمييز في علل الحديث، والوحدان، وطبقات التابعين والمخضرمين، والمسند الكبير على أسماء الرجال.. رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.



٥- المجتبى «السنن الصغرى» للنسائي:

هـذا الكتـاب اختصـره مؤلِّفـه مـن سـننه الكبـرى، وذكـر فيـه الصحيـح وبعـض الضعيـف، لـذا سـماه بعـض العلمـاء بصحيـح النسـائي، وقـد رتبـه علـى الكتـب والأبـواب، وذكـر فيـه أكثـر مـن (٥٧٠)حديثًـا بالمكـرر، اهتـم فيـه بأدلـة الفقهـاء وعلـل الأحاديـث واختـلاف الناقليـن للخبـر سـنداً ومتنـا، وللسـيوطي والسـندي تعليقـات يسـيرة نافعـة عليـه، والكتـاب مرتـب علـى الكتـب والأبـواب.

أمـا الإمـام النسـائي، فهـو الحافـظ أبـو عبـد الرحمـن أحمـد بـن شـعيب النسـائي، ولـد سـنة ٢١٥هـ، وتوفـي سـنة ٣٠٣ هـ، أخـذ العلم عـن الحفاظ الكبـار كابـن راهويـه ورحـل إلـى أمصـار الدنيـا لطلـب الحديـث، وبـرع فـي الحديـث والرجـال والعلـل، وألَّـف السـنن الكبـرى، والصغـرى، والضعفـاء والمتروكيـن، ومسـند علـي، ومسـند حديـث مالـك، وغرائـب الزهـري وغيرهـا.. فرحمـه الله رحمـة واسـعة وجـزاه عـن الإسـلام والمسـلمين خيـر الجـزاء.



٦- السنن لأبي داود:

هـذا الكتـاب ألَّفـه أبـو داود قاصـداً فيـه الجمـع بيـن الحديـث والفقـه والعلـل والزيـادات انتخبـه مؤلفـه مـن بيـن (٥٠٠) ألـف حديـث، ويضـم أكثـر مـن (٥٢٠٠) حديـث بالمكـرر، وجعـل مؤلفـه لـه رسـالة لأهـل مكـة ذكـر فيهـا شـرطه وطرقـه، وقـد امتـاز الكتـاب بجمعـه لأحاديـث الأحـكام.

وقـام جماعـة مـن العلمـاء بخدمـة هـذا الكتـاب، فشـرحه الخطابـي فـي كتابـه معالـم السـنن، والعظيـم أبـادي فـي كتابـه عـون المعبـود، والسـهارنفوري فـي كتابـه بـذل المجهـود، واختصـره المنـذري وعلَّـق علـى هـذا المختصـر ابـن قيـم الجوزيـة تعليقـة عظيمـة نفيسـة، ولهـذا الكتـاب روايـات كثيـرة، يوجـد فـي بعضهـا مـا لا يوجـد فـي الآخـر، وقـد رتبـه علـى الكتـب والأبـواب.

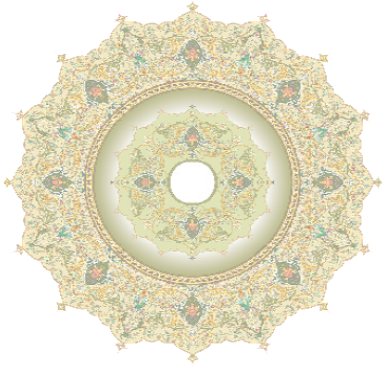
أمـا الإمـام أبـو داود، فهـو الحافـظ أبـو داود سـليمان بـن الأشـعث السجسـتاني، ولـد سـنة ٢٠٢هـ، وتوفـي بالبصـرة سـنة ٢٧٥هـ، سـمع مـن أحمـد بـن حنبـل وغيـره، وكان مـن حفـاظ الحديـث والعلـل مـع النسـك والعفـاف والصـلاح والـورع.

قـال الحربـيُّ: أُلـين لأبـي داود الحديـث كمـا ألـين لـداود عليـه السـلام الحديـد، وقـد ألَّـف ﷺ غيـر السـنن كتـاب المراسـيل.. فرحمـه الله رحمـة واسـعة وجـزاه عـن الإسـلام والمسـلمين خيـر الجـزاء.

٧- الجامع للترمذي:

هـذا مـن أسـهل كتـب السـنن وأقربهـا تنـاولاً للعالـم ولعمـوم النـاس، حيـث رتبـه مؤلفـه علـى الكتـب والأبـواب، ويتبـع كل حديـث - غالبـاً - الحكـم علـى صحتـه ومـا فيـه مـن فقـه وعمـل باختصـار، وذكـر فيـه الصحيـح والحسـن ومـا دونـه، وبيَّـن غالبـاً الضعيـف والواهـي بعبـارة وفقرة معينـة، و لـم يكثـر فيـه مـن التكـرار، وذكـر فيـه (٤٠٠٠) حديـث تقريبـاً، وقـد عـرض كتابـه علـى كثيـر مـن أهـل العلـم فـي زمنـه فاستحسـنوه منـه. وللكتـاب عـدة شـروح، منهـا شـرح لابـن رجـب ولابـن العربـي والعراقـي والمباركفـوري وغيرهـم.

أمـا الإمـام الترمـذي، فهـو الحافظ أبو عيسـى محمَّد بن عيسـى بن سَـورة الترمـذي، ولـد سـنة ٢٠٠هـ، وتوفي سـنة ٢٧٩هـ، وصحب البخـاري ولزمه واسـتفاد منـه، وألَّف الجامـع، والشـمائل، والعلـل الكبير، والصغيـر وغيرها، قـال البخـاري لـه: مـا انتفعـت بـك أكثـر مما انتفعـت بـي.. فرحمـه الله رحمة واسـعة وجـزاه عن الإسـلام والمسـلمين خيـر الجزاء.



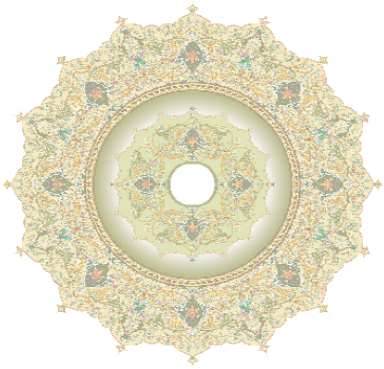
٨- السنن لابن ماجة:

كتاب السنن هذا مكمل لبقيَّة الكتب الستة، وجعل بعض العلماء كتاب الموطأ بدلاً منه، ذكر ابن ماجة في كتابه هذا أكثر من (٤٣٠٠) حديث، مرتبة على الكتب والأبواب، فيها الصحيح والضعيف والواهي، زوائده على الكتب السابقة فيها الضعيف والصحيح.

وللبوصيري كتاب جمع فيه هذه الزوائد ودرسها وحكم عليها وبلغ عددها (١٣٣٩) حديثاً، نصفها صحيح والباقي ضعيف.

أما الإمام ابن ماجة، فهو الحافظ أبو عبد الله محمَّد بن يزيد القزويني الربعي، ولد سنة ٢٠٩ هـ، وتوفي سنة ٢٧٣ هـ ألَّف السنن والتاريخ والتفسير وكان ثقة له معرفة وحفظ ورحلة إلى العلم، رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

❊ ❊ ❊





النيَّة أو الإخلاص

عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)[1].

(١) أخرجه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧) وغيرهما.

سبب الحديث:

قيل في سبب الحديث ما رواه وكيع عن الأعمش عن شقيق أنه قال: خطب أعرابي من الحي امرأة يقال لها أم قيس، فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر، فهاجر فتزوجها فكنا نسميه مهاجر أم قيس.

لكن هذه القصة لم تثبت قال العلامة ابن رجب ﷺ: «وقد اشتهر أن قصة مهاجر أم قيس هي كانت سبب قول النبي ﷺ: (وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا) وذكر ذلك في كتب المتأخرين، ولم أرَ لذلك أصلاً يصح»[1].

أهمية الحديث:

تعددت أقوال السلف ﷺ في بيان أهمية هذا الحديث وعظمته فجعلوه من أصول الدين وأسسه، يقول الإمام عبد الرَّحمن بن مهدي ﷺ: «لو صنفت كتاباً في الأبواب لجعلت حديث عمر بن الخطاب في كل باب»، وروي عن الإمام الشافعي ﷺ أنه قال: «هذا الحديث ثلث العلم، ويدخل في سبعين باباً من أبواب الفقه»، وروي عن الإمام أحمد بن حنبل ﷺ أنه قال: «أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث وذكر منها حديث عمر ﷺ..». ويقول الحافظ ابن رجب ﷺ: «وبه صدَّر البخاري كتابه الصحيح، وأقامه مقام الخطبة له، إشارة إلى أن كل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل لا ثمرة له في الدنيا ولا في الآخرة»[2].

---

(١) جامع العلوم والحكم ص (١١).

(٢) تنظر هذه الأقوال كلها في جامع العلوم والحكم.

توجيهات الحديث:

١ - دلَّ الحديث على أهمية النيَّة في دين الله تعالى، فالأعمال بحسب نيَّة صاحبها مهما اتخذ شكلها ومظهرها، والنية: هي تميز العبادات بعضها عن بعض لتمييز صلاة العصر عن الظهر. ويقصد بها أيضاً تمييز العمل هو لله أو لغيره وهو المقصود بالحديث، فيجب على المسلم أن تكون نيَّته لله عزَّ وجلَّ في جميع أعماله فعلاً أو تركاً.

٢- أن الجزاء لأعمال الإنسان بحسب نيَّته، فإن كانت نية العبد صالحة كان جزاؤه صالحاً، وإن كانت نيته غير صالحة فلا يؤجر على هذا العمل حتى ولو كان عملاً صالحاً. مثال ذلك: الصلاة فإذا صلى المسلم يريد أداء الواجب وطاعة الله عزَّ وجلَّ، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، كان جزاؤه أجراً وثواباً ونال ما يناله المسلم المصلي. ولكن إن صلى لا يريد وجه الله تعالى وإنما رياء للنَّاس، أو خوفاً من والد، أو مجاملة لصديق فهذا لا يؤجر على صلاته وإنَّما يعاقب على هذه النية.

٣- أنَّ النيَّة الحسنة تقلب الأعمال المباحة والعادات إلى عبادات يثاب عليها المؤمن مثل: النوم، والأكل، والشرب، وزيارات الأصدقاء وغيرها فإن نوى بالنوم مثلاً التقوِّي على عبادة الله تعالى كان نومه عبادة يؤجر عليها.

جاء ذلك صريحاً في قوله ﷺ -أثناء تعداده للصدقات-: (وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ) قالوا يا رسول الله ﷺ: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ)[1].

(١) أخرجه مسلم (١٠٠٦).

٤- لعظم أمر هذه النية اهتم بها السلف اهتماما كبيراً، وعظموها في نفوسهم، يقول عمر بن الخطاب ﷺ: «لا عمل لمن لا نيَّة له ولا أجر لمن لا حسبة له»، وروي عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: «لا ينفع قول إلا بعمل، ولا ينفع قول ولا عمل إلا بنية، ولا ينفع قول ولا عمل ولا نية إلا بما وافق السنة». وروي عن يحيى بن كثير -رحمه الله- أنه قال: «تعلَّموا النيَّة فإنها أبلغ من العمل»، وروي عن المبارك رحمه الله أنه قال: «رُبَّ عمل صغير تعظمه النية، ورُبَّ عمل كبير تصغره النيَّة»[١].

وأبلغ من هذه الأقوال قول الرسول ﷺ فيما أخرجه مسلم وغيره: (إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم)[٢].

٥- على المسلم أن يحذر كل الحذر من أن يعمل عملاً صالحاً بنية فاسدة، أو أن يريد به عرضاً من أعراض الدنيا من رياء أو سمعة أو طلب مال، أو وجاهة وقرب من الناس أو غير ذلك، فالأعمال الصالحة حينئذ تنقلب وبالا على صاحبها ولا ينال منها إلا التعب في أدائها والفشل والخسارة في نتيجتها، جاء عن رسول الله ﷺ أن أول من تسعَّر بهم النار ثلاثة وهم قارئ القرآن ومتعلم العلم، والمجاهد، والمنفق ولكنهم بنوايا فاسدة، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾ ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[هود: ١٥ - ١٦].

٦- دلَّ الحديث أيضاً على أن المسلم ينبغي أن يهجر المعاصي والآثام صغيرها وكبيرها إلى الطاعات والأعمال الصالحة حتى ينال

(١) كل هذه الأقوال منقولة من جامع العلوم والحكم ص ١١ - ١٢.
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) وغيره.

ثـواب الهجـرة فـي سـبيل الله، قـال رسـول الله ﷺ: (والمهاجـر مـن هجـر الخطايـا والذنـوب)[1].

٧- مـن سـعادة المـرء فـي هـذه الحيـاة الدنيـا وفـي الآخـرة أن تكـون مقاصـده حسـنة وأعمالـه صالحـة يطلـب فيهـا رضـى الله تعالـى، و متمشـيًّا فيهـا علـى هـدي رسـول الله ﷺ فهمـا شـرطا قبـول العمـل عنـد الله ﷻ، قـال تعالـى: ﴿فَمَـنْ كَانَ يَرْجُـوا لِقَـاءَ رَبِّـهِ فَلْيَعْمَـلْ عَمَـلًا صَالِحًـا وَلا يُـشْرِكْ بِعِبَـادَةِ رَبِّـهِ أَحَدًا﴾[الكهـف: ١١٠].

(١) أخرجه البخاري في جامعه (١٠) وغيره من حديث عبد الله بن عمرو.



لزوم السنَّة والتحذير من البدع

عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُو رَدٌّ)، ورواية: (مَنْ عَمِلَ عملًا ليس عليه أمْرُنا)[1].

(١) أخرجه البخاري (٧و٢٦) ومسلم (١٧١٨).

أهمية الحديث:

قال النووي ﷺ: «هذا الحديث ينبغي حفظه وإشهاده في إبطال المنكرات».

توجيهات الحديث:

١- يفيد الحديث أنَّ دين الله كاملٌ غير قابل للزيادة أو النقصان: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[المائدة: ٣].

فالواجب على المسلم أن يعمل بما جاء من الله عن طريق رسولِه ﷺ غير زائد على ذلك أو ناقص منه.

٢- إنَّ مَن زاد في دين الله تعالى ما ليس منه فهو غير مقبول عند الله تعالى ومردود على صاحبه فمن تعبد الله تعالى بصلاة -مثلاً- لم يشرعها الله سبحانه فهي غير مقبولة، ويأثم صاحبها، ويسمَّى مبتدعاً.

٣- على المسلم أن يقتدي برسول الله ﷺ في جميع أفعاله وسلوكه وتصرفاته.

٤- إن الأصل في العبادات أن تكون توقيفية، بمعنى أن التشريع موقوف على محمَّد ﷺ، مع التسليم بذلك، واعتقاد الخيرية المطلقة في الدنيا والآخرة بهذا العمل قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥].

٥- العبادة لا تكون مقبولة إلا بشرطين:

الأول: إخلاصها لله ﷻ كما سبق بيانه في الحديث الأول (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ).

الثاني: أن تكون على وفق ما جاء عن رسول الله ﷺ كما في هذا الحديث.

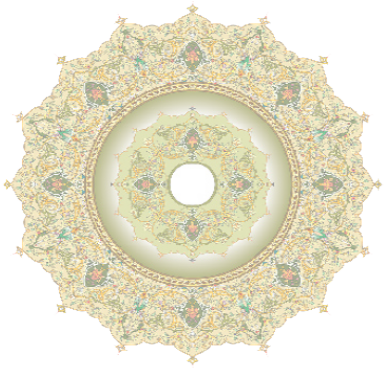
٦- أن من خرج عن منهج أتباع الرسول ﷺ فقد دخل في منهج الابتداع والإحداث في الدين. قال رسول الله ﷺ: (إنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وإنَّ أفضلَ الهديِ هديُ محمدٍ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ)[١].

٧- من الآثار السيئة للبدعة:

أ- اتهام رسول الله ﷺ أنَّه أخفى شيئاً عن النَّاس لم يبلغهم إياه.

ب- أن مَن سار على منهج الابتداع استمرأ هذا المنهج وصار يزيد في دين الله تعالى ما لم يأذن به الله.

ج- أن المبتدع يبذل جهوداً كبيرة في العمل ببدعته، وهذا كله يذهب هباء منثوراً، بل يكون إثماً وزوراً.



(١) أخرجه النسائي في سنه (١٥٧٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.



(فضل الذكر)

عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (أَلَا أُنَبِّئُكُم بِخَيْرِ أعمالِكُم، وأَزْكاها عِندَ مَلِيكِكُم، وأَرفعِها في دَرَجاتِكُم، وخيرٌ لكم من إنْفاقِ الذَّهَب والوَرِقِ، وخيرٌ لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم، فتَضْرِبوا أعناقَهُم، ويَضْرِبوا أعْناقكُم ؟ !، قالوا : بَلَى، قال : ذِكْرُ اللهِ)[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ علَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ في المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ)[2].

وعن ألي هريرة ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: (لأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ ممَّا طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ)[3].

(١) أخرجه البخاري (٢٩٨٩) ومسلم (١٠٠٩).
(٢) أخرجه البخاري (٧٥٦٣) ومسلم (٢٦٩٤).
(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٥).

أهمية هذه الأحاديث:

ترجع أهمية هذه الأحاديث لأهمية موضوعها الذي تتحدث عنه، وهو ذكر الله ﷻ، فكل فرد بحاجة إليه حاجة ماسة كحاجته إلى الطعام والشراب.

مسائل الأحاديث:

١- الإنسان في هذه الدنيا كعامل في مزرعة يبحث عما يزرعه ويجني ثماره اليانعة عاجلا وآجلا، ومن أفضل ما يزرعه الإنسان في هذه الدنيا ذكر الله سبحانه، ويجعله يعيش في نعيمه جلَّ وعلا، ولذلك أمر المسلم والمسلمة أن يكونا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

٢- للذِّكر فوائد عظيمة وفضل جزيل، ذكر الإمام ابن القيم ﷺ في كتابه القيم: (الوابل الصيب من الكلم الطيب) أكثر من سبعين فائدة للذكر، منها:

أ- أنَّه من أفضل الأعمال، وأقربها إلى الله ﷻ، ويفضل على ملاقاة العدو رغم فضائل ذلك، يوضح هذا حديث أبي الدرداء ﷺ السابق، وقال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[العنكبوت: ٤٥].

ب- الراحة والطمأنينة، والأمن والسعادة، والحياة الطيبة ولو لم يكن للذكر إلا هذه الفائدة لكفى به شرفاً وفضلاً، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨].

ج- ذكر الله حرز من الشيطان، وأمان من الأعداء، روى أحمد أن

النبي ﷺ قال: فيما حكاه عن يحيى بن زكريا -عليه السلام- أنَّه قال لبني إسرائيل: (وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا الله فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلاَّ بِذِكْرِ اللَّهِ)[1].

د- يجلب الأرزاق العاجلة والآجلة، ويمد بالذرية، قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[نوح: ١٠ - ١٢].

٣- ذكر في حديث أبي هريرة ﷺ: (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ علَى اللِّسَانِ..) الحديث. نوع من أفضل الأذكار التي ذكرها مطلقاً يكون في جميع أحوال الإنسان وظروفه، ومن فضلها: أنَّها سهلة على الإنسان، ويحبها الله ﷻ.

ولذا فقد ورد بشأنها أن مَن قال: سُبْحانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ، في يَومٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطاياهُ، وإنْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ)[2].

٤ - أما الحديث الثالث فقد ذكر ذكراً مطلقاً تظافرت بذكره الأدلة مبينة فضله وعظم شأنه، وبخاصة إذا قاله المسلم بعد الصلاة المفروضة، قال رسول الله ﷺ: للفقراء الذين جاءوا يشتكون إليه بأنه ليس عندهم من الأموال ما يتصدقون ويتبرعون، قال لهم: (أَفلا أُعَلِّمُكُمْ شيئًا تُدْرِكُونَ به مَن سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ به مَن بَعْدَكُمْ؟ وَلَا يَكونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنكُم إلَّا مَن صَنَعَ مِثْلَ ما صَنَعْتُمْ). قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (تسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتَحْمَدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً)[3].

(١) رواه الترمذي برقم (٢٨٦٣) وقال: حسن صحيح.
(٢) جاء ذلك في حديث أبي هريرة رواه البخاري في ١١/ ١٦٨.
(٣) أخرجه البخاري ٢/ ٢٧٠.

٥- ذكر الله ﷻ أنواع منها:

أ- الذكر باللسان، ويشمل ما سبق ذكره من التسبيح والتحميد والتكبير ومثله ما ورد من الأذكار المطلقة والمقيدة، وكذا قراءة القرآن الكريم فهي من أعظم الذكر حيث هو كلام الله تعالى المنزل على محمَّد ﷺ، المتعبد بتلاوته، قال ﷺ: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ «الم» حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ)[1].

ومن الذكر باللسان: الدعاء فهو تقرب إلى الله تعالى بطلب الحاجات الدنيوية والأخرويَّة.

أ- ومن أنواع الذكر: الذكر بالقلب، وذلك بالتفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته العظيمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[آل عمران: ١٩٠ - ١٩٢].

ب- ومن الذكر: عمل الطاعات والقربات المختلفة كالصلاة والصيام والحج وبر الوالدين، وتعلم العلم الشرعي النافع، وتعليمه فكل ذلك ونحوه من الذكر.

٣- أنواع الذكر من حيث وقته:

الذكر بالنسبة للوقت يتنوع إلى أنواع:

أ- ذكر مقيد بوقت وزمن، مثل الأذكار بعد الصلوات، وفي

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٩١٠) وقال: حديث حسن صحيح.

الأسحار، وأول النهار وآخره.

ب- ذكر مقيد بمكان، مثل ذكر لله في عرفة يومَ عرفة.

ج- ذكر مقيد بحال، كحال الحاج والمعتمر والصائم.

د- وذكر مطلق ليس له وقت محدد، وهذا مثل قول: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وكذا: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، التي ليس لهما وقد محدد.

٤- نماذج للأذكار المقيدة:

أ- الذكر بعد الصلاة، وقد سبق المثال عليه.

ب- الذكر في أول النهار وآخره، مثل ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنَّه قال: (مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ)[1].

ج- الذكر عند النَّوم: ما رواه حذيفة وأبو ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا)[2].

د- الذكر عند السفر، ما رواه ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبَّر ثلاثاً، ثم قال: (سُبْحَانَ الذي سَخَّرَ لَنَا هذا وما كُنَّا له مُقرنينَ، وَإِنَّا إلى ربِّنَا لَمُنقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ في سَفَرِنَا هذا البرَّ والتَّقوى، ومِنَ العَمَلِ ما تَرْضى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ علَيْنا سفَرَنَا هذا وَاطْوِ عنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ، وَالخَلِيفَةُ في الأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وعْثَاءِ السَّفَرِ، وكآبَةِ

(١) رواه مسلم (٢٦٩٢).

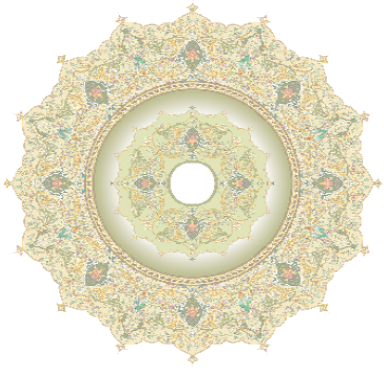
(٢) رواه البخاري ١/ ٩.

المنظَرِ، وَسُوءِ المنْقلَبِ في المالِ والأهلِ) وإذا رجع قالهنَّ وزاد فيهنَّ: (آيبونَ تَائِبونَ عَابِدُون لِرَبِّنَا حَامِدُونَ)[١].

هـ- الذكر عند دخول المسجد والخروج منه: فعن أبي أسيد وأبي حميد قالا: قال رسول الله ﷺ: (إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ)[٢].

و- الذكر عند الخروج من المنزل: عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا خرج من بيته قال: (بسم اللهِ، توكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أوْ أُزلَّ أوْ أَظْلِمَ، أوْ أُظْلَمَ، أوْ أَجْهَلَ، أوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ)[٣].

ز- الذكر عند دخول البيت: عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: (إِذَا وَلَجَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ المولَجِ، وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ، بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا، وَعَلَى اللَّهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِهِ)[٤].



(١) رواه مسلم (١٣٤٢).
(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٧١٣).
(٣) رواه الترمذي برقم (٣٤٢٧) وقال هذا حديث حسن صحيح.
(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٥٠٩٦).



فضل السنن الرواتب وقيام الليل وصلاة الوتر

عن أم حبيبة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مَن صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً في يَومٍ وَلَيْلَةٍ، بُنِيَ له بِهِنَّ بَيْتٌ في الجَنَّةِ قالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: فَما تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ)[١].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (رحِمَ الله رجلًا قامَ منَ اللَّيلِ فصلَّى وأيقظَ امرأتَهُ فصلَّت فإن أبَت نضحَ في وجهِها الماءَ رحِمَ الله امرأةً قامَت منَ اللَّيلِ فَصلَّت وأيقَظَت زَوجَها فإن أبَى نضَحَت في وجهِهِ الماءَ)[٢].

وعن عبد الله بن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: (اجعلوا آخرَ صلاتِكمْ بالليلِ وترًا)[٣].

(١) أخرجه مسلم (٧٨).
(٢) أبو داود (١٣٠٨) وابن ماجة رقم (١٣٣٦).
(٣) أخرجه البخاري (٩٨٨) ومسلم (٧٥١).

أهميَّة هذه الأحاديث:

هـذه الأحاديـث تتحـدث عـن شـيء مـن فضـل الله ﷻ علـى هـذه الأمـة حيـث شـرع لهـا هـذه الأعمـال التـي تزيـد فـي حسـناتها وتنقص من سـيئاتها وتجبـر مـا نقـص مـن فرائضهـا كمـا سـيأتي تفصيله.

مسائل الأحاديث:

١ - خلـق الله ﷻ الإنسـان وكلفـه بتكاليـف شـرعية، وهـذه التكاليـف نوعـان:

الأول: تكاليـف واجبـة يثـاب العبـد إذا فعلهـا وواظـب عليهـا، ويعاقـب إذا تركهـا أو تهـاون بهـا.

الثاني: تكاليـف مسـتحبة نـدب الله ﷻ إلـى فعلهـا وحـث عليهـا، ويثيب فاعلهـا ولكـن لا يعاقـب علـى تركها.

والصلـوات المذكـورة فـي هـذه الأحاديـث مـن النـوع الثانـي التـي يثـاب العبـد علـى فعلهـا ولا يعاقـب علـى تركهـا فضلاً مـن الله تعالـى ومنـة وتكرماً.

٢- ومـن فضـل الله ﷻ أنْ نـوَّع هـذه الصلـوات ليسـتطيع كل إنسـان أن يعمـل بمـا يلائمـه منهـا، والموفَّـق مـن يحـرص عليهـا كلهـا لتـزداد حسـناته وتكفـر سـيئاته.

٣- القسـم الأول مـن هـذه النوافـل مـا دل عليـه الحديـث الأول، وهـو الترغيـب فـي صلـوات الرواتـب، وعددهـا ثنتـا عشـرة ركعـة. وهـي كالآتـي:

ثنتـان قبـل صـلاة الفجـر، وأربـع قبـل الظهـر، وثنتان بعـد الظهـر، وثنتان بعـد المغـرب، وثنتـان بعد العشـاء. فمـن واظب على هـذه الصلـوات بنى الله لـه بيتـاً فـي الجنـة كما هـو نـص الحديث.

والرسول ﷺ كان يواظب على هذه الصلوات في إقامته، أما في سفره فكان يواظب على ركعتي الفجر والوتر كما سيأتي.

٤- قد رغب الرسول ﷺ في النوافل في أحاديث كثيرة منها ما روته عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (رَكعَتَا الْفجْر خير من الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)[١] وعن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مَنْ حَافظَ عَلى أَرْبَعِ ركعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبعٍ بَعْدَهَا، حَرَّمهُ اللَّه عَلَى النَّارَ)[٢].

٥- والقسم الثاني وهو ما دل عليه الحديث الثاني والثالث: وهو الترغيب في قيام الليل وصلاة الوتر.

وصلاة الليل جاء التنويه عنها في كتاب الله تعالى، وذلك لأهميتها وعظم شأنها قال جلَّ وعلا في بيان صفة المؤمنين الصادقين: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[السجدة: ١ - ١٧]. ويقول أيضاً: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الذاريات: ١٧ - ١٨].

ويقول الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة عنه: (وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ)[٣].

والمتأمل في صلاة الليل يجد لها طعماً خاصًّا، حيث هدأة الليل وسكونه وخلو القلب والفكر من مشاغل النهار، ورجوع المسلم إلى نفسه، فهذه عوامل مهمَّة في حضور القلب وخشوعه وقربه من مولاه في هذه الصلوات.

(١) أخرجه مسلم (٥٧٢).
(٢) حسنه الترمذي (٤٢٧) وصححه ابن خزيمة (١١٨٩).
(٣) أخرجه مسلم (١١٦٣).

٦- وصلاة الوتر جاء التأكيد عليها بخاصة، فعن علي ﷺ أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: (يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتِرُوا فَإِنَّ الله وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ)[١]، وروى عن بريدة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الوِترُ حَقٌّ، فمَن لم يُوتِرْ فليسَ مِنَّا قالها ثلاثاً)[٢].

ولهذا ينبغي للمسلم أن يحافظ على هذا الوتر في سفره وحضره كما كان رسول الله يفعله.

وأقل الوتر ركعة واحدة، وأكثره إحدى عشرة ركعة.

ووقته بعد صلاة العشاء إلى دخول وقت صلاة الفجر.

ومن فاته وتره بالليل لعذر فليقضه ما بين طلوع الشمس إلى دخول وقت صلاة الظهر لكنه يشفع الركعة الفرد بركعة أخرى، فإذا كان يوتر بثلاث مثلاً فليجعلها أربعاً.

٧- من فوائد هذه الأحاديث أنه ينبغي الحرص على أداء هذه النوافل والاستمرار عليها، وعدم تركها إلا لعذر، وأن يكون هذا الحرص شاملاً للأهل فيوقظهم ويدربهم على صلاة الليل ليستفيدوا من هذه الأجور العظيمة، وهذا يشعر بضرورة تربية الأسرة على الطاعة والتنافس فيها، فمن فعل ذلك فقد شملته دعوة النبي ﷺ بالرحمة الواردة في الحديث.

(١) أخرجه أبو داود (١٤١٦) وصححه ابن خزيمة (١٠٦٧).
(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٧) وأبو داود (١٤١٩).



فضل الصدقة

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال: رسول الله ﷺ: (مَن تَصَدَّقَ بعَدْلِ تَمْرَةٍ مِن كَسْبٍ طَيِّبٍ، ولَا يَقْبَلُ اللهُ إلَّا الطَّيِّبَ، وإنَّ الله يَتَقَبَّلُهَا بيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ)[1].

وعن أبي هريرة ﷺ عن الرسول ﷺ قال: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ)[2].

(١) أخرجه البخاري (١٤١٠) ومسلم (١٠١٤).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) وصححه الترمذي (٢٠٢٩).

أهمية هذين الحديثين:

هذان حديثان مهمان بأهميَّة موضوعهما وهو الحث على الصدقات المستحبة لما تحتوي عليه من ثمار كثيرة تعود على الفرد المتصدق والمجتمع المتصدق فيه، والمال المتصدق منه.

مسائل الحديث:

١- من فرائض الإسلام وأركانه الزكاة فهي واجبة على من توفر له نصاب زكاة وحال عليه الحول ولا يجوز تركها، وقد قاتل أبو بكر ﷺ مانعي الزكاة عندما توفي رسول الله ﷺ، وهي قرينة الصلاة في كتاب الله من حيث المنزلة والأحكام قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[البقرة: ٤٣]. وقال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[المزمل: ٢٠].

وعليه فيجب على من عنده مال يبلغ نصاباً وحال عليه الحول أن يزكيه.

١ - من فضل الله ﷻ أن فتح أبواب الفضائل لعباده المؤمنين فيتنافسوا في ذلك ويتسابقوا فيها، ومن أهمها الصدقات المستحبة التي جاء ذكرها والحث عليها والترغيب فيها والمسارعة في المشاركة فيها في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ، في الحث عليها تارة وبيان ثمارها وآثارها تارة، وفي منزلة أهلها تارة ثالثة.

ومن ذلكم ما جاء في هذه الأحاديث التي معنا:

أ- مضاعفة أجر هذه الصدقة أضعافاً مضاعفة كما قال ﷺ: (وإنَّ اللهَ

يَتَقَبَّلُهَا بيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ)[1].

ب- البركة في المال وزيادته وعدم نقصانه كما جاء في الحديث: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ).

٢- ومن آثار الصدقة أنها أمان للمال وطهرة له، وتزكية للقلوب قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[التوبة: ١٠٣].

٣- ومن آثارها أنها حجاب عن النار للمتصدق كما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)[2].

٤- ومنها أنها تكفر السيئات وتمحو الذنوب، قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١]. قال رسول الله ﷺ: (وَالصَّدقةُ تُطْفِئُ الخطيئةَ كما يُطْفِئُ الماءُ النَّارَ)[3].

٥- من المهم في أمر الصدقات وكل عبادة أن تخرج بإخلاص لله ﷻ دون أي مقصد من مقاصد الدنيا من الرياء والسمعة وغيرها، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[البينة: ٥]. وقد جاء الوعيد الشديد في الذي يخرج ماله بقصد الرياء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنَّ أوَّلَ الناسِ يُقْضَى يومَ القيامةِ عليه رجلٌ اسْتُشْهِدَ، فأُتِيَ بهِ، فعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فعَرَفَها، قال :

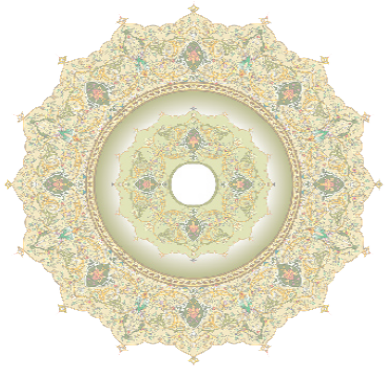
(١) أخرجه البخاري (١٣٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (١٣٥١) ومسلم (١١٠٦) من حديث عدي بن حاتم.
(٣) حسنه الترمذي (٦١٤) وصححه ابن حبان (٥٥٦٧).

فما عمِلْتَ فيها ؟ قال : قاتَلْتُ فِيكَ حتى اسْتُشْهِدْتُ، قال : كذبْتَ، ولكنَّكَ قاتَلْتَ لِيُقالَ جَرِيءٌ، فقدْ قِيلَ، ثمَّ أُمِرَ بِهِ فسُحِبَ على وجْهِهِ حتى أُلْقِيَ في النارِ)[1].

ومما يساعد على الإخلاص الاستمرار في إخراجها، وللاستمرار فضيلة خاصة حيث جاء في الصحيح أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: (ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ فأخْفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ).

٧- ومن أهم ما يجب التنبه له أن تكون من كسب طيب كما هو نص الحديث، بل ينبغي أن تكون من أجود المال وأحبه إليه، قال تعالى مؤكداً على هذا المعنى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢]. وقال سبحانه محذراً من ضده: ﴿وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[البقرة: ٢٦٧].

٨- على المسلم أن يحرص على أداء هذه الفضيلة ولو بشيء يسير؛ فالقليل مع القليل كثير، فلا يستقل شيئاً يخرجه، ولا يتكاثر كثيراً يخرجه فالقليل عند قبوله يكون كثيراً وأجره مضاعفاً.



(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥).



فضل الصيام

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مَن صامَ يَوْمًا في سَبيلِ اللهِ، بَعَّدَ اللهُ وجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا)[1].

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٠) ومسلم (١١٥٢).

مسائل الحديث:

١- من أركان الإسلام العظيمة صيام شهر رمضان المبارك الذي جاء بيان فرضه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٨٣].

٢- هذه العبادة العظيمة لها فضائل كثيرة وآثار جليلة منها ما ذكره الرسول ﷺ في هذا الحديث: وهو البعد عن النار والمراد أن الصيام ستر للعبد الصائم من النار، ويؤيده ما رواه جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (الصِّيامُ جُنَّةٌ وحِصْنٌ حَصينٌ من النَّارِ)[١]، وما رواه الترمذي وغيره بإسناد صحيح عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: (أَلَا أَدُلُّك عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ).

٣- ومن فضائل الصيام رفعة الدرجات ومضاعفة الأجور كما روى الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: (كلُّ عملِ ابنِ آدمَ يُضاعفُ؛ الحسنةُ بعشرِ أمثالِها، إلى سَبْعِمائةِ ضِعفٍ) قال الله تعالى: (إلَّا الصَّوْمَ ؛ فإنَّه لِي، وأنا أجزي به، يَدَعُ شهوتَه وطعامَه من أجلِي...)[٢].

١- ومن فضائل الصوم ما يحصل عليه الصائم من فرح عظيم في الدنيا والآخرة كما ذكر ذلك الرسول ﷺ في الحديث السابق: (لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ). فالفرحة الأولى: على ما أنعم به عليه من إتمام صيام ذلك اليوم، وهذه في

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٩٦) من حديث جابر والبزار (٢٣٢١) من حديث عثمان بن أبي العاص.
(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٤) ومسلم (١٥١١).

الدنيا، والفرحة الثانية: في الآخرة عندما يجد ثواب هذا الصيام.

٢- ومن فضائل الصيام أن رائحة فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، قال رسول الله ﷺ: (وَالّذِى نَفْسُ محمَّد بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطيَبُ عِندَ اللَّهِ مِن رِيحِ المِسكِ)[١].

٣- وفي الصيام تكفير السيئات ومغفرة الذنوب، كما في الحديث المشهور: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)[٢].

٤- ودعوة الصائم مستجابة كما روى أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاثة لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَامُ الْعَادِلُ وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الْغَمَامِ وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ عزَّ وجلَّ وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حين)[٣].

٥- هذه الفضائل العظيمة التي يحصل عليها الصائم المخلص تزداد ثواباً وأجراً إذا كانت في شهر رمضان؛ لما لشهر رمضان من المزايا والخصائص التي خصه الله بها من فرض صيام نهاره، واستحباب قيام ليله، وفيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وفيه أنزل القرآن وغيرها من الخصائص العظيمة.

٦- ينبغي للمسلم ألا يقتصر في صيامه على أداء الفريضة فقط بل يصوم بعض الأيام المستحبة كستة أيام من شوال، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء من محرم ويوم قبله أو بعده، وثلاثة أيام من كل شهر، ويوم الاثنين والخميس، ففيها فضائل عظيمة وثواب جزيل، وتكمل النقص

(١) أخرجه البخاري (١٧٩٥) ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة.
(٢) أخرجه البخاري (٣٨) ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده رقم (٨٠٤٣)، (٩٧٤٣).

الـذي يحصـل فـي صيـام الفريضـة. كمـا وردت بذلـك النصـوص.

٧- ينبغـي للمسـلم الـذي يريـد الحصـول علـى هـذا الأجـر العظيـم أن يراعـي الآداب الشـرعية فـي الصيـام، كإخـلاص النيـة لله تعالـى، وطلـب الأجـر والمثوبـة، كمـا قـال ﷺ: (مَـنْ صَـامَ رَمَضَـانَ إِيمَانًـا وَاحْتِسَـابًا غُفِـرَ لَـهُ مَـا تَقَـدَّمَ مِـنْ ذَنْبِـهِ)[١]، ومنهـا عـدم مقارفـة الآثـام مـن السـباب والشـتائم ونحوهـا مـن اسـتعمال اللسـان فـي غيـر مـا فائـدة فيـه، واسـتغلال الوقـت بمـا يـزود العبـد مـن التقوى كقـراءة كتـاب الله عـزَّ وجـلَّ، والذكـر، والدعاء، ومحاسـبة النفـس علـى تفريطهـا وتقصيرهـا.

(١) حسنه الترمذي (٣٥٩٨) وصححه ابن خزيمة (١٩٠١) وابن حبان.



أهميَّة الأخلاق في الإسلام

عن أنس ﷺ قال: (كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: أحْسَنَ النَّاسِ خُلقًا)[1].

وعن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (مَا مِنْ شَيءٍ أَثْقَلُ في ميزَانِ المُؤمِنِ يَومَ القِيامة مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وإِنَّ اللَّه يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيَّ)[2].

وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إنَّ مِن أحبكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسنَكُم أخلاقًا، وإنَّ مِن أبغضِكُم إليَّ وأبعدِكُم منِّي يومَ القيامةِ الثَّرثارونَ والمتشدِّقونَ والمتفيهِقونَ، قالوا : يا رسولَ اللَّهِ، قد علِمنا الثَّرثارينَ والمتشدِّقينَ فما المتفيهقونَ ؟ قالَ : (المتَكَبِّرونَ)[3].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٨٢ برقم (٦٢٠٣ ومسلم في صحيحه ٣/ ١٦٦٢ برقم (٢١٥٠).

(٢) رواه الترمذي في جامعه ٣٦٩/ ٤ برقم (٢٠٠٣) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه الترمذي في جامعه ٣٢٥/ ٤ برقم (٢٠١٨) وقال: حديث حسن.

أهمية هذه الأحاديث:

تأتي أهمية هذه الأحاديث العظيمة من أهمية موضوعها الذي تتحدث عنه، وهو الأخلاق في الإسلام، فالأمم والمجتمعات والأفراد لا تقوم إلا على الأخلاق، لذلك جاء الاهتمام بما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وفي تطبيقه ﷺ للأخلاق الحسنة خير شاهد على ذلك.

توجيهات الأحاديث:

١- رسول الله ﷺ هو القدوة والأسوة للمسلمين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب: ٢١].

وهو ﷺ أحسن الناس خلقاً كما ذكر ذلك أنس ﷺ، بل قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤].

ويزيد ﷺ في تفصيل خلقه ﷺ بقوله: (خدَمْتُ رسولَ اللهِ ﷺ عشْرَ سِنينَ، فما قال لي: أفٍّ قطُّ» وما قال لي لِشَيءٍ صَنعْتُه: لِمَ صَنعتَه؟ وقال لا والله، ولا مسستُ خَزًّا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألينَ من كفِّ رسولِ اللهِ، ولا شممتُ مِسكًا قط ولا عطرًا كان أطيبَ من عَرَقِ النبيِّ ﷺ)[(١)].

ولا عجب في خلقه ﷺ فقد سئلت عن ذلك عائشة ﷺ فقالت: (كان خُلُقُه القُرآنَ).

١- الخلق هيئة في النفس راسخة تصدر عنها أفعال الإنسان بسهولة ويسر من غير حاجة إلى تكلف أو تفكير أو تأمل، فإن كانت

(١) أخرجه البخاري في ٦/ ٤٢٠ ومسلم في (٢٣٣٠).

النفس سليمة كانت الأفعال كذلك، والعكس أيضا[1].

٢- هذه الأخلاق لها أهمية عظمى في دين الله تعالى، يبلغ بها العبد إلى الدرجات العلى في الجنة، والمكانة المرموقة في الدنيا، جاءت بذلك النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة إجمالاً وتفصيلاً مبينة هذه المكانة العظيمة ومرغبة في التزامها وسلوكها، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[الإسراء: ٥٣]. وقال تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[البقرة: ٢٣٧]. وقال ﷺ: (وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)[2].

٣- للأخلاق الحسنة، والسلوك الحميد، والمعاملة الطيبة فضائل عديدة، وآثار حميدة في الدنيا والآخرة، منها:

أ- أنها من أحسن الأعمال التي يثقل بها ميزان العبد يوم القيامة كما دلَّ على ذلك حديث أنس رضي الله عنه.

ب- أنَّ حسن الخلق من عوامل محبة الله ﷻ لعبده كما دلَّ على ذلك حديث أنس رضي الله عنه أيضاً.

ج- حسن الخلق من العوامل المقربة لرسول الله ﷺ يوم القيامة كما دلَّ على ذلك حديث جابر رضي الله عنه.

د- أنَّ حسن الأخلاق من أفضل الناس، وأحسنهم، قال ﷺ: (إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا)[3].

هـ- حسن الخلق يدخل الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل

(١) ينظر التعريفات للجرجاني بتصرف ص (١٠).
(٢) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في معاشرة الناس، ١٩١٠.
(٣) أخرجه البخاري ١٠/ ٣٧٨.

رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: (تَقْوى اَللَّهِ وَحُسْنُ اَلْخُلُقِ)[1].

و- صاحب الخلق الحسن محبوب عند الله، محبوب عند الناس.

ز- المتصف بالأخلاق الحسنة هو صاحب العزيمة القوية، والتحمل، والرجولة، قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[الشورى: ٤٣].

ه- وبضد تلك الآثار يكون للأخلاق المشينة، والسلوك السيئ فصاحبه مكروه عند الله، مبعد عنه، مبغض عنده، قريب من النار، كما دلت على ذلك الأحاديث السابقة.

٦- على المسلم أن يبحث عن الطرق والوسائل التي يكتسب بها الأخلاق الحسنة لكي يكتسبها، فما كان منها فطريًّا نماه، وما كان غير ذلك اكتسبه، ومن هذه الوسائل:

أ- اتخاذ الرسول ﷺ قدوة وأسوة، ومحاولة التأسي بأفعاله والاهتداء بهديه.

ب- أن يدرب المرء نفسه على التخلق بالأخلاق الفاضلة، فالحلم بالتحلم كما أن العلم بالتعلم.

ج- التعرف على أهمية الأخلاق وعظم آثارها لكي يكتسبها.

د- اتخاذ الجلساء الناصحين المتخلقين بالأخلاق الفاضلة، فالمرء على دين خليله.

هـ- كثرة الارتباط بالله ﷻ.

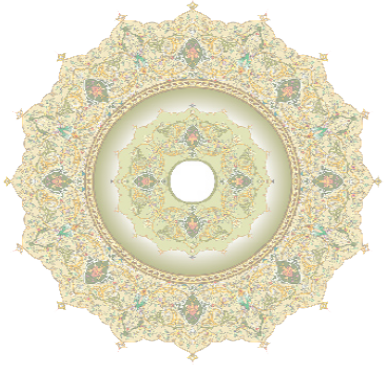
---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٠٠٥) وقال: حديث حسن صحيح.

٧- من الأخلاق الحسنة: الحلم، والتواضع، ولين الجانب، والكلمة الطيبة، والكرم، والعفو والصفح، ونحوها.

٨- من الأخلاق السيئة: الكبر والتعالي، والغرور والعجب، والفحش والكلام البذيء، وسيئ الأقوال، والبخل، وسرعة الغضب، ونحوها.

٩- مما يلحظ في هذه الأحاديث أن مصدر هذه الأخلاق الحسنة والحث عليها ما يترتب عليها من آثار عظيمة في الآخرة، فالأخلاق جزء من العبادة التي يتعبد بها المرء لله ﷻ. وهذا المعنى العظيم لا نجده في أي دين أو مذهب، إذ إن الأخلاق لديهم تنبعث من المصالح الدنيوية التي يرجونها، فإذا ما زالت تلك المصالح زالت تلك الأخلاق.





الموضوع الثامن

من آداب الطعام

عن عمر بن أبي سلمة ﷺ قال: (كُنْتُ غُلَامًا في حَجْرِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فَقالَ لي رَسولُ اللَّهِ ﷺ: يا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وكُلْ بيَمِينِكَ، وكُلْ ممَّا يَلِيكَ فَما زَالَتْ تِلكَ طِعْمَتي بَعْدُ)[1].

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧٦) ومسلم (٢٠٢٢).

أهمية الحديث:

نعم الله تعالى على العباد كثيرة جدًّا ومنها نعمة الطعام والشراب التي بها يقيمون أبدانهم، ويروون ظمأهم ويسدون جوعتهم، فيجب شكر هذه النعمة، وذلك بالتزام الآداب المتعلقة بها، ومنها هذا الحديث.

مسائل الحديث:

١ - الطعام والشراب عنصران أساسيان لقوام الحياة، ولذا فقد نظم الإسلام ما يتعلق بتعامل المسلم معهما موقفاً، وآداباً، وطريقة. ومن المهم أن يفقه المسلم تعامله معهما.

٢-يمكن أن نقسم التعامل مع الطعام والشراب إلى قسمين:

القسم الأول: ما ينبغي الاعتناء به:

أ- أن يعتقد المسلم أن هذا الطعام والشراب من عند الله تعالى فهو نعمة من نعمه العظيمة فيحترمه ويشكر الله عليه.

ب- أن يكون مورده حلالاً طيباً كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إنَّ الله طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّبًا)[1].

ج- أن يسمي مريد الأكل والشرب في بدايتهما كما ثبت ذلك في حديث الباب عن عمر بن أبي سلمة.

د- أن يأكل ما يليه كما ذكر في هذا الحديث: (وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ).

هـ- أن يأكل بيمينه لقوله ﷺ: (وكُلْ بِيَمِينِكَ).

و- إذا سقطت لقمة من الطعام فعليه أن يأخذها ويأكلها، فإن كان

(١) أخرجه مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة.

بهـا أذى أزالـه ونظفهـا وأكلهـا لحديـث أنـس ﷺ أن النبـي ﷺ قـال: (إِذَا سَـقَطَتْ لُقْمَـةُ أَحَدِكُـمْ فَلْيُمِـطْ عَنْهَـا الْأَذَى وَلْيَأْكُلْهَـا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّـيْطَانِ)[١].

ز- أن يلعـق أصابعـه ويلحـس الصحـن، فـإن النبـي ﷺ أمـر بذلـك وقال:(فَإِنَّكُـمْ لا تَـدْرُونَ فـي أَيِّ طَعَامِكُـمُ الْبَرَكَـةُ)[٢].

ح- يسـن لشـارب المـاء أن يتنفـس خـارج الإنـاء ثـلاث مـرات، وذلـك بـأن يشـرب ثـم يبعـد الإنـاء عـن فيـه ويتنفـس وهكـذا ثـلاث مـرات، روى البخـاري، عـن أنـس ﷺ قـال: (كَانَ رَسُـولُ اللَّهِ صَلَّـى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ يَتَنَفَّسُ فِـي الشَّـرَابِ ثَلَاثًـا)[٣].

ي- يسـتحب لـلآكل والشـارب أن يحمـد الله تعالـى ويشـكره بعـد أكلـه وشـربه، وأقـل لفـظ يقولـه: (الحَمْـدُ لِلهِ) ليـرد النعمـة إلـى المنعـم ويشـكره ويثنـي عليـه، قـال رسـول الله ﷺ: (أَنَّ اللهَ لَيَرْضَـى عَـنِ الْعَبْـدِ أَنْ يَـأْكُلَ الْأَكْلَـةَ فَيَحْمَـدَهُ عَلَيْهَـا، أَوْ يَشْـرَبَ الشَّـرْبَةَ فَيَحْمَـدَهُ عَلَيْهَـا)[٤]، ومـن الأدعيـة الحسـنة أن يدعـو بمـا ورد ومـن ذلـك أنَّ النبـي ﷺ كان إذا رفـع مائدتـه قـال: (الحَمْـدُ لِلهِ كَثِيـرًا طَيِّبًـا مُبَـارَكًا فِيـهِ، غيـرَ مَكْفِـيٍّ ولَا مُـوَدَّعٍ ولَا مُسْـتَغْنًى عنْـه، رَبَّنَـا)[٥].

أ- إذا شـرب وأراد أن يعطـي مـن بجانبـه فليعـط مـن كان علـى يمينـه، كمـا فعـل رسـول الله ﷺ[٦].

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٠٧).
(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٠٦).
(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٩٢).
(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٩٥).
(٥) أخرجه البخاري (٩/ ٥٨٠).
(٦) أخرجه البخاري ١٠/ ٧٥.

القسم الثاني: ما ينبغي اجتنابه:

أ- أن لا يكون مورده حراماً فإن لذلك أثراً عليه وعلى أسرته للحديث المذكور سابقاً: (إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا)[١].

ب- أن لا يسرف في تعامله مع الطعام والشراب قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[البقرة: ٦٠].

ج- لا يجوز أن يأكل بشماله لما في ذلك من التشبه بالشيطان كما ثبت عن رسول الله ﷺ قوله: (إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ)[٢].

د- يكره النفخ في الإناء والتنفس فيه، أو أن يأكل متكئا قال رسول الله ﷺ: (لا آكل مُتَّكِئًا)[٣]، وقد نهى النبي ﷺ عن التنفس في الإناء[٤].

هـ- أن لا يعيب الطعام بل إن اشتهاه أكله وإن عافته نفسه تركه دون عيب له. قال أبو هريرة رضي الله عنه: (مَا عَابَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَاماً قَطُّ)[٥].

٣- مما يلحظ في آداب الطعام أنه ينبغي احترامه وترك امتهانه فلا يرمى في المزابل وأماكن القاذورات، أو في الشوارع فإن لذلك أثراً سيئاً في عدم شكر الله عليه، ومن ثم قد يعاقب الإنسان على ذلك في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٥) وقد تقدم قبل قليل.
(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٩٨).
(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٥٤٠).
(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٠٠) وقال: حسن صحيح.
(٥) أخرجه البخاري (٩/ ٥٤٧).



الموضوع التاسع

من آداب اللباس

عن عبد الله ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: (لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ قالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أنْ يَكونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ونَعْلُهُ حَسَنَةً، قالَ: إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النَّاسِ)[1].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: (كُلُوا وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا، مَا لَمْ يُخَالِطُهُ إِسْرَافٌ أَوْ مَخِيلَةٌ)[2].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٩١).

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي والحارث بن أسامة في مسنديهما، وعلقه البخاري في جامعه الصحيح.

أهمية الحديثين:

هذان الحديثان يفصلان بعض أحكام اللباس، وهو مظهر الإنسان، والإسلام كما أراد لأتباعه حسن المخبر ونظافته وسلامته من الآفات فكذلك أراد أن يكون مظهرهم حسناً ذا مواصفات معينة.

توجيهات الحديثين:

١ - دلَّ الحديثان على أهمية التواضع، وهو خلق يجب أن يتحلى به كل مؤمن ومؤمنة، والتواضع يكون في أخلاق الإنسان وسلوكه، ويكون في مظهره ولباسه.

ولا يعني هذا أن يهمل الإنسان لباسه، ويبتعد عن الزينة الشرعية، فهذا مفهوم خاطئ صححه النبي ﷺ عندما التبس الأمر على السائل القائل: (إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ)[1]. وبطر الحق: إنكاره ترفعاً وتجبراً، وغمط الناس: استحقارهم.

٢- ويؤيد ما ذكر قوله ﷻ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[الأعراف: ٢٦]. وكذلك قوله سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[الأعراف: ٣٢].

٣- دلَّ الحديثان أنَّ للإنسان أن يلبس ما شاء من الثياب، وأن يتزين بما شاء ما لم يخالف نصًّا شرعيًّا.

وعلى هذا فالأصل في اللباس والزينة: الإباحة، ولا يحرم شيء منها إلا بنص شرعي.

(١) أخرجه مسلم (٩١).

٤- ومما يدل عليه الحديثان أن من المحظور الشرعي في اللباس ما يلي: ما فيه إسراف كأن يكون ثمنه باهظاً.

ما يدل على الكبر والتعالي والتفاخر كالثوب النازل عن الكعبين بالنسبة للرجال، وما يدعو إلى الشهرة والتميز عن الآخرين.

٥- من اللباس ما هو واجب، وهو الذي تستر به العورة، وعورة الرجل ما بين السرة والركبة، وعورة المرأة تختلف:

ففي الصلاة هي كلها عورة إلا وجهها وكفيها، وإن كانت بحضرة رجال أجانب عنها فتستر حتى وجهها وكفيها.

وعورتها بالنسبة للرجال الأجانب عنها: كلها عورة.

وعورتها عند محارمها من الرجال: جميع جسمها ما عدا ما يظهر منها غالباً كالوجه والرأس والرقبة والكفين والقدمين.

٦- من اللباس الخاص بالمرأة وهو واجب عليها حجابها الشرعي الذي فيه صيانة عرضها وحفظ حيائها وبه استقامة دينها.

ولحجاب المرأة الشرعي شروط منها:

أ- أن يكون ساتراً لها على ما سبق بيانه في حد عورتها.

ب- أن لا يكون زينة في نفسه يلفت نظر الناس إليها.

ج- أن يكون صفيقاً غير شفاف يصف البشرة.

د- أن يكون واسعاً غير ضيق يبين أعضاء المرأة.

هـ- أن يكون خالياً من التشبه بالكافرات.

و- أن لا يكون فيه تشبه بالرِّجال.

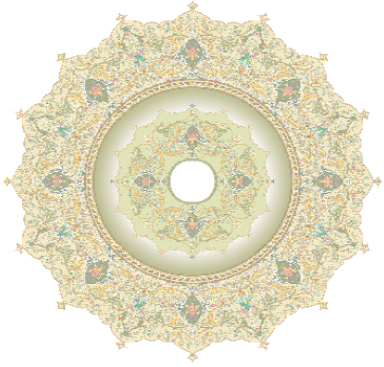
٧- من آداب اللباس ما يلي:

أ- يستحب للمسلم أن يتزين لصلاته لقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[الأعراف: ٣١].

ب- يستحب لبس الأبيض من الثياب للذكور لقوله ﷺ: (الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ البَيَاضَ، فَإِنَّهَا مِن خَيْرِ ثِيابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيها مَوْتَاكُمْ)[1].

ج- يستحب أن يتجمل المسلم للمناسبات الشرعية كالجمعة والعيدين وحضور دروس العلم وزيارته للمسلمين كما دلَّ عليه حديث ابن مسعود.

د- الحذر تمام الحذر من التشبه بالكفار في لباسهم أو شكلهم الخارجي، فالمسلم يجب أن يكون معتزًّا بدينه.



(١) أخرجه أحمد والترمذي في جامعه (٩٩٤) وقال: حسن صحيح.

الموضوع العاشر

من آداب النوم

عن البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ علَى شِقِّكَ الأيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أسْلَمْتُ وجْهِي إلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أمْرِي إلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إلَيْكَ، رَغْبَةً ورَهْبَةً إلَيْكَ، لا مَلْجَأَ ولَا مَنْجَا مِنْكَ إلَّا إلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بكِتَابِكَ الذي أنْزَلْتَ، وبِنَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ، فإنْ مُتَّ مِن لَيْلَتِكَ، فأنْتَ علَى الفِطْرَةِ، واجْعَلْهُنَّ آخِرَ ما تَتَكَلَّمُ بهِ. قالَ: فَرَدَّدْتُهَا علَى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بكِتَابِكَ الذي أنْزَلْتَ، قُلتُ: ورَسولِكَ، قالَ: لَا، ونَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ)[1].

(١) أخرجه البخاري في جامعه (٢٤٧) ومسلم (٢٧١٠).

أهمية الحديث:

من الأمور التي لا غنى للإنسان عنها في هذه الحياة، التي لا تستقيم بدونها حياة المرء، ولا يهنأ فيها إلا به: النوم، ولذا أراد الشارع أن يكون نوم المسلم هنيئا، فدله وأرشده إلى ما يساعده على ذلك، وحينئذ يكون نعمة من نعم الله تعالى على العبد.

توجيهات الحديث:

١- ينبغي أن ينوي الإنسان بنومه الراحة والتقوِّي به على طاعة الله تعالى والاستعانة على قضاء حاجاته الأساسية، وأن يريح بدنه وعقله ليكون أقوى له بهذه الأمور، وحينئذ يؤجر على نيته هذه ويستفيد من نومه.

٢- دلَّ الحديث على أنَّه يستحب للمسلم أن يأتي بالآداب الشرعية عند النوم ومنها الوضوء.

ومن الآداب أيضًا:

أ- أن يضطجع على شقِّه الأيمن كما دلَّ عليه الحديث.

ب- أن يقرأ ما يتيسَّر من الأذكار الشرعيَّة، فإنها حافظة له من الشيطان، ومن الأذكار:

قراءة آية الكرسي، وقراءة سورة الإخلاص والمعوذتين، وقول (اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا)، وكذا: (اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً ورَهْبَةً إِلَيْكَ، لا مَلْجَأَ ولَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الذي أَنْزَلْتَ، وبِنَبِيِّكَ الذي أَرْسَلْتَ).

وكل ذلك ورد بأحاديث في الصحيحين وغيرهما.

ب. إذا استيقظ في أثناء نومه فليذكر الله تعالى.

ج. وإذا رأى في منامه ما يكره، فقد أرشد النبي ﷺ إلى فعل ما يلي:

- أن ينفث عن يساره ثلاثاً.
- أن يستعيذ بالله من الشيطان.
- أن لا يخبر بها أحداً.
- أن يتحول عن جنبه الذي كان عليه.
- أن يقوم يصلي فإنها لا تضره بإذن الله.

٣- يستحب أن ينام مبكراً ويحذر من السهر ليستفيد من يومه و ليلته، ويأخذ جسمه الراحة الكافية، وفيه عون له على القيام لصلاة الفجر وصلاة آخر الليل.

٤- إذا استيقظ من نومه عليه أن يأتي بالأذكار الواردة في ذلك، ومنها قوله: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وإِلَيْهِ النُّشُورُ)[١]. وقوله: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَعَافَانِي فِي جَسَدِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ) ثم يتسوك. هكذا ورد عن النبي ﷺ[٢].

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٢) ومسلم (٢٧١١).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه (٣٤٠١) وقال: «حسن وأصله في الصحيحين بدون هذه الألفاظ.



من آداب المجلس

عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: (لا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَقْعَدِهِ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ)[1].

(١) أخرجه البخاري (٦٢٦٩) ومسلم (٢١٧٧).

أهمية الحديث:

نظم الإسلام شؤون الحياة كلها، صغيرها وكبيرها، وهذا من عظمة هذا الدين، ولذا لا غرابة أن نجد في هذا الحديث وغيره شيئاً من هذه العظمة فحتى المجالس جعل لها الإسلام آداباً تجب مراعاتها فيعطي كل ذي حق حقه في المجلس.

مسائل الحديث:

١- هذا الحديث احتوى على بعض آداب المجلس.

٢- ينظر الإسلام إلى المجلس بأنه مكان التقاء بالآخرين ولذا يجب أن يأخذ حقه من الاحترام والتقدير، والمجالس تختلف منها ما هو محمود ومنها ما هو مذموم، ومنها ما هو مباح.

أ- فالمحمود ما خرج منه الجالس بفائدة علمية أو وعظية، دينية أو دنيوية، وهذا ينبغي الحرص عليه.

ب - والمذموم ما احتوى على معصية من المعاصي كالغيبة والنميمة، أو شرب فيها محرم، ونحو ذلك فهذه يجب اجتنابها.

ج- والمباح وهي ما لم تشتمل على فائدة وخلت من المحرم كالمجالس التي تحتوي على المزاح والكلام المباح، وهذه يحسن عدم الإكثار منها.

٣- حدد الإسلام آداب المجلس وذلك على أنواع:

أ- آداب الدخول والخروج، ومنها: السلام عند دخول المجلس وكذا عند الخروج منه، والاستئذان عند الدخول، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إذا انتهَى أحدُكم إلى مجلِسٍ فليسلِّم، فإن بَدا له

أن يجلِسَ فليجلِس، ثـمَّ إذا قـامَ فليسلِّم فلَيسَـتِ الأولَـى بأحـقّ مـن الآخـرةِ)[1].

ب- آداب الجلـوس: أن يجلـس حيـث ينتهـي المجلـس، ويجلـس حيـث يطلـب منـه صاحـب المـكان الجلـوس، عـن جابـر بـن سـمرة ﷺ قـال كنـا إذا أتينـا رسـول الله ﷺ جلـس أحدنـا حيـث ينتهـي بـه المجلـس[2].

ومنهـا: مـا ذكـر فـي الحديـث المذكـور فـي البـاب، وهـو ألا يقيـم أحـد أحـداً مـن مجلسـه ليجلـس فيـه ولا يفـرق بيـن اثنيـن.

ومنهـا: التوسـع والتفسـح ليجلـس الآخـرون كمـا ذكـر فـي حديـث ابـن عمـر أيضـا.

ومنهـا: أن يلتـزم الأدب فـي مجلسـه فـلا يضيـق علـى جـاره، أو يجلـس علـى هيئـة غيـر مرضيـة.

ج- قـام مـن مجلسـه ثـم رجـع فهـو أحـق بـه كمـا قـال ﷺ: (إِذَا قـَام أَحَدُكُـمْ مـنْ مَجْلـسٍ ثُـمَّ رَجَـعَ إِلَيْـهِ فَهُـوَ أَحَـقُّ بِـه)[3].

د- الحديـث فـي المجلـس، وذلـك بـأن لا يتكلـم فـي شـيء لا يحسـنه، أو يرفـع صوتـه أكثـر مـن المطلـوب، أو يكثـر الخصـام والجـدل، أو يتكلـم بسـوء، أو يشـغل المجلـس بمـا لا فائـدة منـه ونحـو ذلـك.

ومـن آداب الحديـث: ألا يخلـو المجلـس مـن ذكـر الله تعالـى فيحـرص الجالـس علـى إشـاعة هـذا الذكـر.

ومـن آداب الحديـث: حسـن الاسـتفادة مـن المجلـس بـكل مـا ينفـع مـن فوائـد علميـة أو غيرهـا.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٨٧)، وأبو داود (٤/ ٣٨٦) وصححه ابن حبان (٤٩٣).
(٢) أخرجه أبو داود (٥/ ١٦٤) وصححه الترمذي (٢٧٢٥) وابن حبان (٦٤٣٣).
(٣) أخرجه مسلم (٢١٧٩).

وأن يتجنب في المجلس كل ما فيه ضرر كالغيبة والنميمة، والسب والشتم، والتعليق على الآخرين. قال تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[النساء: ١١٤].

٥- عند الانتهاء من المجلس على الجالس أن يحرص على كفارة المجلس، فقد أرشد النبي ﷺ إلى ذلك فيما رواه أبو برزة الأسلمي قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ بِأَخَرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ » . فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى . قَالَ: كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ[1].

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٥٩) والدارمي (٢٦٥٨) وقال ابن القيم عن سنده: حسن



حق الطريق

عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ: (إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ علَى الطُّرُقَاتِ، فَقالوا: ما لَنَا بُدٌّ، إنَّما هي مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فأعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا، قالوا: وَما حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قالَ: غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بالمَعروفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ)[1].

(١) أخرجه البخاري (٢٤٦٥) ومسلم (٢١٢١).

أهمية الحديث:

يهدف الإسلام إلى رقي المجتمع المسلم عن طريق الحث على السمو الأخلاقي، وحذر من كل ما يخدش هذا السمو وشدد في الإنكار عليه، ومن ذلك ما يفعله بعض الناس من إفساد الأماكن العامة كالطرقات والحدائق فساداً حسيًّا أو معنويًّا، فجاءت النصوص الشرعية محذرة من ذلك ومنها هذا الحديث.

مسائل الحديث:

١ - دين الإسلام دين التكامل والشمول فما من شيء من حاجات النفس البشرية إلا وقد لباه بما يصلحها ويقومها، وما من نظام تغلب مصلحته على مفسدته إلا وقد رغب فيه، وفي هذا الحديث يبين رسول الله ﷺ تشريعاً واضحاً في أمر قد يغفل عنه كثير من الناس وهو الطريق وما في حكمه.

٢- للآخرين حق عليك، ورعاية حقوقهم من الآداب العظيمة التي ندب إليها الإسلام، وأوجب مراعاتها، فهم يشاركونك في أحقية الطريق، والشارع، والحديقة، والمساحات الفضائية وغيرها، فالواجب على المسلم مراعاة هذه الحقوق.

٣- الأصل في الطرقات والأفنية العامة أنها ليست للجلوس؛ لأن الجلوس له أضرار كثيرة، منها:

أ- إيذاء الآخرين بالسب والغمز واللمز.

ب- التعرض للفتنة بما يسلط عليه الجالس نظره كالنظر للأجنبيات.

ج- الاطلاع على الأحوال الخاصة للناس.

د- ضياع الأوقات بما لا فائدة منه.

وكل هذه آفات خطيرة تفتك بالقلوب، وتفسد العلاقات الاجتماعية، وتعكر صفو المجتمع وأخوته الإسلامية.

٣- إذا كان لا بد من الجلوس فليعلم الجالس أن للطريق ومثله الحديقة العامة وغيرها حقوقاً كثيرة عرض الرسول ﷺ لبعضها في هذا الحديث وهي:

أ- غض البصر عن النظر إلى المحرمات؛ لأن الطريق يمر به الرجال والنساء قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[النور: ٣٠].

ب- كف الأذى عن المارة، بجميع أنواع الأذى الحسي أو المعنوي فما كان مؤذياً يجب اجتنابه.

ج- رد السلام، وهو من الواجبات المحتمات على أهل الطريق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[النساء: ٨٦]. أما ابتداء السلام فهو سنة مستحبة، والسلام تحية المسلمين.

د- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الطريق عرضة لما يستوجب ذلك، وقد عرفنا أهميته وعظم فضله، وبيان حكمه.

٤- هناك آداب أخرى للطريق وردت في بعض النصوص الأخرى مثل: تشميت العاطس، وإغاثة الملهوف، وإعانة العاجز، وهداية الحيران، ورد الظلم، نظمها الحافظ ابن حجر بقوله:

جمعت آداب من رام الجلوس على ... الطريق من قول خير الخلق إنسانا
أفش السلام و أحسن في الكلام ... وشمت عاطساً، وسلاماً رد إحسانا
في الحمل عاون، ومظلوماً أعن وأغث ... لهفان، أهد سبيلاً واهد حيرانا
بالعرف مر، وانه عن منكر، وكف أذى ... وغض طرفا، وأكثر ذكر مولانا[1]

(١) فتح الباري (١١/ ١١).



من آداب البيوت

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: جاء أبو موسى إلى عمر بن الخطاب فقال: السلام عليكم هذا عبد الله بن قيس فلم يأذن له. فقال: السلام عليكم هذا أبو موسى السلام عليكم هذا الأشعري ثم انصرف. فقال: ردوا علي ردوا علي، فجاء فقال يا أبا موسى ما ردك كنا في شغل. قال سمعت رسول ﷺ يقول: (الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ، وَإِلَّا فَارْجِعْ)[1].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: (يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ، يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ)[2].

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٥) ومسلم (٢١٥٣).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٩٨) وقال: حسن صحيح غريب.

أهمية الحديثين:

الحديثان يتحدثان على أمر في غاية الأهمية، وهي بعض الآداب المتعلقة بالبيوت في حال دخولها وغشيانها إلا بعد استئذان أهلها.

توجيهات الحديثين:

١ - البيت نعمة كبرى لا يعرف قيمتها إلا من يرى الذين يعيشون في الملاجئ أو الشوارع أو الخيام الممزقة أو يرى أولئك المشردين من الحروب والمجاعات وغيرها. فعلى المسلم أن يشكر الله ﷻ بأن أنعم عليه بهذه النعمة: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ [النحل: ٨٠]. فهو يستظل به من الحر ويستدفئ به من القر، ويستتر به عن أعين الناس، ويقضي فيه حاجاته.

١ - اهتم الإسلام بالبيت وأراد أن يكون بيت المسلم مميزاً في مظهره فأرشد إلى عدة أمور منها:

أ- أن يكون مستوراً عن أعين وأنظار الآخرين، لا يستطيع من أراد الاطلاع أن يطلع عليه.

ب- أن تكون أمكنة الرجال فيه مستترة عن أمكنة النساء؛ لأن لكل جنس خصوصياته.

ج- أن تكون المراحيض في دورات المياه إلى غير القبلة احتراماً لها.

د- أن يكون واسعاً قدر الإمكان.

هـ- أن يكون في وسط جيران يعيشون على التمسك بالإسلام وآدابه.

و- أن لا يكون المسجد بعيداً عنه؛ ليكون معيناً لأهله على أداء الصلاة جماعة.

٣- وكما اهتم الإسلام بالبيت شكلا ومظهراً اهتم بتكوينه معنوياً وباطناً، ولذا أرشد إلى عدة أمور منها:

أ- اختيار مربية البيت، أو نقول: اختيار الزوجة الصالحة؛ لأنها شريكة الرجل في كل شأن من شئون هذا البيت ومواصفات صلاح الدين والخلق.

ب- قيام البيت على العلم والتعليم، ولذا بوَّب البخاري ﷺ بقوله: (باب تعليم الرجل أمته وأهله)، ومما يعين على ذلك: الدروس المباشرة، والمكتبة العلمية، والأشرطة النافعة، ونحوها.

ج- قيام البيت على ذكر الله تعالى وتلاوته فهو الحصن الحصين من دخول الشياطين، ومما يذكر هنا ذكر الله عند دخول البيت وعند الخروج منه، وعند الأكل والشرب وعند الانتهاء منهما، وعند النوم والاستيقاظ منه، وعند الجماع، وغير ذلك، وكذا قراءة القرآن في البيت باستمرار وتحفيظ الصغار له.

د- تربية أهل البيت على العبادة والسلوك الحسن والأخلاق الفاضلة ابتداء من تربية الزوجة، ومن ثم تربية الصغار، والمعلم الواضح في هذا قوله ﷺ: (مُرُوا أَوْلادكُمْ بِالصَّلاةِ وهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، واضْرِبُوهمْ علَيْهَا لعَشْرٍ، وفرِّقُوا بيْنَهُمْ في المضَاجعِ)[1]. وكثرة النوافل بالبيت من أهم ما يساعد على ذلك.

هـ- قيام البيت على شعور كل من الأبوين بمسئوليته العظيمة فيه،

(١) أخرجه أحمد (٦٦٥٠) وأبو داود (٤٩٥).

كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا)[1].

فالرجل المسؤول الأول فعليه القوامة، والمرأة المسؤولة المباشرة للتنفيذ.

و- أن تكون العلاقات في البيت قائمة على المودة والرحمة كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الروم: ٢١].

والحذر الحذر من المشاكسات العائلية والخلافات المشينة القائمة على أتفه الأسباب، فهي من أشد ما يفكك روابط البيت وأواصره.

ويتبع ذلك تعاون الجميع على أداء مهماتهم ومسؤولياتهم.

٤- من آداب البيوت:

أ- الاستئذان قبل الدخول، والاستئذان يكون ثلاث مرات فإن أذن للإنسان المستأذن وإلا يرجع، قال تعالى: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾[النور: ٢٨].

ب- السلام على مَن في البيت عند الدخول وعند الخروج، كما دلَّ عليه حديث أنس، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾[النور: ٢٧].

ج- عدم طرق البيت في أوقات الراحة الخاصة كالليل، فقد نهى

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩).

النبي ﷺ عن الطرق ليلا[1]. لئلا يفاجئ الإنسان أهل البيت فيرى منهم ما لا يرضون.

د- من الأمور المشروعة تبادل الزيارات بين أهل البيوت، لكن ينبغي اختيار الوقت المناسب، وترك الإثقال على المزار، وأن يقصد بزيارته صلة الرحم، وتقوية أواصر المحبة ونحوها.

هـ- على الزائر إذا دخل بيت غيره أن يغض بصره، ويحفظ سمعه ولا يسأل عما لا يعنيه، ويجلس حيث أجلسه صاحب الدار، ولا يخرج حتى يستأذن ويسلم.

و- ينبغي أن يكون طرق الباب والمناداة برفق وأدب، وأن يعرف بنفسه، ولا يقف أمام الباب حتى لا يطلع على ما في الدار إذا فتح الباب، وهذه الآداب كما أنها في حق الرجل فهي أيضاً في حق النساء.

(١) أخرجه البخاري (١٨٠١) ومسلم (٧١٥).

الموضوع الرابع عشر

بر الوالدين والنهي عن عقوقهما

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت النبي ﷺ: (أي الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ قَالَ: » الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا «. قَالَ ثُمَّ أي قَالَ » ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ «. قَالَ ثُمَّ أي قَالَ » الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ «. قَالَ حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي)[1].

وعن أي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، قيلَ: مَنْ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: مَن أدْرَكَ أبَوَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أحَدَهُما، أوْ كِلَيْهِما فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ)[2].

(١) أخرجه البخاري (٢٥٧) ومسلم (٨٥).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥١).

أهمية الحديثين:

للحديثين أهمية كبرى، لأنهما يتحدثان عما يتصل بأهم الحقوق على الإنسان بعد حق الله تعالى، فيبصران الإنسان بما يجب عليه من حقوق تجاه والديه، وبما يجب عليه أن يحذر منه.

توجيهات الحديثين:

١- الوالدان -الأم والأب- حقهما عظيم والواجب تجاههما كبير، فالله ﷻ قرن حقهما بحقه تعالى في مواضع من كتابه قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[الإسراء: ٢٣].وقال سبحانه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[النساء: ٣٦].

ولا غرابة في عظم حقهما، فالأم تحملت آلام الحمل والولادة، والرضاع وسهر الليل وتعب النهار، تقوم بحملها مثقلة، وتقعد به مثقلة، تضيق في أول الحمل بالطعام والشراب أحشاؤها، وتضيق عند الوضع أعضاؤها، و تجوع ليشبع وليدها، وتسهر لينام فلذة كبدها، وتتعب ليستريح، وتترك كثيراً بما تشتهيه خشية أن يتغير لبنها، يرقص قلبها فرحاً إذا ضحك وليدها، وترى الحياة كلها نوراً وجمالا وهي تراه يلعب مع الصبيان، وتحزن حزناً شديداً إذا أصيب بوعكة، وهكذا تعيش له ومعه وهي تنتظر الأيام الحاسمة في حياتها حين ينجح ويكسب ويتزوج.

والأب -حاله لا تخفى- يتعب ويفني حياته وجهده ووقته ليحصل لقمة العيش لأولاده، يتابع نموهم، ويقوم على تربيتهم، وينتظر الساعة التي ينظر فيها إليهم رجالا كباراً تقر عينه بهم.

٢- لقد أوجب الحديثان البر بالوالدين، ومن البر بذل المعروف والإحسان إليهما بالقول والفعل والمال، فالإحسان بالقول: مخاطبتهما باللين واللطف، مستصحباً كل لفظ طيب، يدل على اللين والتكرم، ومن البر الدعاء لهما بالتوفيق والصحة والعافية، والمغفرة والرحمة ودخول الجنان.

والإحسان بالفعل: خدمتهما بالبدن وقضاء حوائجهما ومساعدتهما في شؤونهما، وتيسير أمورهما، وطاعتهما في غير معصية الله.

والإحسان بالمال: أن يبذل الولد لوالديه من ماله كل ما يحتاجان إليه طيبة به نفسه، منشرحاً به صدره، غير متبع له بمنة ولا أذى؛ بل يبذله الولد وهو يرى أن المنة لهما في ذلك في قبوله والانتفاع به.

٣- من البر بالوالدين: الحرص على نصحهما وطلب هدايتهما بالحكمة والقول اللين واللطف في المخاطبة، وتحري ذلك مهما كان رد فعلهما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾[مريم: ٤٢ - ٤٥].

٤ - من بر الوالدين برهما بعد موتهما كما هو في حياتهما، ومن بر الوالدين بعد الممات: الاستغفار لهما والدعاء بالرحمة والعفو ودخول الجنة والنجاة من عذاب جهنم ومن عذاب القبر، وإجراء صدقة لهما.

جاء في الحديث الصحيح: (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إِلَّا مِن

ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له)

فعن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي ﷺ قال بينا نحن عند رسول الله ﷺ: إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: (يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا ؟ قَالَ : نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا)[1].

٥ - بر الوالدين يثمر ثماراً يانعة، ويورث آثاراً حسنة في الدنيا والآخرة منها:

أ- أنها سبب لرضا الله تعالى، روى الترمذي عن ابن عمرو ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سخط الوالد)[2].

أ- بر الوالدين سبب لدخول الجنة عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: (دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ فِيهَا قِرَاءَةً فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، فَقَالَ: كَذَلِكُمُ الْبِرُّ كَذَلِكُمُ الْبِرُّ)[3].

ب- بر الوالدين سبب لبركة الرزق والعمر جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: (مَن أَحَبَّ أن يُبْسَطَ له في رزقِه، وأن يُنْسَأَ له في أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَه)[4]. وأقرب الرحم: الوالدان.

٦- يفيد الحديثان التحذير الشديد من عقوق الوالدين، والمراد بالعقوق: كل ما يؤذي الوالدين من القول أو الفعل.

---

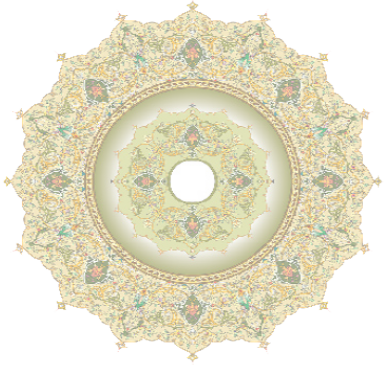
(١) أخرجه أبو داود (٥١٤٢).
(٢) أخرجه الترمذي (١٨٩٩) ورجح وقفه.
(٣) أخرجه أحمد والنسائي وقال ابن حجر: إسناده صحيح الإصابة (١/ ٦١٨).
(٤) يأتي بعد قليل.

٧- وعقوق الوالدين من أكبر الكبائر كما روى أبو بكر ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: (أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبائِرِ قُلْنا: بَلَى يا رَسولَ اللهِ، قالَ: الإشْراكُ باللَّهِ، وعُقُوقُ الوالِدَيْنِ)[١].

وعقوق الوالدين سبب للحرمان من دخول الجنة كما في حديث الباب، وروى ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: (ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الْجَنَّةَ مُدْمِنُ الْخَمْرِ وَالْعَاقُّ وَالدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخَبَثَ)[٢].

وعقوق الوالدين سبب لتعجيل عقوبة العاق، قال رسول الله ﷺ: (كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ اللَّهُ مِنْهَا مَا شَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ فَإِنَّ اللهَ يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ)[٣].

والقول مثل: سبهما وشتمهما وإصدار ما يؤذيهما من الكلام، ورفع الصوت عليهما، والفعل مثل: عدم تلبية طلباتهما، وعدم القيام بحاجتهما، أو عمل ما يؤذيهما.



(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٤) ومسلم (٨٧).
(٢) أخرجه أحمد (٥٣٤٩) والنسائي (٢٥٦٢).
(٣) أخرجه البيهقي في الشعب (٦/ ٢٩٧) وصححه الحاكم (٤/ ١٧٢) وتعقبه الذهبي.

الموضوع الخامس عشر

الحث على صلة الرحم

عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (مَن أَحَبَّ أن يُبْسَطَ له في رزقِه، وأن يُنْسَأَ له في أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَه)[1].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (خَلَقَ الله الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ منه قامَتِ الرَّحِمُ، فأخَذَتْ بحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فقالَ له: مَهْ، قالَتْ: هذا مَقامُ العائِذِ بكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قالَ: ألا تَرْضَيْنَ أنْ أصِلَ مَن وصَلَكِ، وأَقْطَعَ مَن قَطَعَكِ، قالَتْ: بَلَى يا رَبِّ، قالَ: فَذاكِ قالَ أبو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢])[2].

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٦) ومسلم (٢٥٥٧).
(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٧) ومسلم (٢٥٥٤).

أهمية الحديثين:

هذان الحديثان في أمر غاية في الأهمية، ذلك هو أعظم الروابط الاجتماعية التي فرضها الله سبحانه على عباده، فعظم أمرها، وجعل الآثار المترتبة عليها كبيرة في الدنيا والآخرة.

توجيهات الحديثين:

١- مما يفيده الحديثان أن الإسلام عظم حقوق الأرحام وجعله من المعالم الكبرى لهذا الدين الحنيف من توحيد الله وإقامة صلاته، والتمسك بالصدق والعفاف، يشهد لذلك حديث أبي هريرة السابق.

٢- لصلة الأرحام كما يفيده حديث أنس وغيره آثار حسنة وعواقب طيبة في الدنيا والآخرة منها: حصول بركة العمر وبركة الرزق.

ومنها أنها تدخل، الجنة فعن أبي أيوب الأنصاري في أن رجلا قال: يا رسول الله: اخبرني عن عمل يدخلني الجنة قال ﷺ: (تَعْبُدُ الله لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ)[1].

٣- صلة الرحم والأقارب مراتب أعلاها: المعاونة بالنفس والمال والمناصحة في الخير، وأدناها الصلة بالسلام، وبينهما مراتب من الزيارة والسلام، وطيب الكلام، والسؤال عن الحال، والهدية والعطية، والتهنئة بالنعمة، والدعوة للاجتماع، ومساعدة المدين المعسر في سداد شيء من دينه، والسعي له في سداده، وبذل الجاه، وقضاء الحاجات، والتلطف بالتعامل وغيرها مما يزيد في الوصال، ويضاعف الحسنات ويكفر السيئات.

٤- من الأرحام الذين يزارون: الوالدان وإن علوا كالأجداد

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٦) ومسلم (١٣).

والجدات وما تفرع عنهما من الأعمام والأخوال وأولادهما، والصلة الكاملة: صلة المسلم من قطعه من أرحامه، قال ﷺ: (ليسَ الواصِلُ بالمُكافِئ، ولَكِنِ الواصِلُ الذي إذا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وصَلَها)[1]، والمعنى: أن الوصل الكامل هو صلة القاطع، وأقل منه مرتبة المكافئ وهو الذي يصل أرحامه الذين يصلونه.

٣- ليس للصلة حد محدود بزمن أو وقت؛ بل ذلك حسب العرف، فما عده العرف الصحيح صلة فهو كذلك، و ما عده العرف الصحيح قطيعة فهو كذلك، وهي تختلف باختلاف الأحوال، فصلة المريض غير صلة الصحيح، وإعانة المحتاج أكثر قربى من إعانة غير المحتاج. كما تختلف باختلاف القريب، فصلة الوالد غير صلة أبناء العم والخال، كما تختلف أيضاً باختلاف المكان فالقريب الذي في البلد غير الذي هو خارج عنها.. وهكذا...

٤- صلة الرحم من أعلى القربات ولو كان الأرحام غير مسلمين، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ جهاراً غير سر يقول: قوله: (إنَّ آلَ أبِي لَيْسُوا بأَوْلِيَائِي، إنَّما ولِيِّيَ الله وصَالِحُ المُؤْمِنِينَ ولَكِنْ لهمْ رَحِمٌ أُبُلُّهَا ببَلَاهَا يَعْنِي أصِلُهَا بصِلَتِهَا)[2].

وهذا بلا شك من سمو هذا الدين، وسماحته.

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩١) والترمذي (١٩٠٨) وصححه.
(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٠) ومسلم (٢١٥).

الموضوع السادس عشر

من حقوق الجار في الإسلام

عن عائشة ﵂ عن النبي ﷺ قال: (مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ)[١].

وعن أبي شريح ﵁ أن النبي ﷺ قال: (واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ قيلَ: ومَن يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: الذي لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوايِقَهُ)[٢].

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٤) ومسلم (٢٢٤).
(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٦) ومسلم (٤٦).

أهمية الحديثين:

هذان الحديثان في موضوع مهم ألا وهو علاقة الجار بجاره، ولأهميتها، وعظم شأنها وما يترتب عليها من آثار سلباً وإيجاباً أكد الإسلام على حقوق الجار، وحذر من مخالفتها.

توجيهات الحديثين:

١- أكد الإسلام على حقوق المسلم بعامة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات: ١٠].

ولكن هناك نوع من الناس له صفة مخصوصة خصه الشارع الحكيم بمزيد من حقوق، ورعاية وعناية، ذلكم هم الجيران.

والجار هو: من قرب داره من دارك، حده بعض أهل العلم بأربعين بيتاً، وحده آخرون بالعرف فما كان جاراً في عرف الناس انطبق عليه الوصف.

٢- يشير الحديث أن للجار حقًّا خاصًّا، كما أن له ميزة خاصة، فالصلة بالجوار من أقوى الروابط، والإحسان إليه من أفضل أنواع الإحسان، ورعايته من أتم أبواب الرعاية. ولقد جاءت الوصية بذلك في كتاب الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[النساء: ٣٦].

ولعظم حق الجار جعله الرسول ﷺ كالقريب الذي يرث لولا أنه لا يستحق الإرث كما في حديث ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم.

١-من حقوق الجار:

أ- الكف عن أذيته بالقول والفعل، وعدم الإساءة إليه بأي نوع من أنواع الإساءة قولية كانت أو فعلية، فالرسول ﷺ نفى الإيمان ممن كانت هذه فعاله كما دل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن الأذية: الأذية بالكلمات غير اللائقة، والإزعاج برفع الأصوات، أو أصوات المذياع والتلفاز، وتزداد الأذية إذا كانت هذه الأصوات منكرة، والاطلاع على عورات الجار، والوقوف أو إيقاف السيارة باستمرار أمام باب بيته، ووضع القمامة عند بابه.

ومن أسوأ الأذية التعدي على محارم الجار والتعرض لهن بنظرة شيطانية أو إغواء شهواني فذلك يؤدي لارتكاب أكبر الكبائر.

أ- الإكرام والإحسان إلى الجار بكل ما يستطيع من صور الإحسان، كأن يعينه إذا استعان به، ويعوده إذا مرض، ويهنئه إذا فرح، ويساعده إذا احتاج، ويقرضه إذا طلب الإقراض، ويعزيه إذا أصيب، ويبدؤه بالسلام، ويلين له الكلام، يرعى جانبه، ويحمي حماه، ويصفح عنه زلاته، فينصحه ويرشده، قال ﷺ: (وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ) وفي رواية: (فَلْيُحْسِنْ إلى جارِهِ)[1].

ب- ومن حقوقه -وقد يدخل فيما سبق- إسداء المعروف والخير له، والصدقة عليه، وإهداؤه من طعامه وشرابه، والشفاعة له بالحسنى، روى البخاري رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال: (يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ)[2]، وقال ﷺ: (يا أبا ذَرٍّ إذا طَبَخْتَ

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧و٤٨) والرواية الأخرى عنده.
(٢) أخرجه البخاري (٢٥٦٦) ومسلم (١٠٣٠).

مَرَقَـةً، فأَكْثِـرْ ماءَهـا، وتَعاهَـدْ جِيرانَـكَ).

٢- ممـا يشـار إليـه هنـا أنـه كلمـا قـرب الجـار مكانـاً أو نسـباً أو دينـاً زاد حقـه وارتفـع، روى البخـاري ﵀ عـن عائشـة ﵂ أنهـا قالـت للرسـول ﷺ: إن لـي جاريـن فإلـى أيهمـا أهـدي؟ قـال: (إِلَـى أَقْرَبِهِمَـا مِنْـكِ بَابًـا)[1].

٣- إذا ابتلـي الإنسـان بجـار سـوء، تصـل منـه أذيـة قوليـة أو فعليـة، فينبغـي للجـار أن يصبـر علـى أذى جـاره، وأن لا يـرد الأذيـة بأخـرى، وأن ينصحـه ويرشـده ويبصـره بأذيتـه، فـإن فـي الصبـر علـى ذلـك أجـراً عظيمـاً، وطريقـاً إلـى تخليصـه مـن أذيتـه.

(١) أخرجه البخاري (٢٢٥٩).



الموضوع السابع عشر

من حقوق المسلم

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ : رَدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ)[1].

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٠) ومسلم (٢١٦٢).

أهمية الحديث:

خلق الله تعالى الخلق، وجعل بينهم ترابطاً متنوعا، كما جعلهم مختلفي الأجناس، والألوان، والأقطار، ورتب لبعضهم على بعض حقوقاً إذا ما قاموا بها استقامت أحوالهم، وانتشر الأمن والرخاء بينهم، وعمرت ديارهم، وهذا الحديث يذكر بعض هذه الحقوق التي نعرض لشيء من تفصيلها.

مسائل الحديث:

١- إن من مبادئ الإسلام الكبرى أن أراد من المسلمين أن يكونوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، فيتمثلوا الأخوة الإيمانية التي حث الله عليها في كتابه وحث عليها رسوله ﷺ في سنته، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[آل عمران: ١٠٣].

وهذه الأخوة لا ينميها ويعمرها إلا قيام المسلم بحقوق أخيه المسلم الواجبة والمستحبة.

٢- الحق الأول المذكور في الحديث: السلام. وهو -أي السلام- تحية المسلمين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾[الأحزاب: ٤٤].

والسلام أن يقول المسلم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وهذه هي الصيغة الكاملة، وأقله: السلام عليكم.

ولهذا السلام فضائل منها: أنه من خصال الإسلام الخيرة،

روى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رجلا سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير، قال: (تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وتَقْرَأُ السَّلَامَ علَى مَن عَرَفْتَ ومَن لَمْ تَعْرِفْ).

ومنها أنه سبب في إيجاد المحبة والمودة، التي هي سبب لدخول الجنة، كما روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أولا أدلكم عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)[1].

وفيه حسنات كثيرة وأجور عظيمة، فعن عمران بن الحصين ﷺ أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس، فقال النبي ﷺ: (عشر)، ثم جاء رجل فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال النبي ﷺ: (عشرون)، ثم جاء رجل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه وجلس فقال (ثلاثون)[2]، والمقصود بذلك الحسنات.

أما حكم السلام: فذكر أهل العلم أنه سنة مؤكدة، أما رده، فهو واجب، فإذا كان المسلم عليه واحداً فيجب عليه عيناً، وإن كان أكثر من واحد فهو واجب على الكفاية.

ومما ينبغي بيانه أن إبدال هذه التحية بتحيات أخرى مثل: صباح الخير، مساء الخير، لا يكفي عنها، فهي التي وردت في الكتاب والسنة ومن هنا ينبغي الاعتزاز بها وإظهارها فهي شعار للمسلمين.

٣- الحق الثاني: إجابة الدعوة، وهي مما يزيد في الألفة والمحبة

(١) أخرجه مسلم (٥٤).
(٢) صححه الترمذي (٢٦٨٩) وابن حبان (٤٩٣).

بين المسلمين، وتزرع المودة والقرب، وتزيد الوصال والتقارب وتغسل الأدران التي في النفوس، وتصفي كدر القلوب. ولذا جعل الشرع الإجابة إلى أي دعوة مندوبة ندباً مؤكداً إلا إذا كانت الدعوة إلى وليمة زواج فهي واجبة ما لم يكن فيها منكر لا يستطيع إزالته.

٤- **الحق الثالث:** تشميت العاطس. والعطاس مما يعتري الناس كثيراً وهو من رحمة الله بالعاطس، ولذا شرع له إذا عطس أن يحمد الله، فيشمته السامع فيقول: يرحمك الله، ويرد عليه العاطس بقوله: يهديكم الله ويصلح بالكم كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ[(١)].

وإذا لم يقل العاطس: الحمد لله، فلا يشمت. وكذا إذا قال لفظاً غير الحمد لله.

٥- **الحق الرابع:** النصيحة للأخ المسلم، وبخاصة إذا طلبها والمقصود بالنصيحة: إرادة الخير للمنصوح له، وهي مبدأ عظيم من مبادئ الإسلام، وباب من أبواب إشاعة الخير، وإشعار بالمودة والصفاء، ولها فضل عظيم و ثواب جزيل، وهي من أحسن القول و أجمل الخطاب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣]. وعن أبي رقية تميم بن أوس الداري أن رسول الله ﷺ قال: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنا: لِمَنْ؟ قالَ: لِلَّهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ)[(٢)].

ومما ينبغي الإشارة إليه في أمر النصيحة أن الناصح عليه أن يختار الألفاظ الطيبة والقول اللين والكلمات المناسبة للمقال فقد قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[النحل: ١٢٥].

(١) أخرجه البخاري (٥٨٧٠) من حديث أبي هريرة.
(٢) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري.

وقال تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران: ١٥٩].

٦- الحق الخامس: عيادة المريض. والمريض هو ذاك الذي ابتلاه الله تعالى بالمرض في جسمه أو نفسه، فقد ابتلي بنوع من الابتلاء ظاهره أنه محنة ولكن نتيجته - مع الصبر والرضا - ينقلب إلى منحة ربانية يؤجر عليها المريض و تكفر سيئاته.

صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلا وَصَبٍ وَلاهَمٍ، وَلا حَزَنٍ وَلا غَمٍّ، وَلا أَذًى، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا، إِلا كَفَّرَ اللهُ تَعَالَى بِهَا خَطَايَاهُ)[١].

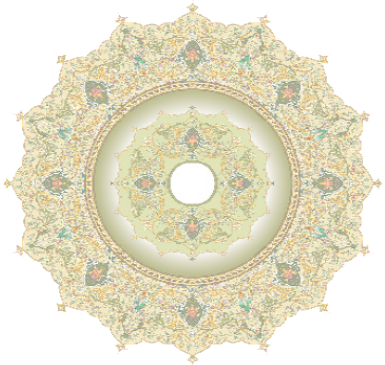
والمريض يحتاج إلى شد عزمه، وتقوية إرادته، فشرعت زيارته وتكرار هذه الزيارة، روي عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ)[٢].

ومما يستحب أن يقوله الزائر للمريض: لا بأس طهور إن شاء الله، وعليه أن يخفف على المريض مرضه، ويطيب نفسه، ويدعو له بالشفاء والرحمة.

٧- الحق السادس: إتباع الجنازة، فمن المعلوم أن كل إنسان حي مآله إلى الموت قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[العنكبوت: ٥٧]. فهو نهاية كل حي ولكن الإسلام الذي كرم المسلم حيًّا كرَّمه ميتاً فجعل له حقوقاً بعد موته وفي إتباع جنازة الميت فوائد للتابع والمتبوع فهي للتابع عظة وعبرة وللمتبوع دعاء يصله ثوابه بإذن الله تعالى.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٣) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة.
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٨).

٨- ومن حقوق المسلم على أخيه المسلم -ولم تذكر في هذا الحديث وقد ذكرت في أحاديث أخرى- منها: أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ومنها نصرته وعدم خذلانه في الحق، والدفاع عن عرضه، وعدم غيبته والقدح فيه، وأن لا يمسه بسوء أو ينالـه بمكروه، أو يحتقره، أو يسخر به ويستهزئ به، أو ينبزه بلقب سيئ، وعليه أن يتواضع لإخوانه المسلمين، وأن يعاملهم المعاملة الحسنة، وألا يحسد أخاه على نعمة رزقه الله إياها، ولا يبغضه أو يتجسس عليه أو يغشه أو يخادعه أو يؤذيه بأي نوع من الإيذاء، أو يظلمه، وعلى المسلم توقير الكبير ورحمة الصغير وعون الضعيف، ومساعدة المحتاج، وستر العيب، والعفو عن الزلة، والإهداء إليه، والدعاء له. وكل هذه الحقوق وردت فيها نصوص من القرآن الكريم والسنة المطهرة.



الموضوع الثامن عشر

الأخوة في الدين والنهي عن القطيعة بين المسلمين

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَديثِ، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَنافَسُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا)[1].

وعن النعمان بن بشير ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: (تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى)[2].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ » قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ » ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ » قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ قَالَ: » إِنْ كَانَ

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٤) ومسلم (٢٥٦٣).
(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦).

فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ)[1].

وعن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تَزالُ طائفةٌ من أُمَّتي قائمةً بأمرِ اللهِ، لا يَضُرُّهم مَن خذلهم، ولا مَن خالفهم، حتى يأتي أمرُ اللهِ، وهم ظاهِرُونَ على الناسِ)[2].

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٠٣٧).

أهمية الأحاديث:

هذه الأحاديث تتعلق بمبدأ عظيم حرص عليه الإسلام، ورسخ قواعده ووجه إلى تطبيقها، تلكم هي علاقة المسلم بأخيه المسلم، القائمة على الأخوة في الدين، وعلى الرحمة والمودة والمحبة، وعدم تعريضها لما يخدشها أو يقطعها أو يؤثر عليها تأثيراً سلبيًّا.

مسائل الأحاديث:

١ - من المعلوم من الدين بالضرورة أنَّ الإسلام أقام تشريعاً متكاملاً شاملاً يلبي حاجات الإنسان ومتطلباته، وينظم علاقاته بالله تعالى وعلاقاته مع النَّاس.

والعلاقة مع الناس قائمة على أساس ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال؛ بمعنى أنها قائمة لله تعالى وفي الله.

أ- شجع الإسلام تشجيعاً منقطع النظير على أهمية الأخوة في الدين والمحبة والمودة فيما بينهم كما في حديث النعمان بن بشير ﷺ، وقد تضافرت النصوص القرآنية والنبوية على ترسيخ هذا المفهوم الكبير قولاً وفعلا، ومن ذلكم قوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات: ١٠]. وقوله تعالى: ﴿الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[الزخرف: ٦٧]. وقوله تعالى مخاطباً رسوله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[الحجر: ٨٨].

ومن النصوص النبوية ما رواه أبو موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) وشبك بين أصابعه[١].

(١) البخاري ٧٢/ ٥، ومسلم ٢٥٨٥.

قال القرطبي رحمه الله: «هذا تمثيل يفيد الحض على معاونة المؤمن للمؤمن ونصرته، وأن ذلك أمر متأكد لا بد منه، فإن البناء لا يتم ولا تحصل فائدته إلا بأن يكون بعضه يمسك بعضاً ويقويه، وإن لم يكن ذلك انحلت أجزاؤه، وخرب بناؤه، وكذلك المؤمن لا يستقر بأمر دنياه ودينه إلا بمعاونة أخيه ومعاضدته ومناصرته، فإن لم يكن ذلك عجز عن القيام بكل مصالحه، وعن مقاومة مضاره، فحينئذ لا يتم له نظام دنياه ولا دينه، ويلحق بالهالكين».

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: (المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ)[1].

وروى أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ)[3].

أ- وقد أكد القدوة ﷺ عمليًّا هذا المبدأ العظيم وتمثله في حياته مع

(١) أخرجه البخاري ٥ / ٧٠، ٧١ ومسلم (٢٥٨٠).
(٢) أخرجه البخاري ١/ ٥٣، ٥٤، ومسلم (٤٥).
(٣) أخرجه البخاري (٢٥٦٤).

صحابته وسائر أمته فعن عائشة ﵂ قالت: (إِنْ كَان رسولُ الله ﷺ لَيدعُ الْعَمَلَ وهُوَ يحِبُّ أَنَ يَعْمَلَ)[1]، كل ذلك رأفة بالناس وشفقة عليهم، وعن أبي قتادة الحارث بن ربعي ﵁ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلاَةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ)[2].

ب- ولعظم هذا المبدأ جعله الرسول ﷺ من المبادئ التي أقام عليها مجتمع المدينة عندما هاجر إليها، فآخى بين المهاجرين والأنصار، حتى وصل الأمر إلى درجة أن يتنازل الأنصاري لأخيه المهاجري عن شطر ماله أو بعضه، وأن يطلق إحدى زوجاته لكي يتزوجها، فأنزل الله فيهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: ٩].

٢- مع ترسيخ هذا المبدأ حذر الإسلام من كل ما يقطع هذه الأخوة أو يخدشها صغيراً كان أو كبيراً. فجاءت النصوص العظيمة في التحذير من تلك الآفات الخطيرة التي تؤثر على هذا المبدأ مثل: الظن الكاذب، الغيبة، النميمة، البهتان، السباب والشتائم، والحسد والحقد والبغضاء وغيرها...

أ- ففي التحذير من الظن الكاذب ما ورد في حديث أبي هريرة ﵁.

ب- وفي التحذير من الغيبة وهي ذكرك أخاك بما يكره كأن تصفه بأوصاف مشينة، أو تخدش عرضه، أو تبين عيباً فيه لا داعي لذكره ولو بالإشارة أو التلميح، وقد جاء في التحذير منها خاصة نصوص

(١) أخرجه البخاري (٧١٨).
(٢) أخرجه لبخاري (١٦٩/ ٢).

كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[الحجرات: ١٢].

ومن ذلك ما روته عائشة ﵂ أنها قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة: تعني قصيرة، فقال النبي ﷺ: (لقدْ قُلتِ كلِمةً لوْ مُزِجتْ بماءِ البَحرِ لمزَجَتْه)[١].

ولا شك أن الغيبة باب من أبواب فساد العلاقات وتخريبها، وتجر من المفاسد الأخرى أموراً كثيرة كإشاعة المعايب، وخدش الأعراض، وتعرض الألسنة للكلام البذيء وغيرها.

ج- وفي التحذير من السباب والشتائم، ما رواه الشيخان عن أبي زيد ثابت بن الضحاك ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: (لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ)[٢] وروى الترمذي وغيره بإسناد حسن عن ابن مسعود ﵁ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ)[٣].

د- وفي النهي عن الحسد والحقد والبغضاء الأحاديث الكثيرة ومنها ما سقناه في الفقرة الثانية.

والخلاصة أن كل ما يعرض الأخوة الإسلامية والمحبة والمودة والصفاء للقطيعة أو التعكير فقد حذر منه الإسلام ونفر منه، ورتب عليه العقوبة.

٣- إن التعامل بالأخوة الإسلامية والبعد عما يشينها أو يقطعها

(١) أخرجه أحمد (٦/١٨٩) وصححه الترمذي (٢٥٠٣).
(٢) أخرجه البخاري (٢) ومسلم (٤٣).
(٣) حسنه الترمذي (١٩٧٧) وصححه ابن حبان (١٩٢) والحاكم (٥٧١).

يورث آثاراً حميدة جليلة في الدنيا والآخرة، فتصفوا العلاقات بين الناس، وتعمر الأرض بالخيرات، ويتجه الناس إلى البناء والتعمير، وتقوى الروابط الودية، ويشيع الخير، ويقل الشر.

بالإضافة إلى ما أعده الله سبحانه للمتحابين فيه من نور يوم القيامة، ومحبة الله لهم، روى أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: (ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجَدَ حلاوَةَ الإيمانِ : أنْ يكونَ اللهُ و رسولُهُ أحبُّ إليه مِمَّا سِواهُما، وأنْ يُحِبَّ المرْءَ لا يُحبُّهُ إلَّا للهِ، وأنْ يَكْرَهَ أنْ يَعودَ في الكُفرِ بعدَ إذْ أنقذَهُ اللهُ مِنْهُ ؛ كَما يَكرَهُ أنْ يُلْقى في النارِ)[1].

وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ الله يقولُ يَومَ القِيامَةِ: أيْنَ المُتَحابُّونَ بجَلالِي، اليومَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلِّي)[2]. وغير ذلك مما لا يخفى من النصوص.

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب حلاوة الإيمان، (١٥).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٦).

الموضوع التاسع عشر

التعامل مع الكفار

عن أسماء بنت أبي بكر ﵄ قالت: (أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً، في عَهْدِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَسَأَلْتُ النبيَّ ﷺ: أأصِلُهَا؟ قالَ: نَعَمْ قالَ ابنُ عُيَيْنَةَ: فأنْزَلَ الله تَعَالَى فِيهَا: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فى الدِّينِ﴾ [الممتحنة: ٨])[١].

وعن عبد الله بن عمرو ﵄ عن النبي ﷺ قال: (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَد مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا)[٢].

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٧) ومسلم (١٠٠٦)،
(٢) أخرجه البخاري (٦٩١٤ و ٣١٦٦).

أهمية الحديثين:

يسمو الإسلام بنظامه وتشريعاته سموًّا عجيباً يصل إلى إعطاء غير المسلمين حقوقاً له يتعامل معه في ضوئها، ولأهمية ذلك جاءت النصوص الشرعية بتنظيم هذا الأمر الدقيق.

توجيهات الحديثين:

١ - الناس في هذه الحياة بين صنفين لا ثالث لهما إما مسلمون يدينون بدين الإسلام، وإمَّا كفار لا يدينون بدين الإسلام على اختلاف مللهم ومذاهبهم.

فالمسلمون قد عرفنا حقوق بعضهم لبعض.

والكفار بالنسبة للحقوق لهم ينقسمون قسمين:

إما كافر محارب للمسلمين، وهم الذين نصبوا العداء والحرب ضد المسلمين، وهذا لا حقوق له، وإما غير محارب كالمعاهدين الذين بينهم وبين المسلمين عهد وذمة، وضع الإسلام لهم حقوقاً يجب أن يتعامل معهم في ضوئها.

١ - من أهم الواجبات على المسلم تجاه الكفار أن يعرف بأنهم كفار لا يقرهم على كفرهم، ولا يرضى به، ويبغضهم لكفرهم، قال ﷻ: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ٢٨]، ويتعامل معهم على هذا الأساس.

٢- من حقوق الكفار -كما أشار إليه الحديث الثاني- كف الأذى... وعدم التعدي عليهم بأي صورة من صور الإيذاء والتعدي، سواء كان أذى قولياً كالسب والشتم ورمي العرض ونحو ذلك، أو أذى

فعليًّا كالضرب أو الاعتداء الجسدي، وسواء كان أذى فرديًّا أو جماعيًّا. وإذا كان الأذى بالقول محرماً فما بالك إذا كان أذى فعليًّا أو جماعيًّا أو بالتخويف والتهديد.

لذلك جاءت صورة النهي عن هذا الإيذاء واضحة قوية صريحة في الحديث الثاني، والله سبحانه حرم الظلم والغدر والخيانة تجاه أي شخص سواء كان مسلماً أو كافراً.

٣- ومن حقوقهم التزام أصول الأخلاق الإسلامية في التعامل معهم من الصدق والأمانة، والعدل والإنصاف، والتخاطب الحسن، والرحمة في مواضعها الشرعية، وغيرها، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[البقرة: ٨٣].

ومن المعلوم أن التعامل بالحسنى يختلف عن الموالاة والمحبة، فتلك في الظاهر وهي مطلوبة، وهذه في القلب وهي ممنوعة: ومن الخطأ الخلط بينهما.

٤- ومن حقوقهم: جواز إيصال البر والمعروف الإنساني إليهم سواء على سبيل الهدية، أو الإغاثة، أو حتى على سبيل الصدقة المستحبة، وبخاصة إذا كان يرجى إسلام هذا الكافر. وهذا ما دلَّ عليه حديث أسماء رضي الله عنها فأوصاها النبي ﷺ بصلة أمها. وقال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الممتحنة: ٨].

٥- ومن حقوقهم دعوتهم إلى دين الله تعالى للدخول فيه، وذلك بالوسائل الشرعية، والأساليب المناسبة المحببة إلى النفوس.

ودعوتهم من أفضل الأعمال، وأحسن الأقوال، وأكثرها أجراً،

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣]، وقال ﷺ -فيما رواه مسلم وغيره-: (مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كانَ لهُ مِنَ الأجْرِ مِثلُ أُجورِ مَنْ تَبِعهُ لاَ ينْقُصُ ذلكَ مِنْ أُجُورِهِم شَيْئًا)[١]، وقال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: (لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)[٢].

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٤٢) ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد.

الموضوع العشرون

المحافظة على البيئة والممتلكات العامة

عن أنس بن مالك ﷺ: (يَذْكُرُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَامَ إِلَى نَاحِيَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَبَالَ فِيهَا فَصَاحَ بِهِ النَّاسُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَعُوهُ فَلَمَّا فَرَغَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَنُوبٍ فَصُبَّ عَلَى بَوْلِهِ)[1].

وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ سول الله ﷺ قال: (اتَّقوا اللَّاعِنَينِ، قالوا: وما اللَّاعنانِ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ الَّذي يتخلَّى في طريقِ النَّاسِ أو ظلِّهِم)[2].

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ)[3].

(١) أخرجه البخاري (٢١٩) ومسلم (٢٨٤).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩).
(٣) أخرجه البخاري (٢٣٢٠) ومسلم (١٥٥٢).

أهمية هذه الأحاديث:

تشترك هذه الأحاديث في الإشارة إلى أهمية بيئة الناس كالشوارع والحدائق العامَّة والطرقات والأسواق والمطارات وغيرها، وذلك بالمحافظة عليها، وصيانتها، وعدم تعريضها للخراب، والسعي في إصلاحها، ففي ذلك أجر وخير عظيم.

توجيهات الأحاديث:

١ - تدلُّ هذه الأحاديث على شمول الشريعة الإسلامية لكل ما منه صلاح العباد في أمور دينهم ودنياهم، فالبيئة التي يعيشون فيها، والممتلكات العامَّة التي يشتركون في الاستفادة منها لها حقوق يجب مراعاتها والتقيد بها.

٢- من الأمكنة التي يشترك فيها المسلمون أمكنة عباداتهم وهي المساجد وهذه المساجد لها حرمتها واحترامها فهي مكان الصلاة والقراءة والذكر والدعاء والمناجاة، فيجب أن تصان من الأنجاس والقاذورات، وأن يسعى بتنظيفها والمحافظة عليها، لذلك لما جاء هذا الأعرابي وبال في المسجد قام إليه الصحابة ﷺ ليزجروه وينهوه ولكن الرسول ﷺ بحكمته ولطافته وبعد نظره نهاهم حتى ينهي بوله، فلما انتهى من بوله أمرهم بأن ينظفوا مكان البول بالماء، ثم استدعاه وأخبره بأن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القاذورات وإنما هي للصلاة والذكر والقراءة.

٣- أمكنة الجلوس العامة، والحدائق ونحوها حرمة لا يجوز العبث بها، ولا توسيخها بالبول عندها أو بأي شيء من القاذورات، بل يجب

المحافظة عليها، وتنظيفها ولذا حذر النبي ﷺ من توسيخها، وعد ذلك من الأمور الجالبة للعن والغضب.

ومثل ذلك مقار المياه والطرقات التي يمر منها الناس ونحوها.

٤ - من أهم ما يجب عليه المحافظة في الأمور البيئية المياه، وقد نوه بشأنه الله ﷻ في القرآن الكريم في مواضع، وكذا السنَّة النبويَّة ومن ذلكم قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. فإذا أفسد الماء فسدت الحياة، فأمر بالمحافظة عليه ونهى عن الإسراف فيه، ولذلك كان النبي ﷺ يتوضأ بمدٍّ، ويغتسل بصاع[(١)]، وقال سبحانه: ﴿وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[الإسراء: ٢٦ - ٢٧]، من هنا جاءت التعليمات النبوية بالمحافظة عليه حفاظاً شديداً من الإهدار، ومن صور ذلك مع ما ذكر كراهية الزيادة في الوضوء على الثلاث، وعدم إيجاب إعادة الوضوء إذا لم يجد ريحاً أو يسمع صوتاً، وجواز الصلوات الخمس بوضوء واحد، وجواز الاكتفاء بالغسل مع نية الوضوء، وجواز الانتفاع بالماء ما لم يتغير أحد أوصافه الثلاثة وغيرها كثير.

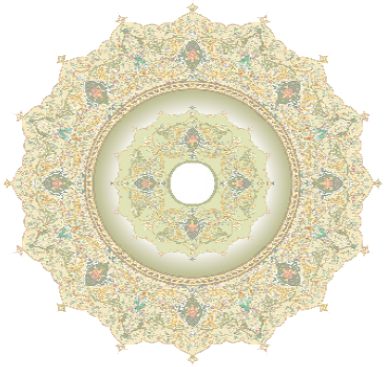
٥- كما جاءت السنَّة النبويَّة بالمحافظة عليه من التلوث، ومن صور ذلك النهي عن التبول في الماء الراكد، والتحذير من البراز في موارد الناس وكراهية التنفس في الإناء عند الشرب، وكراهية الشرب في فم السقاء، وغيرها كثير.

٦- يقاس على ما ذكر جميع الأماكن العامة والممتلكات العامة

(١) أخرجه البخاري (٢٠١) ومسلم (٣٢٥) من حديث أنس بن مالك.

مثل: الأسواق والمطارات والمحطات والموانئ وغيرها في وجوب المحافظة عليها وعدم تلويثها، والحث على صيانتها.

٧- إن من يقوم بذلك فله أجر عظيم وثواب جزيل من الله ﷻ، بل عد ذلك من شعب الإيمان كما في الحديث الصحيح: (وإماطة الأذى عن الطريق). كيف لا، وهذا ينتفع منه عدد كبير من الناس، وخير العمل ما تعدى نفعه للآخرين، وخير الناس أنفعهم للناس. وهذا ما دلَّ عليه الحديث الرابع.



الخاتمة

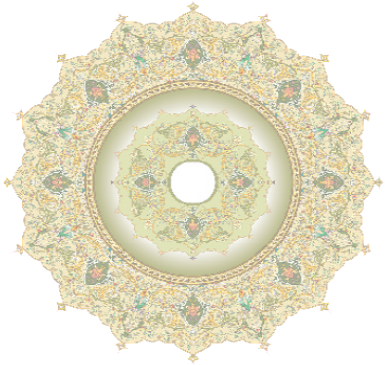
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، وأصلِّي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد تمَّ بحمد الله تعالى ما أريد شرحه من الأحاديث النبويَّة المنتقاة شرحاً مبسطاً، وقد سلكنا في هذا الشرح طريقة البحث الموضوعي الذي يتجه إلى موضوع الحديث أكثر من تحليل ألفاظه. ولذا فقد بينا في كل موضوع أهمية الحديث أو الأحاديث، ثم عرضنا الشرح تحت عنوان: توجيهات الحديث أو الأحاديث. وأدرجنا تحته النقاط المهمة التي يحتوي عليه الحديث أو الأحاديث.. وهكذا.

نسأل الله ﷻ أن نكون أوفينا البحث حقَّه، وأتممناه على الوجه اللائق، وأن يرفع به درجاتنا ويعلي به مقامنا ويكفر به سيئاتنا وأن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأعمال، وأن ينفع به، إنه سميع مجيب.

وصلى الله على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلم،،



فهرس المراجع

- إحكام الحكام شرح عمدة الأحكام للإمام العلامة تقي الدين، ابن دقيق العيد الطبعة الأولى – مطبعة دار الشعب، نشر مكتبة عالم الفكر – القاهرة.
- الإحكام في أصول الأحكام، للإمام أبي محمَّد علي ابن حزم الأندلسي الظاهري – مطبعة العاصمة بالقاهرة – أشرف على الطبعة أحمد شاكر رحمه الله.
- اختصار علوم الحديث، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير – نشر دار الكتب العلمية – بيروت.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين بن الأثير، أبي الحسن علي بن محمَّد الجزري – نشر المكتبة الإسلامية
- الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – طبع بمطبعة السعادة بمصر – الطبعة الأولى.
- الباعث الحثيث، شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير، للشيخ أحمد بن محمَّد شاكر –طبع دار الكتب العلمية – بيروت.
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تأليف الإمام أبي الوليد محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن رشد القرطبي –الطبعة الثالثة– مطبعة البابي الحبي بمصر.
- تدريب الراوي شرح تقريب النووي، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية –الطبعة الثانية–.

- ترتيب سند الإمام أبي عبد الله محمَّد بن إدريس الشافعي ﷺ، تولى نشره السيد يوسف علي الزواوي الحسني، والسيد عزت العطار الحسيني، يطلب من دار الباز بمكة المكرمة.
- تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق مجموعة من العلماء، طبع بمطبعة الشعب بالقاهرة.
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تعليق عبد الله بن هاشم اليماني المدني المدينة المنورة-عام ١٣٨٤هـ.
- تهذيب سنن أبي داود، للإمام أبي عبد الله محمَّد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية، مطبوع ضمن مختصر سنن أبي داود، للمنذري.
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، تأليف الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمَّد بن عبد الوهاب -المكتب الإسلامي- الطبعة الثالثة.
- جامع البيان في تفسير القرآن، للإمام أبي جعفر محمَّد بن جرير الطبري، الطبعة الثالثة، مصور عن الطبعة الأولى، طبع دار المعارف للطباعة.
- جامع العلوم والحكم، للحافظ زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي - مكتبة الرياض الحديثة.
- الجامع الصحيح، للحافظ أبي عيسى محمَّد بن عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق الشيخ أحمد محمَّد شاكر، ملتزم الطبع والنشر مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الثانية.

- الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمَّد بن أحمد القرطبي، الطبعة الثالثة.
- الرسالة، للإمام الشافعي، تحقيق أحمد محمَّد شاكر.
- روضة الطالبين، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.
- الروض المربع شرح زاد المستقنع، للإمام منصور البهوي الحنبلي، مطبوع مع حاشية الروض للشيخ عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى.
- سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، للعلامة محمَّد بن إسماعيل الصنعاني، من مطبوعات جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، بالرياض.
- سنن ابن ماجة، للحافظ أبي عبد الله محمَّد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق الشيخ محمَّد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تعليق عزت عبيد الدعاس، الناشر محمَّد بن علي السيد، الطبعة الأولى، عام ١٣٨٨ هـ.
- سنن الدار قطني، للحافظ علي بن عمر الدارقطني، تحقيق عبد الله ابن هاشم اليماني — نشر دار المحاسن للطباعة بالقاهرة.
- سنن الدارمي، للحافظ أبي محمَّد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، طبع بعناية محمَّد أحمد دهمان، نشر دار إحياء السنَّة النبويَّة.

- السنن الكبرى، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، نشر دار الفكر الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الهند.
- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، نشر دار إحياء التراث العربي.
- شرح السنة، للإمام البغوي، تحقيق زهير الشاويش، وشعيب الأرناؤوط، نشر المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى.
- شرح صحيح مسلم، للإمام محيي الدين بن شرف النووي، المطبعة المصرية.
- صحيح البخاري بشرح فتح الباري للحافظ الإمام أبي عبد الله محمَّد بن إسماعيل البخاري، نشر المكتبة السلفية.
- صحيح ابن خزيمة، للحافظ أبي بكر محمَّد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق الدكتور/ محمَّد مصطفى الأعظمي، نشر المكتب الإسلامي.
- صحيح مسلم، للحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمَّد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، للشيخ أبي الطيب محمَّد شمس الحق العظيم أبادي، تحقيق عبد الرحمن محمَّد عثمان، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة – الطبعة الثانية.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نشر المكتبة السلفية.

- فتح المبين بشرح الأربعين، للعلامة أحمد ابن حجر الهيتمي، من منشورات دار مكتبة الهلال بيروت.
- فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد، تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، بتحقيق محمَّد حامد الفقي، الطبعة السابعة، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.
- القاموس المحيط، للشيخ محمَّد بن يعقوب الفيروزأبادي، نشر المؤسسة العلمية للطباعة والنشر.
- لسان العرب المحيط، للعلامة ابن منظور، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، نشر دار لسان العرب، بيروت، لبنان.
- المبسوط، للإمام شمس الدين السرخسي، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، لبنا ن.
- مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمَّد بن قاسم، الطبعة الأولى، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة.
- المجموع شرح المهذب، للإمام محيي الدين بن شرف النووي، تحقيق وتكملة محمَّد نجيب المطيعي، نشر المكتبة العالمية بالفجالة.
- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، نشر المكتب الإسلامي، دار صادر بيروت.
- مسند الحميدي، للحافظ أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر المجلس العلمي.

- المصنف، للإمام الحافظ عبد الله بن محمَّد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق عامر العمري الأعظمي، نشر دار السلفية، بومباي، الهند.
- المصنف، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق وتعليق/ حبيب الرحمن الأعظمي، نشر المجلس العلمي.
- معالم السنن، للإمام أبي سليمان أحمد بن محمَّد الخطابي (مطبوع بهامش مختصر سنن أبي داود للمنذري).
- المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق وتخريج حمدي عبد المجيد السلفي الطبعة الأولى، مطبعة الدار العربية للطباعة ببغداد.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين، نشر مكتبة بويل في مدينة ليدن.
- المغني، لابن قدامة، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، ود/ عبد الفتاح محمَّد الحلو، هجر للطباعة والنشر والإعلان، القاهرة، ١٤١٨هـ.
- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، تحقيق/ محمَّد فؤاد عبد الباقي، نشر إحياء التراث العربي.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمَّد الجزري، المعروف بابن الأثير، تحقيق/ طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمَّد الطنامي، الطبعة الثانية.
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، للشيخ محمَّد بن علي الشوكاني، طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي، بمصر.

الفقه

برنامج الدبلوم المستوى الأول


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين

أمَّا بعد

فهذا منهج الفقه المقرَّر لدورات الأئمَّة والخطباء، ويهدف إلى:

١- التعريف بالعبادات وكيفيَّة أدائها.

٢- التعريف ببعض أحكام اللباس وأحكام الأسرة المسلمة.

٣- التعريف ببعض الآداب الإسلاميَّة.

٤- تحقيق المتابعة للنبيِّ ﷺ عن علم وبصيرة.

والمقرر مختار ليناسب الملتحقين بالدورات من حيث المحتوى وسهولة مفرداته، ومن حيث اشتماله على أهمِّ ما يحتاجه الطالب في هذه المرحلة.. ويشمل قسم العبادات في الفقه الإسلامي وبعض أحكام اللباس والأسرة المسلمة.

وصلى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

مقدمة في أهميَّة الفقه

أهمية التفقه في الدين وفضله:

للتفقُّه في دين الله أهمية كبرى وفضل عظيم وفوائد عديدة يتضح ذلك في الآتي:

١- بالتفقُّه في الدِّين يصح الاعتقاد وتصح العبادة والمعاملة، لبناء كل منها على أصله الصحيح ومبادئه الشرعية.

٢- التفقُّه في دين الله وسيلة تحقق العبودية لله، ووسيلة السير على الطريق المستقيم، وضمان السلامة من الجهل والخطأ.

٣- التفقُّه في الدِّين طريق إلى الجنة، كما ثبت ذلك في الحديث.

٤- أنَّه وسيلة لخشية الله، ودلالة على إرادة الخير للعبيد، (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ) [١].

٥- مما يدل فضل التفقه في دين الله:

أ- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر: ٢٨].

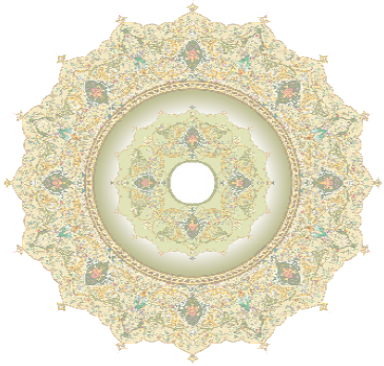
ب- قوله ﷺ: (مَن سلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طريقًا إلى الجنَّةِ)[٢].

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم ورقمه (١٣).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم ورقمه (١٠).

ج- قوله ﷺ (لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ) أحدهما: (آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهو يَقْضِي بهَا ويُعَلِّمُهَا)[1].

أثر التفقه في قبول العمل:

حين يشترط لقبول العمل: الإخلاص والمتابعة، فإنَّ التفقُّه في دين الله هو وسيلة الإخلاص لله في العمل، وطريق المتابعة للرسول ﷺ، لأنَّ الفقه في الدِّين يحمي العامل مِن أن يتوجه بعمله لغير الله، ويضمن له العمل الصحيح، فيخلص لله في جميع أعماله، ويؤدِّي عبادته، ويتعامل مع غيره على وفق ما جاء عن رسول الله ﷺ من القرآن الكريم والسنة المطهرة، فتكون أعماله لله، مبنية على تعاليم الإسلام و آدابه.



(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم ورقمه (١٥).



الطهارة

الطهارة

تعريف الطهارة:

في اللغة: النَّظافة والنَّزاهة.

وفي الشَّرع هي قسمان:

الأول: الطهارة المعنويَّة، بتطهير الباطن من الكفر والنفاق والاعتقاد الباطل، وتطهير القلب من أمراض القلوب، وتطهير الجوارح من اقتراف الآثام.

الثاني: الطهارة الحسيَّة، وهي ارتفاع الحدث وزوال الخبث، والحدث يشمل الحدث الأصغر والأكبر.

فالطهارة من الحدث الأصغر: بالوضوء، أو بالتيمم عند العجز عن استعمال الماء، لفقده أو خوف الضرر باستعماله، والطهارة من الحدث الأكبر: بالغسل، أو بالتيمم، والطهارة من الخبث وهو النجاسة، بإزالة عينها وغسل محلِّها حتى الإنقاء.

ولقد جاء الإسلام داعيًا إلى الطهارة الحسية والمعنويّة بأوامره ونواهيه وتشريعاته ومن ذلك:

أ- النصوص الداعية إلى تطهير الباطن، وتطهير الظاهر وتطهير الجوارح.

ب- أنَّه جعل الطهارة شرطًا للصلاة، بالوضوء من الحدث الأصغر وبالاغتسال من الحدث الأكبر.

ج- أمره بالاغتسال للجمعة.

د- الحث على مراعاة سنن الفطرة.

هـ- الحث على نظافة البيئة والطرقات.

وسائل التطهير:

١- الماء وهو الوسيلة الأمُّ في التطهير ورفع الحدث وفي تطهير المتنجسات.

٢- التراب، وهو بدل عن الماء في رفع الحدث.

٣- وسائل النظافة المساعدة، سواء أكانت قديمة كالسدر أو حديثة كالصابون والمطهرات المختلفة.

المياه

الماء ثلاثة أقسام، ويجعلها بعضهم قسمَيْن فقط:

الأول: الماء الطهور، وهو الماء المطلق الباقي على صفته التي خلق عليها، كمياه البحار والأنهار والآبار والأمطار والعيون، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾[الفرقان: ٤٨]، وقوله ﷺ في ماء البحر: (هو الطَّهُور ماؤُه، الحِلُّ مَيْتَتُه) [١].

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٦١) وأبو داود (رقمه ٨٣) والترمذي رقمه (٦٩) وقال الترمذي: حسن صحيح.

حكمه: أنَّه طاهر في نفسه مطهر لغيره، ولهذا يستعمل في رفع الأحداث وإزالة النجاسات، قال تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ﴾[الأنفال: ١١].

أنواعه:

١- الماء المطلق غير المتغير، مثل ما ذكر.

٢- الماء المتغير بشيء طاهر لم يتغير معه مسمَّى الماء، مثل المتغير بطول المكث، أو بورق الشجر، أو بالصابون ونحوه من المطهرات، وهذا التغير لا أثر له على الماء الطهور فحكمه أنَّه باق على طهوريته.

٣- الماء الذي تغيَّر تغيُّرًا كثيرًا نقله عن مسمَّى الماء المطلق إلى مسمَّى آخر بحسب ما تغيَّر به، كما إذا تغيَّر بطبخ شاي فيه فيصبح شاياً، أو بلحم فيصبح مرقًا، أو يضاف إليه شيء يتغير به كإضافة مسحوق العصير .. إلخ، وهذا التغير له أثرُه في الماء، فلا يبقى له حكم الماء الطهور، فلا يرفع حدثًا ولا يزيل نجسًا، وهذا النوع يُدْخِلُه البعض في قسم الطاهر.

القسم الثاني: الماء الطاهر:

ومنه الماء المستعمل في رفع الحدث، وبعضهم يجعله من الماء الطهور، وهو الأقرب.

القسم الثالث: الماء النجس:

وهو الماء الذي تغير لونه أو طعمه أو ريحه بنجاسة، كماء تغير لونه بدم مسفوح، أو تغيرت رائحته بميتة ساقطة فيه.

وحكمه: أنه لا يجوز استعماله في الطهارة من الحدث ولا في إزالة النجاسة، كما لا يجوز استعماله في أكل أو شرب، ويتنجس ما وقع عليه من بدن أو ثوب أو بقعة [١].

آداب قضاء الحاجة [٢]

أ) الآداب الواجبة:

١- ستر العورة عن أعين الناس أثناء قضاء الحاجة.

٢- تجنب استقبال القبلة أو استدبارها حال قضاء الحاجة في الخلاء؛ الحديث:(إذا أَتَيتُم الغائطَ فلا تَستقبِلوا القِبْلةَ بغائطٍ ولا بَولٍ، ولكن شَرِّقوا أو غَرِّبوا). [٣]

٣- تجنُّب قضاء الحاجة في طرق الناس وأَفْنِيَتِهم وظِلِّهم وأماكن جلوسهم، ومن ذلك الأسواق والحدائق العامَّة؛ لحديث: (اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ، قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِم) [٤].

٤ - الاستنجاء أو الاستجمار، والاستنجاء أفضل؛ لأنَّه أنقى.

٥- تجنُّب البول في الشقوق والجحور؛ لأنَّه ربَّما كان فيها دوابُّ فيؤذيها أو تضرُّه.

٦- تجنُّب مس الفرج باليد اليمنى، أو الاستنجاء أو الاستجمار بها.

---

(١) ينظر في موضوع المياه: كتاب الاختيار لتعليل المختار ١/ ١٣- ١٥ وقوانين الأحكام الشرعية لابن جزي ص٣٢ والثمر الداني ص٣٥، ومتن أبي شجاع ص١٠ وكفاية الأخبار ١/ ١٦ ومنار السبيل ١/ ٩.

(٢) ينظر في الآداب: التذهيب في أدلة متن الغاية والتقريب ص٢٠، ومنار السبيل ١/ ٢٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة رقم (٣٩٤)، ومسلم في كتاب الطهارة رقم ٦٠٩.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة رقم ٦١٨.

ب- الآداب المستحبة:

١- الابتعاد عن النَّاس في حال قضاء الحاجة، في الصحراء ونحوها.

٢- تقديم الرِّجل اليسرى عند الدخول، واليمنى عند الخروج.

٣- قول الذِّكْرِ المشروع عند الدخول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخبُثِ والخَبائثِ، وعند الخروج: (غُفْرانَكَ)[١].

٤- عدم الكلام حالَ قضاء الحاجة.

٥- عدم الدخول بشيء فيه ذِكْرُ الله إلا أن يخاف عليه السرقة.

تنبيه:

يشترط لما يُسْتَجمَر به من حجر أو نحوه ما يأتي:

١- أن يكون طاهرًا، فلا يجوز الاستجمار بشيء نجس.

٢- أن يكون مباحًا، فلا يجوز الاستجمار بمغصوب أو مسروق.

٣- أن يكون منقيًا للمحل، فلا يصح الاستجمار بما لا ينظِّف المحل كالشيء الأملس.

٤ - ألا يكون محترمًا كالطعام والنقود أو ما فيه ذِكْرُ الله.

٥- ألا يكون عظمًا ولا روثا، لحديث سلمان ﷺ: (نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أوَ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِاليَمِينِ، أَوْ أَنْ نسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلاَثَةِ أَحْجَارٍ. أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ)[٢].

(١) ينظر الحديث رقم (١٤٢) في البخاري ورقم ٨٣١ في مسلم ورقم (٣٠) في أبي داود.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة رقم (٦٠٦).

الوضوء

أ- تعريفه:

الوُضوء بضمِّ الواو: الفعل، والوَضوء بفتحها: الماء الذي يُتوضَّأ به.

وهو لغةً مشتق من الوَضاءة وهي الحُسن.

وشرعًا: هو استعمال الماء في أعضاء مخصوصة بنيَّة الطهارة من الحدث، أو بنيَّة رفع الحدث، أو بنيَّة العبادة التي شُرِعَ لها الوضوء.

ب- مشروعيَّته

الوضوء مشروع على سبيل الوجوب للصلاة والطواف ومسِّ المصحف. ومما يدلُّ على مشروعيَّته قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]. الآية، وقوله ﷺ: (لا يقبلُ اللهُ صلاةَ أحدِكُم إذا أَحْدَثَ حتَّى يتوضَّأ) [١].

وفي الوضوء فضل عظيم يدلُّ عليه أحاديث كثيرة منها:

١- حديث: (مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، خَرَجَتْ خَطايَاهُ مِنْ جَسَدِه، حتَّى تخرُجَ مِن تَحْتِ أظْفارِهِ) [٢].

٢- حديث: (أَلا أَدُلُّكُمْ عَلى مَا يمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلى يَا رسولَ اللَّهِ. قَالَ: إِسْباغُ الْوُضُوءِ عَلى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخطى إِلى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بعْد الصَّلاةِ، فَذلِكُمُ الرِّباطُ، فَذلكُمُ الرِّباطُ) [٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء رقمه (١٣٥).
(٢) أخرجه مسلم في كتابه الطهارة رقمه (٥٧٨).
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة رقمه (٥٨٧).

ج- صفة الوضوء:

إذا أراد المسلم الوضوء لما يشرع له الوضوء كالصلاة ونحوها فإنَّه يتبع الخطوات الآتية:

١- يستحضر النيَّة بقلبه ويقول: باسم الله، والنيَّة شرط لصحَّة الوضوء.

٢- يغسل كفَّيْه ثلاثًا، وهو سنَّة إلا لقائم من نوم ليل.

٣- يَتَمَضْمَضُ ويَسْتَنْشِقُ وَيَسْتَنْثِرُ، ثلاثَ مرَّاتٍ.

٤- يغسل وجهه من منابت شعر الرأس إلى ما انحدر من اللَّحْيَيْنِ والذَّقَن طولا، ومن الأذن إلى الأذن عرضًا ثلاث مرات، ويسن تخليل اللحية إذا كانت كثيفة.

٥- يغسل يده اليمنى من أطراف الأصابع إلى المرفق ثلاث مرات، ثم اليسرى كذلك، ويخلل ما بين أصابعه.

٦- يبلل يديه بالماء ثمَّ يمسح رأسه، من مقدَّمِه إلى قفاه ثمَّ يعيدهما إلى مقدَّمِه مرَّة واحدة، ويمسح وسط أذنيه بسبابتيه، وظاهرهما بإبهاميه.

٧- يغسل رجله اليمنى إلى الكعبين، ثلاث مرات ثم اليسرى كذلك ثلاث مرات، وتقديم اليمنى على اليسرى في غسل اليدين والرجلين: سنَّة.

د- فروض الوضوء:

١- غسل الوجه من منابت شعر الرأس إلى الذَّقَن طولاً، ومن الأذن إلى الأذن عرضًا.

٢- غسل اليدين من أطراف الأصابع إلى المرفقين، وهما داخلان في وجوب الغسل.

٣- مسح كل الرأس، ومنه الأذنان.

٤ - غسل الرِّجْلَين مع الكعبين.

٥- الترتيب بين الأعضاء المذكورة.

٦- الموالاة في غسل الأعضاء.

وما عدا ذلك مما ذُكر في الصفة فهو سنَّة .

هـ- نواقض الوضوء:

١ - الخارج من السبيلين (القُبل والدُّبر) كالبول والغائط والريح؛ لقوله ﷺ: (لا يقبلُ اللهُ صلاةَ أحدِكُم إذا أحدَثَ حتَّى يتَوضَّأ) [١].

٢- البول والغائط إذا خرجا من غير السبيلين، كمن أُجْرِيَتْ له عمليَّة جراحيَّة في المسالك البولية ففتح له فتحة للبول.

٣- زوال العقل أو تغطيته بنوم أو إغماء أو تخدير كامل، أو سُكْرٍ، ونحو ذلك إلا يسير النوم فلا ينقض.

٤ - مس الفرج (القُبل أو الدُّبر) مباشرة من غير حائل.

٥- أكل لحم الإبل، ولا يدخل في ذلك لَبَنُها أو مرَقُ لحمها، ونحو ذلك .

و- ما يجب له الوضوء وما يسنُّ له:

يجب الوضوء للصلاة ومسِّ المصحف والطواف حول الكعبة المشرفة.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، رقم (١٣٥).

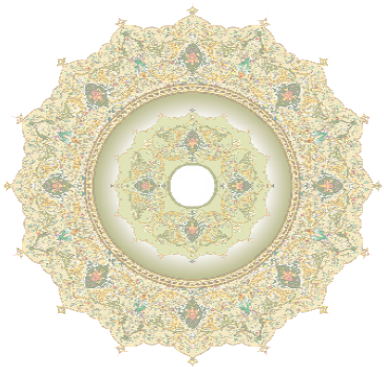
ويسنُّ في أحوال كثيرة منها:

١- قراءة القرآن من غير المصحف.

٢- النوم.

٣- الغضب.

٤- الدعاء



الغسل [1]

تعريفه:

هو تعميم البدن كلِّه بالماء بنيَّة رفع الحدث الأكبر، أو بنيَّة ما يسنُّ له الغسل كصلاة الجمعة.

مشروعيَّته:

الغسل مشروع وجاءت النصوص الشرعيَّة بالأمر به، وهو إمَّا مشروع على سبيل الوجوب إذا وجد سبب من أسباب وجوبه وهي موجباته، أو على سبيل السنيَّة في حالات معيَّنة.

ويدلُّ على مشروعيتَّه نصوص كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾[المائدة: ٦]، وقوله ﷺ:(إذا فَضخْتَ الماءَ فاغتسِلْ) [2]، وقوله ﷺ: (غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ) [3].

أنواعه:

لما سبق فالغسل نوعان:

الأول: الغسل الواجب، وهو الغسل لرفع الحدث الأكبر إذا وجد موجبه.

الثاني: الغسل المستحب أو المسنون فيما يُشرع له كالغسل للجمعة.

(١) ينظر في الغسل: الاختيار ١/ ١١ وقوانين الأحكام الشرعية ٢٨ وكفاية الأخبار ١/ ٧٤ ومنار السبيل ١/ ٦٩.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الغسل ورقمه (٢٦٩).
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الغسل ورقمه (٨٧٩).

النوع الأول الغسل الواجب:

موجباته.

يجب الغسل عند حصول أحد الأمور الآتية:

١- خروج المنيِّ مِن مخرجه المعتاد دَفِقًا بلذَّة، باحتلام أو في يقظة، ويدلُّ عليه حديث علي ﷺ: (إذا فَضخْتَ الماءَ فاغتسِلْ) [١].

٢- حصول الجماع بإيلاج الحشَفَةِ في الفَرْج وإن لم يُنزِل؛ لحديث: (إذا جَلَسَ بيْنَ شُعَبِها الأرْبَعِ، ثُمَّ جَهَدَها فقَدْ وجَبَ الغَسْلُ)، وفي رواية: (وإنْ لم يُنزِلْ).

٣- خروج دم الحيض أو النِّفاس من المرأة، لحديث عائشة ﷺ: (إذَا أقْبَلتِ الْحَيْضَةُ فَدَعِي الصَّلاَةَ وإذَا أدْبَرَتْ فاغْسِلِي عَنْكِ الدَّمَ وصَلِّي) [٢].

٤- إسلام الكافر، فإذا أَسْلَمَ وجب عليه الاغتسال لما ورد عن النبيِّ ﷺ أنَّه أَمَرَ مَن أسْلَمَ بالاغتسال.

٥- الموت، فإذا مات المسلم وجب تغسيله، لقوله ﷺ: (اغْسِلْنَها)[٣]

أحكام الجنابة:

من أحكام الجنابة:

١- أنَّه يَحرُم على الجنب:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الغسل، ورقمه (٢٩١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحيض، ورقمه (٣١٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز من حديث أم عيطة في صفة غسل ابنة رسول الله ﷺ رقمه (١٢٣٥).

أ- الصلاة.

ب - الطواف بالبيت.

ج- مسُّ المصحف .

د- قراءة القرآن.

هـ- الاعتكاف.

٢- تُستحبُّ المبادرة إلى الاغتسال من الجنابة؛ لأنَّه أمانة من الأمانات التي بين العبد وربِّه.

٣- يُستحبُّ للجنب الوضوء إذا أراد النَّوم أو الأكل أو معاودة الوطء قبل الاغتسال.

٤- الأحداث تتداخل، فإذا اجتمع عليه موجبان للغسل ونوى أحدهما ارتفع الآخر.

كما يدخل الحدث الأصغر بالأكبر .

النوع الثاني: الغسل المسنون:

يسنُّ الغسل في مواضع منها:

١- الغسل للجمعة؛ لحديث: (إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ)[١].

٢- الغسل من تغسيل الميت؛ لحديث: (مَن غسَّل ميِّتًا فليغتسِلْ ومَن حمَله فليتوضَّأْ) [٢].

٣- الغسل للإحرام، لفعله ﷺ، حيث تجرَّد لإهلاله واغتسل، ولأمرِهِ أسماءَ أن تغتسلَ.

(١) أخرجه البخاري في الجمعة ورقمه (٨٤٧).
(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٨٠).

٤ - الإفاقة من الإغماء والجنون، لأمره ﷺ به في الإغماء ومثله الجنون.

٥- لدخول مكَّة، لفعل ابن عمر وقوله: إنَّه من فعل الرسول ﷺ.

٦- للوقوف بعرفة.

٧- للعيدين قياسًا على الجمعة.

صفة الغسل:

الغسل المجزئ هو تعميم البدن بالماء مع النيَّة.

والغسل الكامل: أن ينوي ثم يسمِّي، ثم يغسل كفَّيْه ثلاثًا، ثم يغسل فرجه، ثم يتوضَّأ وضوءه للصلاة، ثم يخلِّل شعر رأسه بالماء حتى يُرويَه، ثم يُفيض الماءَ على رأسه ثلاث مرَّات، ثم يغسل سائر جسده مبتدئًا بجانبه الأيمن ثم الأيسر مع الدلك بإمرار اليد على ما يستطيعه من جسده، مع ملاحظة الاقتصاد في الماء.

ويدل على صفة الغسل أحاديث منها حديث عائشة رضي الله عنها: (كَانَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ إِذَا اِغْتَسَلَ مِنْ اَلْجَنَابَةِ يَبْدَأُ فَيَغْسِلُ يَدَيْهِ، ثُمَّ يُفْرِغُ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ، فَيَغْسِلُ فَرْجَهُ، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ، ثُمَّ يَأْخُذُ اَلْمَاءَ، فَيُدْخِلُ أَصَابِعَهُ فِي أُصُولِ اَلشَّعْرِ، ثُمَّ حَفَنَ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ حَفَنَاتٍ، ثُمَّ أَفَاضَ عَلَى سَائِرِ جَسَدِهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ) [1]

(١) أخرجه البخاري في كتاب الغسل، ورقمه (٣٤٥) ومسلم في الطهارة، رقمه (٧١٨).

التيمم [1]

في اللغة: القصد، وفي الشرع: مسح الوجه واليدين بالصعيد الطاهر بنيَّة الطهارة بكيفية مخصوصة.

مشروعيَّته:

التيمم مشروع في الإسلام عند فقد الماء أو العجز عن استعماله لمرض و نحوه، إمَّا على سبيل الوجوب لما تجب له الطهارة، أو على سبيل السنيَّة لما تسنّ له.

وهو من خصائص أمَّة محمَّد ﷺ، وقد دلَّ على مشروعيَّته الكتاب والسنَّة والإجماع.

من الكتاب قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾[المائدة: ٦].

ومن السنة قوله ﷺ في حديث عمَّار بن ياسر: (إنَّما كانَ يَكْفِيكَ أنْ تَقُولَ هَكَذَا وضَرَبَ بيَدَيْهِ إلى الأرْضِ فَنَفَضَ يَدَيْهِ فَمَسَحَ وجْهَهُ وكَفَّيْهِ) [2].

وأجمع العلماء على مشروعيَّته.

الحكمة من مشروعيته:

شرع التيمم لحكم عظيمة، منها:

١- التيسير على الأمَّة ودفع المشقة عنها عند العجز عن استعمال الماء.

(١) ينظر: الاختيار ١/ ٢٠ وقوانين الأحكام الشرعية ص٣٩ وكفاية الأخيار ١/ ١٠١ والعدة شرح العمدة، ص٤٩.

(٢) أخرجه البخاري في التيمم، ورقمه: (٣٣٨) ومسلم في الطهارة ورقمه (٧١٨).

٢- دفع الضرر الذي قد يحصل باستعمال الماء أحيانًا، كالمرض أو شدة البرد.

الأسباب المبيحة للتيمم:

يشرع التيمم في الحالات الآتية:

١- عند فقد الماء لقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾. ويجب البحث عن الماء فيما حوله وما قرب منه.

٢- عند العجز عن استعمال الماء، وإن كان موجودًا، كما في حالات المرض أو الكبير أو المكتوف ونحوهم ممن لا يستطيع الحركة أو من لا يستطيع إخراج الماء من البئر ونحوهم.

٣- خوف الضَّرر باستعمال الماء، كالمريض الذي يخشى زيادة المرض باستعماله، وفي حالة شدَّة البرد إذا عدم ما يُسَخَّنُ به الماء.

٤ - الحاجة إلى الماء للشرب ونحوه، وإذا كان لا يزيد عن حاجته لذلك.

ما يُتيمَّم به:

يتيمم بما على وجه الأرض من الصعيد الطيب، وشروطه:

١- أن يكون طاهرًا.

٢- أن يكون مباحًا.

٣- أن يكون له غبار.

صفة التيمم:

أن ينوي، ثم يضرب الصعيد بيديه ضربة واحدة، ثم ينفخهما

لتخفيف ما علق بهما من تراب أو غبار، ثمَّ يمسح وجهه بهما مرة واحدة، ثم يمسح ظاهر كفيه، يمسح ظاهر اليمنى بباطن اليسرى، وظاهر اليسرى بباطن اليمنى، وإن جعلها ضربتين ضربة للوجه وأخرى للكفين فلا بأس لورود كل منهما، كما في حديث عمار السابق.

فروضه:

أ- مسح الوجه.

ب- مسح اليدين إلى الكوعين.

ج- الترتيب فيبدأ بمسح الوجه ثم اليدين.

د- الموالاة بين مسح الوجه واليدين.

مبطلات التيمم:

يبطل التيمم ما يلي:-

١- وجود الماء أو القدرة على استعماله.

٢- حصول ناقض من نواقض الوضوء، كالبول والغائط.

٣- حصول موجب من موجبات الغسل، كالجنابة والحيض.

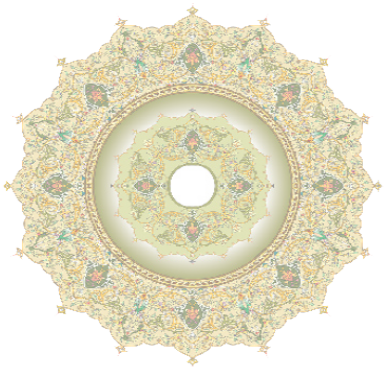
٤- قيل: يبطل التيمم بخروج الوقت، والراجح عدم بطلانه بذلك.

طهارة دائم الحدث:

إذا كان مع الإنسان حدث دائم كالمصاب بسَلسِ البول، فإنه يتوضأ أو يتيمَّم عند فقد الماء أو العجز عن استعماله عند إرادة الصلاة ونحوها ويتحفظ بما يمنع تلويث المسجد أو المصلَّى، ثم يصلي، ولا يلتفت إلى ما يخرج منه بعد الوضوء.

طهارة فاقد الماء والتراب:

إذا فقد الإنسان الماء والتراب أو كان لا يقدر على استعمالهما كمريض لا يستطيع ذلك ولم يجد من يحضرهما له، أو المحبوس في مكان لا ماء به ولا ما يتيمَّم به، أو رجل به حروق لا يستطيع معها استعمال الوضوء والتيمم فإنَّه في هذه الحالة يصلي على حسب حاله وإن لم يتطهر، ولا يجوز له ترك الصلاة أو تأخيرها. لقول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن: ١٦].



المسح على الحوائل [1]

تعريف المسح:

المسح: إمرار اليد المبللة بالماء على الحائل من خُفٍّ ونحوه.

تعريف الحوائل: هي جمع حائل، والمراد ما يلبس على القدمين من جلد أو غيره، كما تشمل الحوائل العمامة والجبيرة.

الخفُّ: ما يلبس على الرِّجل من جلد.

الجورب: ما يلبس على الرِّجل من الصوف أو القطن ونحوهما.

الجبيرة: ما يشد على العضو المكسور من جبس أو عيدان ونحوهما، وتشمل أيضًا: اللصوق، وهو ما يلصق على الجرح. والعصابة، وهي ما يعصب به الجرح أو الرض أو الحرق من قماش ونحوه للتداوي.

الحكمة في مشروعية المسح على الحوائل:

أ- رفعا للحرج عن الأمَّة.

ب- دفعًا للمشقة الحاصلة بخلع الحوائل عند كل وضوء لاسيَّما أيام البرد.

ج- دفعًا للضرر الذي قد يحصل بخلع الجبيرة ونحوها، عند كل وضوء.

(١) ينظر: اللباب ١/ ٣٦، وقوانين الأحكام الشرعية ص٤١، والتذهيب في أدلة الغاية والتقريب ص٢٩ والعدة، ص٤٠.

أولاً: المسح على الخفين والجوربين:

١- مشروعيته:

المسح على الخفين والجوربين جائز ورخصة من الرخص الشرعية دلَّ عليها أحاديث كثيرة منها: حديث المُغِيرَةَ بنِ شُعْبَةَ ﷺ قال: كنتُ مع النبيِّ ﷺ في سفر فأَهْوَيتُ لأنْزِعَ خفَّيْه فقال: (دَعْهُمَا، فإنِّي أدْخَلْتُهُما طَاهِرَتَيْنِ فَمَسَحَ عليهمَا) [١].

٢- شروط المسح على الخفَّين والجوربين:

أ- لبسهما على طهارة.

ب- سترهما للقدمين إلى الكعبين، وعليه فلا يمسح على ما لا يستر كالشفاف وما به خروق واسعة وما كان دون الكعبين.

ج- أن يكونا طاهرين بأن تكون مادتهما طاهرة، وعلى ذلك، فالمصنوع من مادة نجسة لا يصح المسح عليه كالمصنوع من جلد الخنزير.

د- أن يكونا مباحين، وعليه فلا يصحُّ المسح على الخف أو الجورب المحرم كالمسروق والمغصوب.

هـ- أن يكون المسح في الوضوء؛ وعليه فلا يصحُّ المسح في الاغتسال عن الحدث الأكبر.

و- أن يكون المسح في المدة المحدَّدة للمسح وهي يوم وليلة للمقيم وثلاثة أيَّام بلياليها للمسافر.

٣- صفة المسح:

يمسح أعلى الجورب ونحوه من أصابع رجليه وساقيه بكلتا يديه،

(١) أخرجه البخاري في التيمم، رقمه (٣٠٣)، ومسلم في الطهارة ورقمة (٦٣١).

وهما مبللتان بالماء مرة واحدة، يمسح الخف الأيمن باليد اليمني، والأيسر باليد اليسرى، ولا يمسح أسفل الخف ولا عقبه لحديث علي ﷺ: (لو كان الدِّينُ بالرَّأي، لكانَ باطِنُ القَدَمينِ أحقَّ بالمسحِ مِن ظاهِرِهما، وقد مسَحَ النبيُّ ﷺ على ظَهرِ خفَّيْهِ) [1].

٤- مدَّته:

يوم وليله للمقيم، وثلاثة أيام بلياليها للمسافر، وتبدأ المدَّة من أول مسح بعد الحدث، ويدلّ على ذلك أحاديث منها: حديث علي ﷺ: (جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ لِلْمُسَافِرِ وَيَوْمًا وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ) [2].

ثانيًا: المسح على الجبائر:

١- مشروعيَّته:

يشرع المسح على الجبيرة ونحوها مما يشد على الكسر أو الجرح للتداوي بشرط ألا تتجاوز موضع الحاجة مما يراد علاجه، وما حوله مما يحتاج إليه لتثبيت الجبيرة، دفعا للضرر الحاصل بخلعها.

٢- كيفيته:

إذا وصل المتوضّئ أو المغتسل إلى غسل العضو الذي فيه الجبيرة فإنه يغسل ما حوله ويمسح على الجبيرة من جميع جوانبها.

ثالثا: الفرق بين المسح على الخفين والمسح على الجبائر:

١- أنَّه يشترط في المسح على الخفين لبسهما على طهارة ولا يشترط ذلك في المسح على الجبيرة.

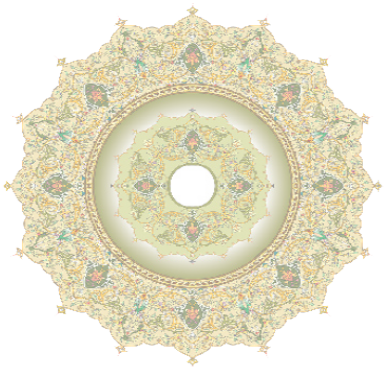
(١) أخرجه أبو داود في الطهارة ورقمه: (١٦٢) وصحح ابن حجر إسناده في التلخيص الجبير (١/ ١٦٠)

(٢) أخرجه مسلم في الطهارة ورقمه (٦٣٩).

٢- أنّه يشرع المسح على الخفين في الطهارة الصغرى فقط بينما يشرع المسح على الجبيرة في الطهارتين.

٣- أنَّ المدة في المسح على الخفين محدَّدة بما ذكر، أما في الجبيرة فليست محدَّدة، بل يمسح عليها إلى البرء.

٤- أنَّ الكيفية تختلف، ففي المسح على الخفين يمسح أعلى الخف، بينما الجبيرة تُسْتوعَب بالمسح.



الطهارة من النجاسة [1]

تعريف النَّجاسة في اللغة: القذر.

وفي الشرع: شيءٌ مستقذَرٌ شرعًا يمنع من صحَّة الصلاة.

أنواع النجاسة:

تطلق النجاسة ويراد بها أحد نوعين:

النوع الأوَّل: النجاسة العينيَّة أو الذاتيَّة، والمراد بهما: أن يكون الشيء نجسًا بذاته، مثل: البول والغائط والخنزير والكلب والدم المسفوح والميتة ... إلخ، وهذا النوع لا يمكن تطهيره، لأنَّ عينه نجسة، فلا يؤثر فيها التطهير.

النوع الثاني : النجاسة الحكمية، ويراد بها: الشيء الطاهر المتنجِّس بورود نجاسة عينيَّة عليه، فإذا ورد أو طرأ على الشيء الطاهر شيء من النجاسة العينيَّة فيقال: إنَّ هذا الطاهر متنجس أو نجس حكمًا، مثل: الثوب إذا أصابه البول، والماء إذا وقع فيه ميتة فتغير بها ونحو ذلك، وهذا النوع هو الذي يبحث في كيفية تطهيره. وهو الذي جاءت النصوص بالأمر بتطهيره.

مشروعيَّة تطهير النجاسة:

كثرت النصوص التي تدلُّ على تطهير المتنجسات على اختلاف درجات النجاسة، ومن ذلك:

---

(١) ينظر في النجاسات وكيفية تطهير المتنجس: الاختيار لتعليل المختار، وقوانين الأحكام الشرعية ص٤٥ ، وكفاية الأخيار ١/ ١٤٢، والملخص الفقهي ١/ ٥٤ ..

قوله ﷺ: (طهُورُ إِنَاءِ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، أُولَاهُنَّ بِالتُّرَابِ) [١]، ومن ذلك قوله ﷺ في تطهير بول الأعرابي وقد بال في المسجد: (أَهْرِيقُوا على بَوْلِه ذَنُوبًا مِن ماءٍ) [٢] – أي: دلوًا من ماء.

كيفية تطهير النجاسة:

النجاسات ليست على درجة واحدة، بل فيها النجاسة المغلَّظة ومنها المتوسطة ومنها المخفَّفة.

أ- النجاسة المغلَّظة، مثل: نجاسة الكلب، وكيفية تطهيرها: أن تُغسل سبع مرات أولاهن بالتراب، لما في الحديث السابق.

ب- النجاسة المخفَّفة، مثل: نجاسة بول الغلام الرضيع، وكيفية تطهيريها: أن تنضح بالماء بلا فرك وعصر، ويدل على ذلك حديث: (أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَبِيٍّ فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ فَدَعَا بِمَاءٍ فَأَتْبَعَهُ إِيَّاهُ) [٣].

ج- النجاسة المتوسطة: وهي ما بين ذلك، مثل: بول الآدمي والدم المسفوح، وكيفية تطهيرها: بغسلها مرَّات حتى تزول عين النجاسة وأثرها.

أمثلة على تطهير بعض النجاسات:

١- تطهير الماء المتنجِّس: يمكن تطهير الماء المتنجِّس بوسائل منها.

أ- إضافة ماء كثير إليه حتى يزول أثر النجاسة من لون أو طعم أو ريح.

ب- أن يكون ماءً كثيرًا فيطهر بالنزح منه بحيث يزول بهذا النزح أثر النجاسة من لون وطعم وريح.

(١) أخرجه البخاري في الطهارة ورقمه (١٢٧) ومسلم أيضًا ورقمه (٦٥١).
(٢) أخرجه البخاري في الطهارة ورقمه (٢٢٠).
(٣) أخرجه البخاري في الطهارة ورقمه (٢٢٣).

ج- تنقيته بوسائل وآلات التنقية الحديثة، بحيث يصبح بعد التنقية نقيًّا من لون وطعم وريح النجاسة، مثل ما يعمل في معالجة مياه الصرف الصحي، إذا بلغت التنقية درجة النقاء الكامل.

د- كما يمكن أن يطهر الماء بنفسه بزوال تغيُّره بالنجاسة بحيث يعود إلى وضعه الطبيعي.

٢- تطهير الأرض المتنجسة:

أ- إزالة عين النجاسة إن كانت ذات جرم.

ب- صبُّ ماء على موضع النجاسة من الأرض حتى يزول أثر النجاسة، ولو أزيل التراب الذي وقعت فيه النجاسة لكفى.

٣- تطهير الثياب ونحوها من الأقمشة وما ماثلها بغسلها بالماء مع الفرك والعصر حتى يزول أثر النجاسة.

٤- تطهير الأشياء الصقيلة بالمسح والدلك.

٥- تطهير جلود الميتة: جلود الميتات نجسة لنجاسة الميتة، ولكنها تطهر بالدباغ إذا كانت من حيوان طاهر في الحياة، وذلك بمعالجة الجلود ببعض المواد المطهِّرة حتى تلين ويذهب ما بها من قذر ونتن.

تنبيهات:

١- الأصل في الأشياء الطهارة حتى يُتيقن من نجاستها، فلا نجاسة بالشك.

٢- إذا خفي موضع النجاسة، فيلزم غسل المتنجِّس بها حتى يتقين من زوال النجاسة، فإذ علم بوقوع النجاسة على ثوبه أو على فراشه ولم يدر أين موضعها من الثوب أو الفراش لزمه غسله كله.

٣- بول مأكول اللحم وروثه طاهر؛ مثل الغنم، والبقر والأرانب والحمام ونحو ذلك.

الدماء الطبيعية [1]

أ- الحيض:

تعريفه لغة: السيلان، وشرعًا: هو دم طبيعي يرخيه رحم المرأة في أوقات معتادة.

مدَّته: أقله يوم وليلة، وقيل لا حدَّ لأقلِّه، وأكثره خمسة عشر يومًا وقيل: عشرة أيام، وغالب النساء تحيض ستًّا أو سبعًا.

ب- النفاس:

تعريفه: دم طبيعي يرخيه الرَّحم للولادة ويستمر بعدها.

مدَّته: غالب مدَّة النفاس أربعون يومًا، ولا حدَّ لأقلِّه، وفي أكثره خلاف، قال ابن المنذر: (أجمع أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم على أنَّ النفساء تدع الصلاة أربعين يومًا، إلا أن ترى الطهر قبل ذلك فتغتسل وتصلي).

ج- أهم أحكام الحيض والنفاس:

أ- ما يَمنع منه الحيض والنفاس:

١- الصوم والصلاة، فيحرم عليها أن تصلي أو تصوم حال الحيض والنفاس، ولو فعلت فلا يصحَّان منها، لقوله ﷺ لفاطمةَ بنتِ أَبِي حُبَيْشٍ: (فَإِذَا أَقْبَلَتْ حَيْضَتُكِ فَدَعِي الصَّلَاةَ) [2]، ولكنَّه يجب عليها قضاء الصوم دون الصلاة لقول عائشة: (فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ، ولَا نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ) [3].

---

(١) ينظر: متن القدوري مع اللبان ١/ ٤٢ والشرح الكبير للدردير ١/ ١٦٧ ومتن أبي شجاع ص٣٦، والعدة شرح العمدة، ص٥٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحيض، ورقمه (٣٢٠).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحيض، ورقمه (٧٦٣).

٢- الطواف بالبيت: لاشتراط الطهارة له، ولمنعها من دخول المسجد الحرام.

٣- وطء الزوجة الحائض في الفَرْج، ويجوز الاستمتاع بها بما دون ذلك، لقوله تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾[البقرة: ٢٢٢]، ولقوله ﷺ: (اصْنَعُوا كُلَّ شيءٍ إلَّا النِّكَاحَ)[١].

٤- الطلاق، لقوله تعالى: ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾[الطلاق: ١]، أي مستقبلات عدتهن بأن يكنَّ طاهرات من غير جماع، ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما، لما طلَّق في الحيض أمره ﷺ بمراجعتها.

٥- مسُّ المصحف.

٦- اللُّبث في المسجد.

ب- إذا طهرت المرأة من حيضها ونفاسها وجب عليها الاغتسال لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ﴾[البقرة: ٢٢٢].

ج- إذا طهرت الحائض أو النفساء قبل غروب الشمس وجب عليها أن تصلي الظهر والعصر لهذا اليوم.

وإذا طهرت قبل الفجر، فتصلي المغرب والعشاء، كما هو مذهب جمهور العلماء من المالكية والشافعية والحنابلة.

د- الكُدْرة والصفرة أثناء مدَّة الحيض حيض، وبعد الطهر لا تأثير لها.

هـ- علامة الطهر من الحيض خروج القُصَّة البيضاء أو انقطاع الدم.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحيض، ورقمه (٧٩٤).

الاستحاضة:

تعريفها: خروج الدم من قُبُلِ المرأة في غير وقته على سبيل النزيف.

أهم أحكام المستحاضة:

١- إذا كان لها عادة قبل استحاضتها، فإنها تجلس عادتها لا تصلي فيها ولا تصوم، وإذا انتهت أيام العادة فإنها تغتسل، ثم تصلي وتصوم لقول ﷺ: (إِنَّمَا ذَلِكِ عِرْقٌ، ولَيْسَ بِالحَيْضَةِ، فَإِذَا أَقْبَلَتِ الحَيْضَةُ فَاتْرُكِي الصَّلاَةَ، فَإِذَا ذَهَبَ قَدْرُهَا، فَاغْسِلِي عَنْكِ الدَّمَ، وصَلِّي) [١].

٢- إذا لم يكن لها عادة منتظمة قبل استحاضتها، ولكن الدم متميز فبعضه داكن ثخين له رائحة وبعضه أحمر لا رائحة له، فإنَّها تجلس أيَّام الدم الذي يحمل صفة الحيض فإذا انتهى فإنها تغتسل وتصلي، لحديث: (إذا كان دمُ الحَيضةِ، فإنَّه دمٌ أسودُ يُعرِفُ، فإذا كان ذلك، فأمْسِكي عنِ الصلاةِ، فإذا كان الآخَرُ فتَوَضَّئي وصَلِّي) [٢].

٣- إذا لم يكن لها عادة ولا تمييز، فإنها تجلس غالب الحيض ستة أيام أو سبعة من كل شهر؛ لأن هذا غالب عادة النساء، لقوله ﷺ: (فَتَحَيَّضِي سِتَّةَ أَيَّامٍ ، أَوْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، فِي عِلْمِ اللهِ، ثُمَّ اغْتَسِلِي) [٣].

٤- المستحاضة، تغسل فرجها وتتحفظ ثم تتوضأ عند دخول وقت كل صلاة، ولا تلتفت لما يخرج منها، ولو في الصلاة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحيض، ورقمه (٣٠٦).
(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة ورقمه (٣٠٤).
(٣) أخرجه أبو داود في الطهارة ورقمه (٢٨٧) والترمذي في الطهارة ورقمه (١٢٨) وقال: حديث حسن صحيح ص (١٦٤٥).

سنن الفطرة

جاء الإسلام بالحث على جملة من الخصال الحميدة الموافقة للفطرة السليمة، لأنَّ فاعلها يتصف بالفطرة التي فطر الله العباد عليها، من حبِّ النظافة، وجمال الهيئة، وحسن الخلقة، وهذه الخصال جاءت في أحاديث كثيرة، منها حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (خَمْسٌ أَوْ خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ الْخِتَانُ، وَالاِسْتِحْدَادُ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ، وَنَتْفُ الإِبِطِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ) [١]، ومنها حديث عائشة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (عشرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَنَتْفُ الإِبِطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ) [٢]، ومن هذين الحديثين وغيرهما يتَّضح أنَّ من أهم سنن الفطرة ما يلي:

١ - **السواك:** وهو استعمال عود الأراك ونحوه في تنظيف الأسنان، وهو سنَّة مؤكَّدة، أمر به رسول الله ﷺ، ورغَّب فيه، وبين فضله ومنافعه، كما في حديث عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: (السِّوَاكُ مَطهَرةٌ للفمِ مَرضاةٌ للرَّبِّ) [٣]، وكما في حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ) [٤]، وفي رواية: (عند كل وضوء) [٥].

---

(١) أخرجه الباري في كتاب اللباس، ورقمه: (٥٨٨٩) وأخرجه مسلم في كتاب الطهارة ورقمه (٥٧٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة ورقمه (٦٠٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصوم تعليقًا بصيغة الجزم انظر، ص١٥١.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ورقمه (٨٨٧).

(٥) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (أنظر ص١٥١ من الموسوعة).

ومن فوائده ومنافعه:

١- مطهرة للفم، لأنَّه ينظف الأسنان ويطهرها.

٢- مرضاة للرب، أي سبب لرضا الله عن العبد.

٣- يقوِّي اللثة، لما يرتب عليه من تنظيفها وتطييبها.

٤- يطيب رائحة الفم.

٥- وقاية للأسنان من التسوس.

٦- سبب لمضاعفة الحسنات.

ويتأكد في حالات منها:

١- عند الوضوء للحديث السابق.

٢- عند القيام للصلاة للحديث السابق.

٣- عند الانتباه من النوم، لحديث: (أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ كانَ إذا قامَ مِنَ اللَّيلِ ، يشوصُ فاهُ بالسِّواكِ) [(١)].

٤- عند قراءة القرآن، لتطييب رائحة الفم للقراءة.

٥- عند دخول المنزل لفعل النبي ﷺ.

٦- عند تغيير رائحة الفم، لتطييب رائحته.

٢- الاستحداد، وهو حلق العانة، (الشعر النابت حول القُبل) ويسمَّى استحدادًا، لاستعمال الحديدة في إزالة الشعر وهي الموسى ونحوها.

٣- الختان، وهو قطع الجلدة التي تغطي الحشَفَة، وفيه تطهير

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء ورقمه (٢٤٥) ومسلم في كتاب الطهارة ورقمه (٥٩٥).

الذَّكَر من النجاسة التي تتجمع تحت هذه الجلدة، وهو واجب في حقِّ الذكور، ومكرمة للإناث وفعله في زمن الصغر أفضل.

٤- قص الشارب، لما فيه من النظافة والتجمل ومخالفة الكفار.

٥- إعفاء اللحية، لما يترتب على إعفائها من امتثال أمر رسول الله ﷺ بقوله: (جُزُّوا الشَّوَارِبَ وَأَرْخُوا اللِّحَى، خَالِفُوا الْمَجُوسَ) [١]، ولما في ذلك من إبقاء مظهر الرجولة، ومخالفة الكفار.

٦- تقليم الأظافر، وهو قصها، لأن تركها سبب لتجمع الأقذار تحتها.

٧- نتف الإبط، والمراد إزالة الشعر النابت في الإبط سواء أزيل بنتف أو حلق أو غيرهما، لما في ذلك من النظافة وقطع الرائحة الكريهة.

٨- وهكذا ما أشير إليه في حديث عائشة من استنشاق الماء وغسل البراجم وانتقاص الماء. وغسل البراجم: تعاهد التجاعيد الموجود في مفاصل الأصابع. وانتقاص الماء: هو الاستنجاء، وهذه الأمور قد سبق الحديث عنها.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة ورقمه (٦٠٣)



الصلاة

تعريفها: التعبد لله بأقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم.

أنواعها:

الصلاة نوعان:

النوع الأول: الصلاة المفروضة، وهي نوعان:

١- المفروضة على الأعيان، بمعنى فرضيتها على كل مسلم، وهي الصلوات الخمس المكتوبة في اليوم والليلة، وصلاة الجمعة وفرضيتها على الرجال فقط.

٢- المفروضة على الكفاية، بمعنى فرضيتها على الأمَّة، إذا قام بها مَن يكفي سقط الإثم عن الباقين مثل: صلاة الجنازة.

النوع الثاني:

صلاة التطوع: وهي ما عدا الصلاة المفروضة من صلوات النوافل، كالوتر، والراتبة، وصلاة الضحى، وقيام الليل.

الصلاة المكتوبة:

منزلتها: للصلاة مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة في الإسلام يوضحها:

١- أنَّها الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين.

٢- أنها عمود الإسلام، والفاصل بين الإسلام والكفر.

٣- أنها فرضت على رسول الله ﷺ ليلة المعراج بلا واسطة.

٤- أنها تتكرر في اليوم والليلة خمس مرات، موزعة على ساعات اليوم والليلة لاستمرار الصلة بالله.

٥- أنها تجب على كل حال، في الحضر والسفر، وفي الصحة والمرض على حسب الاستطاعة.

٦- ما رتب الله عليها من فضائل عظيمة.

فضلها:

للصلاة فضل عظيم، وفيها فوائد ومنافع عظيمة، ومما يوضح ذلك:

١- أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

٢- فيها تقوية الصلة بالله.

٣- فيها تكفير السيئات وحط الخطيئات.

٤- أنها نور لصاحبها كما قال ﷺ: (الصلاة نور) [١].

٥- أنها سبب لدخول الجنة.

ومما يوضح هذه الفضائل:

(١) أخرجه مسلم في الطهارة ورقمه (٢٢٣).

أ- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾[العنكبوت: ٤٥].

ب- حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أَرَأَيْتُمْ لو أنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ منه كُلَّ يَومٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هلْ يَبْقَى مِن دَرَنِهِ شيءٌ قالوا: لا يَبْقَى مِن دَرَنِهِ شيءٌ، قالَ: فَذلكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا) [١].

ج- حديث ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال وقد سئل أي الأعمال أفضل؟ قال: (الصلاة على وقتها) [٢]أي أول وقتها.

من تجب عليه [٣].

تجب الصلاة المفروضة على كل مسلم بالغ عاقل ذكر أو أنثى، ويؤمر بها الصغير إذا بلغ سبعًا، تمرينًا له على هذه العبادة العظيمة، ويضرب على تركها إذا بلغ عشرًا ضربًا غير موجع، ويدل ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾[البقرة٤٣] في آيات كثيرة.

ب- حديث: (بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ)، وذكر منها: (وإقامِ الصلاةِ) [٤]

ج- (مُرُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ) [٥].

د- حديث ابن عباس: (فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ).

(١) أخرجها لبخاري في مواقيت الصلاة ورقمه (٥٢٨) ومسلم في المساجد ورقمه (٦٦٧).
(٢) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة ورقمه (٥٢٧).
(٣) ينظر في حكم الصلاة: الاختيار ١/ ٣٧١ وكفاية الأخيار ١/ ١٥٨ و٢/ ٥.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، رقم (٨)، ومسلم في كتاب الإيمان رقم (١٦).
(٥) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان رقم (٢٦٢١) وقال عنه: حديث حسن صحيح.

حكم تركها:

أ- من تركها إنكارًا لوجوبها فإنَّه كافر بإجماع المسلمين لأنَّه مكذِّب لله ورسوله.

ب- من تركها متعمِّدًا تهاونًا وكسلاً، فإنَّه يُدعى إلى الصلاة ويكرَّر عليه ذلك، وتُعرض عليه التوبة، فإن تاب وصلَّى وإلا فالواجب على ولي الأمر قتله.

قال ﷺ: (الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ) [1].

حكم تأخير الصلاة عن وقتها:

لا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها، لأنَّ الله فرضها في أوقات معلومة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، أي مفروضًا في الأوقات، وقال: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[الماعون: ٤].

أي: الذين يؤخِّرون الصلاة عن وقتها.

ويستثنى من ذلك حالات العذر، ومنها

١- حالة الجمع، إذا كانت الصلاة يجوز جمعها مع الصلاة التي بعدها ممن يجوز له الجمع.

٢- في حالة النوم، كنائم لم يستيقظ إلا بعد خروج الوقت.

٣- في حالة النسيان، قال ﷺ: (مَن نَسِيَ صلاةً فلْيُصَلِّها إذا ذَكَرَها، لا كفارةً لها) [2]

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان ورقمه (٢٤٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ورقمه (٥٩٧).

الأذان والإقامة [1]

تعريفهما:

الأذان: هو الإعلام بدخول وقت الصلاة المفروضة بذكر مخصوص.

والإقامة: الإعلام بالقيام للصلاة، بذكر مخصوص.

حكمهما:

هما فرضا كفاية لصلاة الجماعة على الرجال في الحضر والسفر، لقوله ﷺ: (إذا حضَرتِ الصَّلاةُ ، فأذِّنا ، ثمَّ أَقيما ، ثمَّ ليؤُمَّكُما أَكْبرُكُما)[2].

وفيهما فضل عظيم لقوله ﷺ: (لا يسمَعُ مدى صوتِ المؤذِّنِ جنٌّ ولا إنسٌ ، ولا شيءٌ ، إلَّا شَهدَ لَه يومَ القيامَةِ) [3]، ولقوله: (لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ ما في النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عليه لَاسْتَهَمُوا) [4].

وفي الأذان أيضًا من الحِكم والفوائد:

١- أنَّه من شعائر الإسلام الظاهرة، وبه يتميز البلد المسلم عن غيره.

٢- فيه التذكير العلني المتكرر بالدعوة إلى الصلاة والفلاح والخير.

---

(١) ينظر في الأذان: الباب ١/ ٥٨ والشرح الكبير للدردير ١/ ١٩١ ومتن أبي شجاع، ص٥٧ وأخصر المختصرات ص١٠٥.

(٢) أخرجه البخاري في الأذان رقم (٦٢٨) ومسلم في المساجد رقم (٦٧٤).

(٣) أخرجه البخاري في الأذان رقم (٦٠٩).

(٤) أخرجه البخاري في الأذان رقم (٦٥٣)، ومسلم في تسوية الصفوف رقم (٤٣٧).

صفتهما:

صفة الأذان:

ورد للأذان أكثر من صفة كلها ثابتة، فبأي صفة أذَّن المؤذن صحَّ ومن هذه الصفات: أنَّ الأذان خمس عشرة جملة على صفة رؤيا عبد الله بن زيد، بالتكبير في أوله أربعًا، وشفع الشهادتين والحيعلتين[1] والتكبير ثم إفراد التهليل في آخره، ويزيد في أذان الفجر بعد الحيعلتين: الصلاة خير من النوم مرتين، وهي الصفة التي كان يؤذن بها بلال بين يدي رسول الله ﷺ، ويدل عليها حديث أنس رضي الله عنه: (أُمِرَ بِلاَلٌ أَنْ يَشْفَعَ الأَذَانَ وَأَنْ يُوتِرَ الإِقَامَةَ إِلاَّ الإِقَامَةَ)[2] يعني قد قامت الصلاة.

ومن الصفات: أذان أبي محذورة بترجيع الشهادتين، وغيرهما من الصفات.

صفة الإقامة:

الإقامة وردت أيضًا بأكثر من صفة، إما شفعا: التكبير والشهادتان والحيعلتان، وقد قامت الصلاة ثم التهليل شفعًا، إلا التكبير في آخرها فمرة واحدة، أو وترًا وذلك بشفع التكبير في أولها، والتكبير في آخرها وقد قامت الصلاة، وإفرادها فيما عدا ذلك، فيقول: الله أكبر، الله أكبر، أشهد ألا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

---

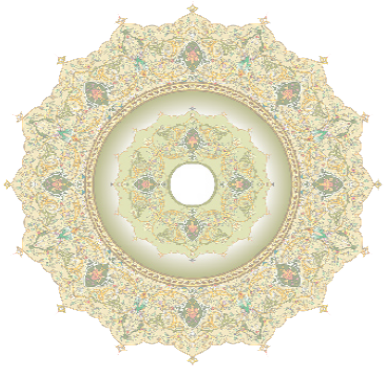
(١) الحيعلتان: قول المؤذن: حي على الصلاة، حي على الفلاح.

(٢) أخرجه مسلم في الصلاة ورقمه (٣٨٣).

أذكار الأذان والإقامة:

يسن لمن سمع الأذان الإنصات له، ومتابعته، بأن يقول مثل ما يقول المؤذن، إلا في الحيعلتين، فإنه يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، لحديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ) [١].

كما يسنُّ بعد الانتهاء من الأذان لكلٍّ من المؤذن والسامع أن يصلي عن النبي ﷺ، وأن يقول: (اللَّهُمَّ رَبَّ هذِه الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، والصَّلاةِ القائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ والفَضِيلَةَ، وابْعَثْهُ مَقامًا مَحْمُودًا الذي وعَدْتَهُ)، لما ورد في حديث جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (من قالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّداءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هذِه الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، والصَّلاةِ القائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ والفَضِيلَةَ، وابْعَثْهُ مَقامًا مَحْمُودًا الذي وعَدْتَهُ، حَلَّتْ له شَفاعَتي يَومَ القِيامَةِ) [٢].



(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ورقمه (٨٤٨).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان ورقمه (٦١٤).

شروط الصلاة

شروط الصلاة، ما تتوقف صحَّة الصلاة على حصوله قبل الصلاة مع القدرة عليه، والشروط هذه تفارق الأركان، لأنَّ الأركان هي أجزاء الصلاة التي تتكون منها.

وشروط الصلاة تسعة: ثلاثة شروط تشترط في الغالب لكل عبادة، وهي الإسلام والعقل والتمييز، ويستثنى الحج فيصح من غير المميز، وزكاة مال غير المميز فتجب مع عدم تمييزه، وبناء على ذلك لا تصح الصلاة من الكافر ولا المجنون ولا من الطفل الذي لا يدرك معنى الصلاة.

الشرط الرابع: الطهارة من الحدث الأصغر بالوضوء، ومن الحدث الأكبر بالاغتسال، ويدل عليه قوله ﷺ: (لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ مَن أَحْدَثَ حتَّى يَتَوَضَّأَ)[1].

الشرط الخامس: الطهارة من النجاسة سواء أكانت في الثوب، أم كانت في البدن، أم كانت في المكان الذي يُصلى فيه، قال الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[المدثر: ٤].

من أحكام الطاهرة من النجاسة

١- الأرض كلُّها مسجد تصح الصلاة فيها إلا ما ورد الدليل بالنهي عنه، قال ﷺ:(وجُعِلَتْ لي الأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، وأَيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتي أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ)[2].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء ورقمه (١٣٥).
(٢) تقدم تخريجه في التيمم.

٢- لا تصح الصلاة في المقبرة [١]، والحمام، وأعطان الإبل.

٣- من صلى وعليه نجاسة لا يدري عنها، أو نسيها فصلاته صحيحة.

٤ - من علم أن عليه نجاسة أثناء الصلاة، وجب عليه التخلص منها إن أمكن، كأن تكون على غترته، وإن لم يتخلص منها بطلت صلاته.

الشرط السادس: دخول الوقت: فلا تصح الصلاة قبل وقتها، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[النساء: ١٠٣]، أي مفروضًا في الأوقات، وكذلك الأحاديث التي تبين أوقات الصلوات بالتفصيل، كحديث ابن عمر ﷺ في بيان أوقات الصلوات، وحديث إمامة جبريل للنبي ﷺ أول الوقت وآخره، وقوله له بعد ذلك: (الوَقْتُ فِيمَا بَيْنَ هَذَيْنِ الوَقْتَيْنِ) (٢)، ومن مجموع الأحاديث يتبين أن أوقات الصلوات على النحو التالي:

١- وقت الظهر من زوال الشمس إلى مصير ظل الشيء مثله بعد الظل الذي زالت عليه الشمس إن وجد.

٢- وقت العصر: من انتهاء وقت الظهر إلى كون ظلِّ الشيء مثليه بعد الظلِّ الذي زالت عليه الشمس، وهذا هو الوقت المختار، ووقت الضرورة إلى غروب الشمس.

٣- وقت المغرب: من غروب الشمس إلى مغيب الشفق الأحمر،

(١) يستثنى من ذلك الصلاة على الجنازة.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ورقمه (٣٩٣) وأخرجه الترمذي في أبواب الصلاة ورقمه (١٤٩).

ويُسنُّ تعجيلها أول الوقت.

٤- وقت العشاء: من انتهاء وقت المغرب إلى نصف الليل، وهو الوقت المختار، ووقت الضرورة إلى طلوع الفجر الثاني.

٥- وقت الفجر: من طلوع الفجر الثاني، وهو البياض المعترض في الأفق من جهة المشرق، إلى طلوع الشمس.

ومما يتعلق بالوقت من الوسائل:

١- تدرك الصلاة أداء في الوقت بإدراك ركعة، لقوله ﷺ: **(مَنْ أَدْرَكَ مِنَ الصُّبْحِ رَكْعَةً قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَقَدْ أَدْرَكَ الصُّبْحَ، وَمَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنَ الْعَصْرِ قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ فَقَدْ أَدْرَكَ الْعَصْرَ)**[١].

٢- الصلاة في أول وقتها أفضل لحديث أبي هريرة: أي الأعمال أفضل؟، قال ﷺ: **(الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا)**[٢].

٣- إذا فات الإنسانَ عدَّةُ صلوات فيقضيها مرتبة إلا إذا خشي خروج وقت الحاضرة، أو نسي الترتيب.

٤- أوقات الصلاة بالنسبة للبلاد التي يتمايز فيها الليل عن النهار كغيرها من البلاد وإن قصرت الأوقات.

وأمَّا البلاد التي ينعدم فيها الليل أو النهار بعض أيام السنة، فأوقات الصلاة تعتبر كأقرب البلاد إليها، وقيل: يعتبر لها توقيت مكة، والأول: أقرب.

الشرط السابع: ستر العورة، فلا تصح الصلاة مع كشفها، ومما يدلّ على ذلك: قوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، **أي كل صلاة، وقوله ﷺ: (لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الثَّوْبِ**

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ورقمه (٤٧٩).
(٢) سبق تخريجه.

الْواحِـدِ، لَيْـسَ عَلَـى عَاتِقَيْـهِ مِنْـهُ شَـيْءٌ)[1] ، وحديـث: **(لاَ يَقْبَـلُ اللهُ صَـلاَةَ حَائِـضٍ إِلَّا بِخِمَـارٍ)**[2] أي بالغـة.

ومما يتعلق بهذا الشرط من المسائل:

١-عـورة الرجـل مـن السـرَّة إلـى الركبـة، ويجـب تغطيـة عاتقيـه أو أحدهمـا فـي الفريضـة، ويتأكـد عليـه أخـذ الزينـة بسـتر بدنـه وباللبـاس الحسـن النظيـف للصـلاة، للآيـة: ﴿خُـذُوا زِينَتَكُـمْ﴾.

٢-يجـب علـى المـرأة أن تسـتر جميـع بدنهـا فـي الصـلاة، عـدا الوجـه والكفيـن.

٣-يجـب تغطيـة العـورة مطلقًـا، وكشـفها أمـام مـن لا يحـل لـه النظـر إليهـا محـرمٌ، والنصـوص التـي تـدل علـى هـذا كثيـرة.

وبهـذا وغيـره يظهـر سـمو الإسـلام وصيانتـه للطهـر والعفـاف، عكـس مـا انتشـر فـي المجتمعـات المختلفـة مـن تسـاهل فـي هـذا الجانـب تقليـدًا للكفـار ومَـن علـى شـاكلتهم.

٤-يحـرم علـى الرجـال والنسـاء اللبـاس الـذي فيـه تصاويـر لـذوات الأرواح، أو مـا كان مـن شـعارات الكفـار، كمـا يحـرم لبـس الذهـب والحريـر الخالـص علـى الرجـال.

الشرط الثامن: استقبال القبلة:

وهـي الكعبـة المشـرفة، سـمِّيت قبلةً لإقبـال النـاس عليهـا، ولأن المصلي يتجـه إليهـا فيقابلهـا، ويـدل عليـه قولـه تعالـى: ﴿فَـوَلِّ وَجْهَكَ شَـطْرَ الْمَسْـجِدِ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ورقمه (٣٥٩).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ورقمه (٦٤١) وأخرجه الترمذي في كتاب أبواب الصلاة ورقمه (٣٧٧) وقال الترمذي: حديث عائشة حديث حسن.

الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[البقرة: ١٤٤]، **وحديث أبي هريرة: وفيه:** (ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ)[١].

والواجب: استقبال عين الكعبة لمن يشاهدها في المسجد الحرام، ومن يَبعُد عنها: استقبال جهتها.

ومما يتعلق بهذا الشرط من المسائل:

١-إذا خفيت عليه القبلة، فيجتهد في تحريها في العلامات التي تدل عليها، من وسائل قديمة كالمحاريب، والشمس والقمر، والنجوم أو وسائل حديثة كالبوصلة وغيرها.

٢-العاجز عن استقبال القبلة كالمربوط والمريض الذي لا يستطيع التوجه لها، يسقط عنه الاستقبال، فيصلي حسب حاله ولا إعادة عليه.

٣-تصح النافلة على الراحلة للمسافر حيث كان وجهه، سواء أكان في البر أو البحر أو الجو.

الشرط التاسع: النيَّة: والمراد بها: قصد القلب للصلاة، فينوي بقلبه الصلاة التي يريد أداءها، كالظهر أو العصر، ومحلها: القلب، فلا يتلفظ بها، لقوله ﷺ: (**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**)[٢].

ومما يتعلق بالنيَّة، أنه يجوز لمن أحرم في صلاة فريضة منفردًا أن يقلبها إلى نافلة إذا كان لغرض صحيح كحضور جماعة.

ومن أحكام النيَّة: أن من أحرم بنافلة فإنه لا يجوز له أن يحولها في أثنائها إلى صلاة فريضة.

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة في المسيء لصلاته في أبواب الصلاة ورقمه (٨٨٥).
(٢) أخرجه البخاري في بدء الوحي، ورقمه (١)، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة ورقمه (٤٩٢٧).

صفة الصلاة[١]

يشرع لمن أراد التوجه إلى الصلاة في المسجد ما يلي:

١-التطهر وإسباغ الوضوء.

٢-استحضار النيَّة الخالصة لله عزَّ وجلَّ بهذه الصلاة.

٣-التبكير في الخروج إلى الصلاة ليحصل على فضيلة الانتظار وتكبيرة الإحرام.

٤-الدعاء في طريقه إلى المسجد بالدعاء المأثور: (**بِسْمِ اللَّهِ توكَّلْتُ عَلَى اللهِ، وَلا حوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّهِ**)[٢]، (**اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذُ بِكَ أنْ أَضِلَّ أَوْ أَزِلَّ أَوْ أظلِمَ أَوْ أُظلَم أَوْ أَجْهَلَ أو يُجهَلَ عَلَيَّ**)، (**اللَّهُمَّ اجْعَلْ في قلبي نُوراً وَفي لِسَانِي نُورًا**)[٣].

٥-المشي إلى الصلاة بسكينة ووقار، ومقاربه الخُطى، لأنَّ كل خطوة ترفع درجة وتحط خطيئة.

٦-تقديم الرجل اليمنى في الدخول، مع قوله: (**أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ اللَّهمَّ افتَح لي أبوابَ رحمتِكَ**)، وعند الخروج يقدم اليسرى، ويقول: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك مِنْ فَضْلِكَ**)[٤].

٧-إذا دخل المسجد لا يجلس حتى يصلي ركعتين.

---

(١) ينظر في صفة الصلاة: الاختيار ١/ ٤٨ وأخصر المختصرات ص١١١، وصفة الصلاة لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله.

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب ورقمه (٥٩٥)، والترمذي في الدعوات ورقمه (٣٤٢٦)، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب (٥٠٩٤)، والترمذي في الدعوات ورقمه: (٣٤٢٧) وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين ورقمه (٧١٣).

ب- صفة الصلاة:

لقد نُقِلَت صفة الصلاة عن رسول الله ﷺ، قولاً وفعلاً في أحاديث كثيرة، وجاء عنه قوله ﷺ: (**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**)[1]، ومن أهم هذه الأحاديث، حديث أبي هريرة في قصة المسيء صلاته وفيه، أن رسول الله ﷺ قال له: (**إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ فَكَبِّرْ. ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعاً ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِماً ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِداً ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِساً ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا**)[2].

ومن مجموع الأحاديث القولية والوصفية التي وصفت صلاته ﷺ تتلخص صفة الصلاة في الآتي:

١- يقوم من أراد الصلاة فيستقبل القبلة ناويًا الصلاة المعيَّنة من فجر أو ظهر أو عصر.. مستحضرًا عظمة مَن هو واقف بين يديه، متذلِّلًا خاضعًا خاشعًا لله، ثم يرفع يديه إلى حذو مَنْكِبَيْهِ، قائلاً: الله أكبر، ثم يجعل يده اليمنى على اليسرى على صدره، أو يقبض كوع يسراه باليمنى، وينظر إلى موضع سجوده.

٢- يستفتح الصلاة قائلاً: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدُّك، ولا إلهَ غيرك، أو يستفتح بغيره مما ورد.

٣- يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ويبسمل قائلاً: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، من هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ، بسم الله الرحمن الرحيم.

٤- يقرأ الفاتحة، ولا صلاة لمن لم يقرأها كما ثبت في الحديث.

(١) أخرجه البخاري في الأذان ورقمه (٦١٣).
(٢) أخرجه مسلم في أبواب الصلاة ورقمه (٨٨٥).

٥-ثم يقرأ في الصلاة الثنائية، وفي الركعة الأولى والثانية من الصلاة الرباعية وصلاة المغرب، ويُسنُّ أن تكون القراءة في صلاة الفجر من طوال المفصل وفي المغرب من قصاره وبما عداهما أوساطه، أو قدر ذلك، ويجهر الإمام في القراءة في الفجر والمغرب والعشاء.

٦-يرفع يديه ويكبِّر راكعًا، ويسوِّي ظهره مع رأسه فلا يخفض رأسه ولا يرفعه، ويجعل يديه على ركبتيه مفرجتي الأصابع، ثم يقول: سبحان ربي العظيم، ثلاثًا.

٧-يرفع من الركوع قائلاً: - إن كان إمامًا أو منفردًا - سمع الله لمن حمده، ثم يقول الجميع حال الاعتدال من الركوع: **(رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ مِلْءَ السَّماواتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ وَمِلْءَ ما بَينَهما وَمِلْءَ ما شِئتَ مِن شَيءٍ بَعْدُ)**.

٨-ثم يخرُّ ساجدًا مكبِّرًا، ولا يُسنُّ له رفع يديه عند هذا التكبير، والأفضل أن تقع على الأرض ركبتاه، ثم يداه ثم جبهته وأنفه، ويبسط يديه حذو منكبيه أو أذنيه جاعلاً أصابعه جهة القبلة، ويسنّ أن يرفع ذراعيه عن الأرض، ويجافي عضديه عن جنبيه وبطنه عن فخذيه، ويقول: سبحان ربي الأعلى، ثلاثًا، ويكثر من الدعاء في سجوده.

٩-يرفع رأسه من السجود مكبِّرًا ويجلس مفترشًا رجله اليسرى ناصبًا اليمنى جاعلاً أصابعها إلى القبلة إذا كان لا يشق عليه ذلك، ويجعل يديه على فخذيه مبسوطتين وأصابعهما إلى القبلة، ثم يقول: ربِّ اغفِرْ لي وارْحَمْنِي واجْبرني واهْدِني وارْزُقْني.

١٠- ثم يسجد السجدة الثانية كالسجدة الأولى، ثم ينهض مكبِّرًا للركعة الثانية، ثم يأتي بالركعة الثانية كالأولى إلا أنَّه لا يستفتح.

١١- إذا فرغ من الركعة الثانية جلس للتشهد الأول كجلوسه بين السجدتين، إلا أنه يقبض بنصر وخنصر اليد اليمنى ويحلّق بالوسطى مع إبهامها، ويرفع السبابة، ويشير بها عند التشهد، ثم يقول: (**التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ والصَّلَوَاتُ والطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّها النبيُّ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وعلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ ـ فإنَّكُمْ إذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلهِ صَالِحٍ في السَّمَاءِ والأَرْضِ ـ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسولُهُ**).

١٢- ثم إن كانت الصلاة أكثر من ركعتين نهض مكبِّرًا رافعًا يديه مع التكبير، ويفعل كما فعل الركعة الأولى إلا أنَّه لا يقرأ إلا الفاتحة فقط.

١٣- بعد الركعة الثالثة في المغرب وبعد الرابعة في الرباعية، يجلس للتشهد الأخير، ثم يقرأ التشهد الأول ويزيد بعده الصلاة على النبي ﷺ وآله بالصفة الواردة عنه، وهي: (**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمَّد وَعَلَى آلِ محمَّد كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ وبَارِكْ عَلَى محمَّد وَعَلَى آلِ محمَّد كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**).

١٤- ثم يقول: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**)، ثم يدعو بما أحبَّ مع الحرص على جوامع الدعاء كقوله: (**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ، اللَّهمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كثِيرًا، وَلا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِرْ لي مغْفِرَةً مِن عِنْدِكَ، وَارحَمْني، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفور الرَّحِيم**).

١٥- ثم يسلم عن يمينه قائلًا: (السلام عليكم ورحمة الله) وعن يساره كذلك.

ثم يقول الأذكار الواردة بعد الصلوات المفروضة قائلًا: (استغفر الله، استغفر الله، استغفر الله، اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لا إلَهَ إلاَّ اللهُ وحْدهُ لاَ شَرِيكَ لهُ، لَهُ المُلْكُ، ولَهُ الحمْدُ، وَهُو عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وَلَا نَعْبُدُ إلَّا إيَّاهُ، له النِّعْمَةُ وَلَهُ الفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لا إلَهَ إلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ له الدِّينَ ولو كَرِهَ الكَافِرُونَ، اللَّهُمَّ لا مَانِعَ لِما أعْطَيْتَ، ولَا مُعْطِيَ لِما مَنَعْتَ، ولَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ، اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)، ثم يسبح الله ثلاثًا وثلاثين ويحمده ثلاثًا وثلاثين ويكبره ثلاثًا وثلاثين، ويقول تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ثم يقرأ آية الكرسي وسورة الإخلاص وسورة الفلق وسورة الناس.

وأقوال الصلاة وأفعالها وهيئاتها السابقة، منها ما هو أركان لا تتم الصلاة إلا بها، ومنها واجبات لا تسقط إلا حال النسيان، ومنها ما هو سنن يُستحبُّ الإتيان بها وهي من مكمِّلات الصلاة.

والأركان:

١- القيام في الفريضة إلا في حال العجز.

٢- تكبيرة الإحرام، بصيغة: الله أكبر.

٣- قراءة الفاتحة.

٤- الركوع.

٥- القيام من الركوع.

٦-السجود على الأعضاء السبعة.

٧-الجلوس معتدلاً من السجود.

٨-الجلوس بين السجدتين.

٩-التشهد الأخير.

١٠- الجلوس له.

١١- الصلاة على النبي ﷺ.

١٢- التسليم.

١٣- الطمأنينة في جميع الأركان.

١٤- الترتيب بين الأركان.

والواجبات:

١-جميع التكبيرات سوى تكبيرة الإحرام.

٢-وقول: سبحان ربي العظيم في الركوع.

٣-قول: سمع الله لمن حمده، للإمام والمنفرد.

٤-قول: ربنا ولك الحمد بعد الاعتداء من الركوع.

٥-قول: سبحان ربي الأعلى في السجود.

٦-قول: ربي اغفر لي في الجلسة بين السجدتين.

٧-الجلوس للتشهد الأول.

٨-التشهد الأول.

وما عدا الأركان والواجبات فهي سنن أقوال أو أفعال أو هيئات، ينبغي الحرص على الإتيان بها، ولكن لو تركها فإن تركها لا يبطل الصلاة.

صلاة الجماعة

مشروعيَّتها[1]:

صلاة الجماعة مشروعة للصلاة المكتوبة في حقِّ الرجال والنساء، ولكنَّها متأكِّدة في حقِّ الرجال الأحرار القادرين، في نصوص كثيرة تدل على الوجوب ومنها:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾[النساء: ١٠٢]، حيث أمر الله بالجماعة في حالة الخوف والسفر، ففي حال الأمن والإقامة من باب أولى.

٢- حديث أبي هريرة ﷺ **أن رسول الله** ﷺ قال: (أَثْقَلُ صَلَاةٍ علَى المُنَافِقِينَ صَلَاةُ العِشَاءِ وَصَلَاةُ الفَجْرِ ولو يَعْلَمُونَ ما فِيهِما لأَتَوْهُما ولو حَبْوًا وَلقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بالصَّلَاةِ فَتُقَامَ ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فيُصَلِّيَ بالنَّاسِ ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ معهُمْ حُزَمٌ مِن حَطَبٍ إلى قَوْمٍ لا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ فَأُحَرِّقَ عليهم بُيُوتَهُمْ بالنَّارِ). وما همَّ ﷺ بتحريق من يتخلَّف عن صلاة الجماعة إلا لتأكدها ووجوبها[2].

٣- حديث الأعمى الذي استأذن رسولَ الله ﷺ أن يصليَ في بيته، فقال له: (هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَأَجِبْ)[3].

٤- ما يترتب على الجماعة من حِكَم وفوائد عظيمة:

أ. فهي من شعائر الإسلام الظاهرة.

---

(١) ينظر في مشروعية صلاة الجماعة: الاختيار ١/ ٥٧ وكفاية الاختيار ١/ ٢٥٥ وأخصر المختصرات ص١٢٠.

(٢) أخرجه البخاري في الأذان ورقمه (٦٥٧)، ومسلم في المساجد ورقمه (٦٥١).

(٣) أخرجه مسلم في المساجد ورقمه (٦٥٣).

ب. تعارف الجماعة وما ينشأ عنه من التواصل والتناصر وتفقد الأحوال وإشاعة المحبة والتعاطف بين أهل المسجد، وإزالة ما قد يوجَد من التقاطع.

ت. إظهار قوَّة المسلمين وتوحيد صفِّهم.

فضل صلاة الجماعة:

في صلاة الجماعة فضل عظيم دلَّت عليه نصوص كثيرة، منها:

١- حديث عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**صلاةُ الجماعةِ تَفضُلُ صلاةَ الفَذِّ بسبعٍ وعشرين دَرَجَةً**)[١].

٢- حديث أبي هريرة ﷺ وفيه: (**إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلَاةَ**)[٢].

ما تدرك به صلاة الجماعة:

تدرك صلاة الجماعة بإدراك ركعة من الصلاة مع الإمام، لقوله ﷺ: (**مَنْ أدرك ركعةً من الصَّلاة مَعَ الإِمَامِ فَقَدْ أَدْرَكَ الصَّلاةَ**)[٣].

(١) أخرجه البخاري في الأذان ورقمه (٦٤٥)، ومسلم في المساجد ورقمه (١١٧٠).
(٢) أخرجه مسلم في المساجد ورقمه (١٥٠٦).
(٣) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة، ورقمه (٥٨٠)، ومسلم في المساجد ورقمه (١٣٧٠).

أحكام الإمامة والائتمام[1]

الأحق بالإمامة: لإمامة الجماعة فضل عظيم وشرف كبير، والإمام قدوة لجماعته ومعلِّم وموجِّه، ولهذا اهتم الإسلام بالإمامة لهذه المنزلة الرفيعة، فاعتنى باختيار الشخص الذي يتولى الإمامة ليتولاها من هو أهل لها، فجاء اختيار الإمام بِناءً على ما يتصف به من صفات العلم الشرعي والعمل به، وهذه أهم صفات الإمام التي يُبنى عليها تقديمه على غيره:

١- الأقرأ لكتاب الله، والمراد: الأحفظ له والأفقه بأحكامه، والأكثر حفظًا مقدَّم على الأقلِّ، والأعلم بكتاب الله مقدَّم على غيره.

٢- الأعلم بالسنَّة، وهذه المرتبة بعد الاستواء في قراءة القرآن، والعلم بالسنَّة يتضمن حفظها والعلم بفقهها.

٣- الأقدم هجرة، أي الأسبق هجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، وإن لم يكن هناك هجرة فالأقدم توبة وهجرانًا للمعاصي.

٤- الأكبر سنًّا، وذلك بعد التساوي فيما سبق.

ويدلُّ على هذا الترتيب أحاديث، منها: حديث أبي مسعود البدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: (**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا**) أي إسلامًا وفي رواية: (سنًّا)[2].

---

(١) ينظر: الاختيار ١/ ٥٧، واللباب ١/ ٧٩، وعقد الجواهر الثمينة ١/ ١٩١، وقوانين الأحكام الشرعية ص٦٧، وكفاية الأخيار ١/ ٢٥٥، ومنار السبيل ١/ ٢١٧، والشرح الممتع ٤/ ٢٨٩.

(٢) أخرجه مسلم في المساجد ورقمه (١٥٣٢).

من لا تصح إمامته:

١-العاجز عن ركن أو شرط، إلا بمن يساويه في العجز.

٢-من حَدَثُه دائم، كمن به سلس البول، لا تصح إمامته إلا بمثله.

٣-من لا يُحسن قراءة الفاتحة، لا تصح إمامته إلا بمثله.

أحكام الائتمام:

١-إذا كان المأموم واحدًا، فالسنَّة أن يقف عن يمين الإمام محاذيًا له، لحديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما: (**صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِرَأْسِي مِنْ وَرَائِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَصَلَّى وَرَقَدَ، فَجَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ فَقَامَ وَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ**)[1].

٢-إذا كان الجماعة اثنين فأكثر، فيقف الإمام أَمامَهم متوسطًا الصف، لفعل الرسول ﷺ.

٣-إذا أمَّ الرجل المرأة، فإنها تقف خلفه، وإذا صلّت مع الرجال فإنها تقِف خلف الصف، وإذا صلى جماعة من النساء مع الرجال، فإنهنَّ يتأخرن عنهم وتكون صفوفهنَّ كصفوف الرجال.

٤-إذا صلى النساء جماعة لا رجال معهنَّ، فتؤمُّهنَّ إحداهنَّ، وتكون وسط الصف لا تتقدَّم عليهنَّ.

٥-لا تصح صلاة المنفرد خلف الصف إلا في حال العجز عن المصافّة.

٦-يصح الاقتداء بالإمام وإن لم يره المأموم إذا كان في المسجد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، ورقمه (٧٢٦)، ومسلم في كتاب طهارة المسافرين ورقمه (١٧٨٨).

مع اتصال الصفوف، أو كان في سطح المسجد ونحو ذلك إن سمع صوته، أو كان المأموم خارج المسجد إذا اتصلت الصفوف، ويصح اقتداء المفترض بالمتنفل والعكس.

٧- لا يصح اقتداء المأموم بالإمام من داخل المنزل من خلال سماع صوته في المكبِّر أو المذياع ونحوه.

٨- يجب على المأمومين متابعة الإمام، ويحرم عليهم أن يتقدَّموا عليه في التكبير والركوع والسجود، لقوله ﷺ: **(إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ فَإِذَا صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا وَإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا وَإِذَا قَالَ سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فَقُولُوا رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ)**[1].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان ورقمه (٦٩١).

مبطلات الصلاة ومكروهاتها

مبطلات الصلاة:

١-حصول ما ينافي شرطًا من شروط صحَّة الصلاة، كحصول ما يبطل الطهارة.

٢-تعمد ترك ركن أو واجب.

٣-العمل الكثير في الصلاة من غير جنسها لغير عذر، كالحركة الكثيرة.

٤-الضحك بصورة القهقهة.

٥-تعمُّد الكلام.

٦-الأكل والشرب عمدًا.

٧-تعمُّد زيادة ركعة أو ركن في الصلاة.

٨-تعمُّد السلام قبل نهاية الصلاة من الإمام أو المأموم أو المنفرد.

مكروهات الصلاة:

١-الالتفات لغير حاجة.

٢-رفع البصر إلى السماء.

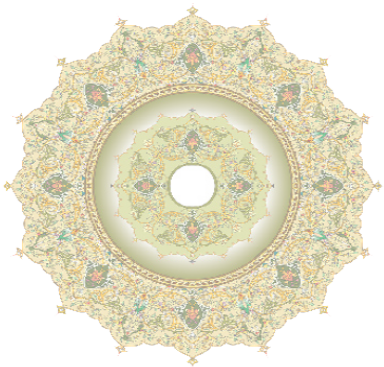
٣-تغميض العينين إلا لحاجة.

٤-افتراش الذراعين في السجود.

٥-فعل ما ينافي الخشوع، كالحركة والعبث باللحية والعمامة والساعة والنظارة وفرقعة الأصابع.

٦-التلثُّم على فمه وأنفه.

٧- دخول الصلاة مع وجود ما يشوش الذهن، كاحتباس البول ونحوه، أو حالة شدة الجوع أو العطش أو بحضرة طعام يشتهيه، لقوله ﷺ: (**لا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ**)[١].



(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، ورقمه (١٢٤٦)، وينظر: متن أبي شجاع ص٤٥ ومنار السبيل ١/ ١٧٩، والشرح الممتع ٤/ ٥.

صلاة التطوع[1]

شُرعت صلاة التطوع لحكم كثيرة وفوائد عديدة منها:

١-جبر النقص الذي قد يحصل في أداء الفريضة.

٢-فضل الله على عباده لزيادة حسناتهم ورفعة درجاتهم.

٣-فتح الباب للعباد لتكفير الذنوب والسيئات.

٤-التقرب إلى الله بالنوافل طلبًا لمحبة الله للعبد.

ومما يدلُّ على مشروعية النوافل:

١-حديث: (**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ**)[2].

٢-حديث: (**لا يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ**)[3].

أنواع صلاة التطوع:

لصلاة التطوع أنواع كثيرة منها ما هو مرتبط بالفريضة ومنها ما هو مرتبط بوقت معين، ومنها ما هو مرتبط بسبب ومنها ما هو مطلق.

النوع الأول: صلاة التطوع المرتبطة بالفريضة: وهي السُّنن الرواتب، وهذه سنة مؤكَّدة لا ينبغي تركها، وهي عشر ركعات أو اثنتا عشرة ركعة: ركعتان قبل الظهر أو أربع ركعات، وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد العشاء وركعتان قبل الفجر، وهما آكدها ويدل على هذه الرواتب:

٣-حديث ابن عمر ﷺ قال: (**حَفِظْتُ مِن النبي ﷺ عشرَ ركعات**

(١) ينظر الاختيار ١/ ٦٥، وعقد الجواهر الثمينة ١/ ١٨٥.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصيام ورقمه (٢٧٥٥).
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ورقمه (٦٥٠٢).

ركعتين قبل الظُّهرِ وركعتين بعدَها وركعتين بعد المغرب في بيته وركعتينِ بعد العشاء في بيته وركعتينِ قبلَ صَلاةِ الصُّبح)[1]، وجاء في حديث أم حبيبة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ)**[2].

٤- حديث عائشة ﵂ قالت: **(لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ مِنهُ تَعَاهُدًا عَلَى رَكْعَتَي الفَجْرِ)**[3].

النوع الثاني: الصلاة ذات الوقت المحدَّد.

وهي صلاة الوتر وصلاة الضحى وقيام الليل.

أ. الوتر: وهي سنَّة مؤكدة، بل قال بعض العلماء بوجوبها، فتتأكد المحافظة عليها.

ويدل على مشروعية الوتر أحاديث من فعل الرسول ﷺ وقوله، فقد داوم عليه حضرًا وسفرًا، وقال: **(مَن خَافَ أَنْ لا يَقُومَ مِن آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ،)**[4]، وقال: **(اجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا)**[5].

ووقته من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر، وهو في آخر الليل أفضل لمن قدر على القيام، وأقله ركعة واحدة، وأكثره إحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة ركعة، يصليها ركعتين، ركعتين، ويوتر بواحدة، وأدنى الكمال ثلاث ركعات، يصلي ركعتين ويسلم، ثم يصلي ركعة

(١) أخرجه البخاري في التهجد ورقمه (١١٨٠)، ومسلم في صلاة المسافرين ورقمه (١٦٩٨).
(٢) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين ورقمه (١٦٩٤).
(٣) أخرجه البخاري في التهجد ورقمه (١١٦٩)، ومسلم في صلاة المسافرين ورقمه (١٦٨١).
(٤) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين ورقمه (١٧٦٦).
(٥) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين ورقمه: (١٧٥٥).

واحدة ويسلم، ويستحب أن يقرأ في الأولى بـ«سبِّح» والثانية بـ«الكافرون» والأخيرة بـ«الإخلاص». ويُستحب أن يدعو بعد الركوع في الركعة الثالثة بما شاء من أدعية، مثل:اللهم اهدني فيمن هديت... الخ[1].

ب. صلاة الضحى:

وأقلها ركعتان.

ويدل على مشروعيتها حديث أبي هريرة ﷺ قال: **(أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلاثٍ صِيَامِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِن كلِّ شَهرٍ وَرَكعَتَي الضُحى وأَن أُوتِر قَبْلَ أَنْ أَنَامَ)**[2].

ووقتها من ارتفاع الشمس قدر رمح إلى قبيل الزوال، وأفضلها حين تبدأ حرارة الرمضاء.

ت. صلاة قيام الليل:

ووقته من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر، وصلاة الليل مثنى مثنى، ويفرَّق بين صلاة الوتر وصلاة الليل النيَّة فقط، وأن الوتر لا بد أن يختم بواحدة.

ومن قيام الليل: صلاة التراويح، وهي صلاة الليل في شهر رمضان، سُمِّيت تراويح لأنهم كانوا يستريحون فيها بين كل أربع ركعات.

وهي سنَّة مؤكَّدة صلاها رسول الله ﷺ بأصحابه ثمَّ تركها خشية أن تفرض على المسلمين، وفعلها الصحابة من بعده وأجمعوا عليها، وجاء في قيام الليل في رمضان قوله ﷺ: **(مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا**

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الوتر ورقمه (١٤٢٥)، والترمذي في أبواب الوتر، ورقمه (٤٦٤) وقال الترمذي: حديث حسن.

(٢) أخرجه البخاري في التطوع ورقمه (١١٧٨)، ومسلم في صلاة المسافرين ورقمه ١٦٧٤.

وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)[1]. ولم يرد في عدد ركعاتها سنة قاطعة، ولهذا اختلف العلماء في عدد ركعاتها اختلافًا كثيرًا، والأظهر أنَّ الأمر فيها واسع، فمن صلاها إحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة أو ثلاثًا وعشرين فقد أحسن، وتكثير عدد الركعات أو تقليلها بحسب طول القيام أو قصره.

النوع الثالث: الصلاة المرتبطة بسبب، ومنها:

أ- تحية المسجد:

وهي ركعتان تُشرع لمن دخل المسجد قبل جلوسه، لقوله ﷺ: (إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس)[2]، ويُجزئ عنهما الراتبة أو الفريضة لو بدأ بها.

ب- ركعتا الطواف:

وهما سنة مؤكدة في نهاية كلِّ طواف حول الكعبة، سواء أكان طوافًا واجبًا أم سنة، ويدل عليها فعل الرسول ﷺ، وقوله حيث قال: **(يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا تَمْنَعُوا أَحَدًا طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ وَصَلَّى أَيَّ سَاعَةٍ شَاءَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ)**[3].

النوع الرابع: التطوع المطلق: وهو الذي لم يقيد بزمن ولا وقت ولا سبب، وصلاة التطوع المطلقة مشروعة كل وقت إلا في الأوقات

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، ورقمه (٣٧) ومسلم في صلاة المسافرين ورقمه (١٧٧٩).

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة ورقمه (٤٤٤)، وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين ورقمه (١٦٥٤).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك ورقمه (١٨٩٤)، والترمذي في أبواب الحج ورقمه (٨٦٨) وقال: حديث حسن صحيح.

المنهي عنها، وصلاة الليل أفضل من صلاة النهار، لقوله ﷺ: (**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ**)[1].

سجود التلاوة والشكر:

ومما يلحق بصلاة التطوع: سجود التلاوة وسجود الشكر، أمَّا سجود التلاوة فالمراد: السجود إذا مرَّ القارئ بآية سجدة، وصفته أن يكبِّر إذا سجد، وإذا رفع، وإن كان في صلاة، ويقول في سجوده سبحانَ ربِّيَ الأعْلى ويدعو بما ورد: سَجَدَ وَجْهِي للهِ الذي خَلَقَهُ وَشَقَّ سمْعَه وبَصَرَه... الخ[2]، وأما سجود الشكر فيُسنُّ عند تجدد النعم واندفاع النقم، وصفته كصفة سجود التلاوة.

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي في السفر ورقمه (٥٨٠)، وأبو داود في الصلاة ورقمه (١٤١٤)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

صلاة الكسوف[1]:

الكسوف: ذهاب ضوء الشمس أو بعضه في النهار، وتسمَّى أيضًا صلاة الخسوف: وهو ذهاب نور القمر أو بعضه في الليل.

وصلاة الكسوف سنَّة مؤكَّدة، بل قال بعض العلماء بوجوبها عند وجود سببها وهو الكسوف أو الخسوف، ويدل على مشروعيتها: فعل الرسول ﷺ حيث صلاها لما كسفت الشمس على عهده عليه الصلاة والسلام وقال: (**إنَّ الشَّمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ اللهِ لا يُخسفانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياتِه فإذا رأيتُم ذلك فادْعُوا اللهَ وكبِّروا وتَصدَّقوا**)[2].

صفتها:

يُنادى لها: (الصلاة جامعة)، فإذا اجتمع الناس صلى بهم الإمام ركعتين طويلتين يجهر فيهما بالقراءة وبكل ركعة ركوعان، يقرأ في الركوع الأول الفاتحة وسورة طويلة، ثم يركع ويُطيل الركوع، ثم يرفع قائلاً: سمع الله لمن حمده، ربَّنا ولك الحمد، ثم يقرأ الفاتحة، وسورة طويلة دون الأولى، ثم يركع ويطيل الركوع دون الأول، ثم يرفع من التسميع والتحميد، ثم يسجد سجدتين طويلتين يجلس بينهما، ثم يرفع من السجدة الثانية مكبِّرًا ويصلي الركعة الثانية على صفة الركعة الأولى، ولكنها دونها في المقدار.

تنبيهات:

١-وقت صلاة الكسوف من ابتداء الكسوف إلى التجلي ولا تعاد صلاة الكسوف ولا تقضى إذا لم يعلم الكسوف إلا بعد تجليه.

(١) ينظر: اللباب (١/ ١١٩)، قوانين الأحكام الشرعية ٨٤، كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار (١/ ٣٠١)، المغني (٣/ ٣٢١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الكسوف ورقمه (١٠٤٤)، ومسلم في كتاب الكسوف ورقمه (٣٠٨٩).

٢-تشرع صلاة الكسوف جماعة، وإن صليت فرادى فلا بأس.

٣-إدراك الركعة يكون بإدراك الركوع الأول.

صلاة الاستسقاء[١]:

الاستسقاء: هو طلب السقيا من الله تعالى عند الجدب بصفة خاصة، وصلاة الاستسقاء مشروعة إذا أجدبت الأرض وحُبس المطر أو غارت مياه العيون والآبار أو جفَّت الأنهار، لفعل النبي ﷺ حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال: (**خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمُصَلَّى فَاسْتَسْقَى وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَقَلَبَ رِدَاءَهُ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ**)[٢].

صفتها: السنَّة أن تُصلَّى في الصحْراء لفعل الرسول ﷺ، إلا في حال العذر، وصفتها في عدد ركعاتها وفي الجهر بالقراءة وفي التكبيرات الزوائد وكونها تُصلى قبل الخطبة، كصلاة العيد، فيصلي ركعتين، ثم يخطب خطبة واحدة، يكثر فيها من الاستغفار، والأدعية المأثورة، مع الإلحاح في الدعاء وإظهار الخضوع لله تعالى، ويرفع يديه حال الدعاء ثم يصلي على النبي ﷺ ويستقبل القبلة فيقلب رداءه ثم يدعو سرًّا.

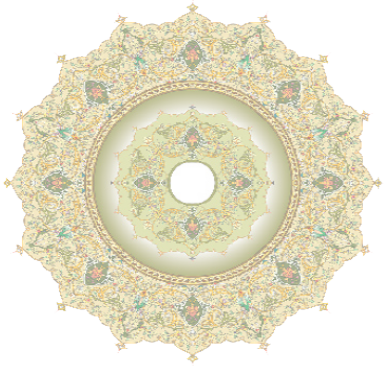
صلاة الاستخارة:

تشرع صلاة الاستخارة عندما يهمُّ بأمر مهمٍّ كزواج أو سفر، أو عمل مشروع ونحو ذلك، ويكون مترددًا في الإقدام عليه، فيصلي ركعتين نافلة ثم يدعو بهذا الدعاء: (**اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ**

(١) ينظر: الاختيار لتعليل المختار (١/ ٧١)، عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة (١/ ٢٤٩)، التذهيب في أدلة متن الغاية والتقريب (٨٠) العدة شرح العمدة (٩١)، منار السبيل (١/ ٢٧٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء ورقمه (١٠١٢) في صلاة الاستسقاء ورقمه (٢٠٧١).

وأَسْـتَقْدِرُكَ بقُدْرَتِـكَ وأسْـأَلُكَ مِـنْ فضلِـكَ العَظِيـم فإنَّـكَ تَقْـدِرُ ولا أَقْـدِرُ وتَعْلَـمُ ولا أعْلَـمُ، وأنْـتَ عَـلاَّمُ الغُيـوبِ اللهُـمَّ إنْ كُنْـتَ تَعْلَـمُ أن فـي هـذَا الأمـرِ ـ ثُـمَّ تُسَـمِّيه بعَيْنـه ـ خَيْـرًا لـي فـي عَاجـلِ أَمْـرِي وآجِلِـهِ أَوْ فـي دِينـي ومَعَاشـي وعَاقِبَـةِ أمْري فاقْـدُرْهُ لـي ويَسِّـرْهُ لـي ثـمَّ بَـارِكْ لـي فيـهِ اللهُـمَّ وإنْ كُنْـتَ تَعْلَـمُ أَنَّـهُ شَـرٌّ لـي فـي دِينِـي ومَعَاشـي وعَاقِبَـةِ أمـري أوْ قـالَ: عَاجِـلِ أَمْـري وآجِلِـهِ فَاصْرِفْنِـي عَنْـهُ، واقْـدُرْ لِـيَ الـخَيْرَ حَيْـثُ كَانَ ثُـمَّ رْضِّنِـي)[1]، ثـم يمضـي لمـا انشـرح صـدره لـه مـن الإقـدام علـى الأمـر أو الكـفِّ عنـه.



(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد ورقمه (١١٦٢).

أوقات النهي[1]

بيانها:

أوقات النهي خمسة:

١-من بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس.

٢-من طلوع الشمس حتى ترتفع قدر رمح.

٣-إذا توسطت الشمس في السماء حتى تزول والمراد: قبل وقت صلاة الظهر بدقائق.

٤-من بعد صلاة العصر حتى تميل الشمس للغروب.

٥-من ميل الشمس للغروب حتى تغرب.

دليلها:

أ- حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: **(لاَ صَلاَةَ بَعْدَ صَلاَةِ العَصرِ حتَّى تَغرُبَ الشَّمسُ ولا صلاةَ بَعدَ صلاةِ الفَجرِ حتَّى تَطلُعَ الشَّمس)**[2].

ب- حديث عقبة بن عامر ﷺ قال: **(ثلاثُ ساعاتٍ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَنهانا أن نصلِّيَ فيهنَّ أو نقبُرَ فيهنَّ مَوتانا حينَ تطلعُ الشَّمسُ بازغةً حتَّى ترتفعَ وحينَ يقومُ قائمُ الظَّهيرةِ حتَّى تميلَ الشَّمْسُ وحينَ تضيَّفُ الشَّمْسُ للغُروبِ حتَّى تغرُبَ)**[3].

---

(١) ينظر: اللباب (١/ ٨٨)، عقد الجواهر الثمينة (١/ ١١٢)، كفاية الأخيار (١/ ٢٥١)، منار السبيل (١/ ٢٠٤)، الشرح الممتع (٤/ ١٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ورقمه (٥٨٦)، ومسلم في صلاة المسافرين ورقمه (١٩٢٣).

(٣) أخرجه البخاري في المواقيت (٥٩٧)، ومسلم في المساجد ورقمه (١٥٦٦).

الحكمة من النهي عن الصلاة في هذه الأوقات: لأن في الصلاة في هذه الأوقات مشابهة للمشركين الذين يعبدون الشمس، حيث يسجدون لها عند طلوعها وعند غروبها، ومنع الصلاة بعد الفجر وبعد العصر سدًّا لذريعة الاستمرار في الصلاة إلى وقت المشابهة، وأما عند توسط الشمس في السماء، فلشدة الحرِّ ولأنَّ جهنم تسجَّر في هذا الوقت[1]، والله أعلم.

ما يجوز فعله من الصلوات في هذه الأوقات: الأصل أنها لا تجوز الصلاة في هذه الأوقات عملاً بعموم الأحاديث السابقة إلا أنَّه يُستثنى من ذلك:

١- قضاء الفريضة الفائتة، بنوم أو نسيان أو غيرهما لقوله ﷺ: (**مَن نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ إِذَا ذَكَرَهَا لا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذلكَ**)، قال تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾[2].

٢- قضاء سنَّة الفجر بعد صلاة الفجر، إذا لم يصلِّها قبلها.

٣- فعل ذوات الأسباب، كتحية المسجد وصلاة الجنازة، وصلاة الكسوف، وركعتي الطواف، للأدلة الدالة على ذلك كحديث: (**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلا يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ**)[3].

قضاء الفوائت: إذا فات الإنسان عدة صلوات، فإنه يجب عليه قضاؤها مرتبة، ولا يسقط الترتيب إلا في الحالات الآتية:

١- في حالة النسيان.

---

(١) أخرجه البخاري في التهجد ورقمه (١١٦٧) ومسلم في صلاة المسافرين ورقمه (١٦٥٤).

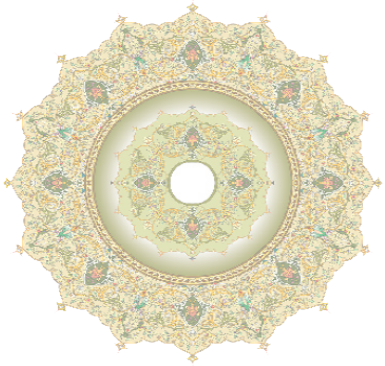
(٢) [طه: ١٤]

(٣) أخرجه أحمد في مسنده رقم (٢٢٦٥٢)، وأبو داود في سننه رقم(٤٦٨) من حديث أبي قتادة

٢-في حالة الجهل.

٣-في حالة خشية خروج وقت الحاضرة.

٤-خشية فوات الجمعة.



سجود السهو[1]

مشروعيته:

يُشرع سجود السهو في الصلاة عند حصول النسيان في الصلاة، ويدل على مشروعيته أحاديث منها: حديث ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**إِذَا زَادَ الرَّجُلُ أَوْ نَقَصَ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ**)[2] وغيره كحديث ذي اليدين[3].

حكمته: شُرع سجود السهو لحكم منها:

١- جبر النقص الحاصل في الصلاة بسبب السهو.

٢- إرضاء الرحمن بالسجود له.

٣- إرغام الشيطان بجبر ما أفسد على المسلم في صلاته بتشويشه عليه .

أسبابه:

سببه الأساس هو السهو في الصلاة، ولكن السهو في الصلاة يكون بأحد ثلاثة أمور:

الأول: الزيادة في الصلاة سهوًا، إما زيادة ركعة، أو دونها، كأن يصلي الظهر مثلاً خمسًا، أو يزيد سجدة ونحو ذلك، فيجب عليه حينئذ أن يسجد للسهو للحديث السابق.

الثاني: النقص من الصلاة سهوًا كترك ركن أو واجب، فإن ترك

(١) ينظر: الاختيار لتعليل المختار (١/ ٧٣)، قوانين الأحكام الشرعية (٧٢)، التذهيب في أدلة متن الغاية والتقريب (٦٨)، وأخصر المختصرات (١١٦)، منار السبيل (١/ ١٧٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ورقمه (١٢٨٧).

(٣) أخرجه البخاري في الصلاة ورقمه (٤٨٢)، ومسلم في المساجد ورقمه (١٢٨٨).

ركنًا، وجب عليه أن يأتي به ويسجد للسهو، وإن ترك واجبًا كالتشهد الأول فإنه يجبره بسجود السهو.

الثالث: الشك، مثل أن يشك هل صلى ثلاثًا أو أربعًا، والواجب عليه حينئذ أن يبني على المتيقن عنده وهو أن صلى ثلاثًا، فيزيد رابعة، ويسجد للسهو.

صفة سجود السهو:

يسجد سجدتين على صفة السجود في الصلاة، يكبر ويسجد ويقول: سبحان ربي الأعلى ثلاثًا، ثم يكبر ويرفع ويجلس ويقول: ربِّ اغفرْ لي ثلاثًا ثم يكبِّر ويسجد كالسجدة الأولى ثم يكبِّر ويرفع ويسلم بلا تشهد.

محله: هو مخيَّر في السجود قبل السلام من الصلاة أو بعده، واختلف في الأفضل، والأولى أن تتبع السنة في ذلك، فما ورد قبل السلام فيسجد فيه قبله، وما ورد السجود فيه بعد السلام فيسجد بعده، وما لم يرد فيه نصٌّ فيسجد قبل السلام.

سهو المأموم:

إن كان المأموم داخلًا مع الإمام من أول الصلاة، فلا يسجد لسهوه منفردًا وإنما عليه أن يتابع إمامه، وإن كان مسبوقًا وسها في قضاء ما فاته، سجد لسهوه بعد القضاء.

صلاة أهل الأعذار[1]

أ. الأعذار المبيحة للتخلف عن الجمعة والجماعة:

من سماحة الإسلام ورفع الحرج عن الأمَّة أن جاء بالتخفيف والتيسير عند حصول المشقة، ولهذا فمن أعظم قواعد هذا الدين: (أنَّ المشقَّة تجلب التيسير)، وأنَّ الحرج مرفوع، وعلى هذا جاءت النصوص تدل على جواز التخلف عن الجمعة والجماعة مع أهميَّتها عند حصول أحد الأعذار الآتية:

١- المرض إذا كان يشق معه الحضور إلى الجمعة أو الجماعة.

٢- مدافعة البول أو الغائط لما يترتب على مدافعتهما من ذهاب الخشوع في الصلاة، ولما في ذلك من الضرر على البدن، فإن أمكن الجمع بين التخلص من ذلك واللحاق بالجمعة أو الجماعة فهو الواجب، وإلا فهو معذور.

٣- حضور طعام ونفسه تتوق إليه، على ألا يتخذ عادة أو حيلة للتخلف عن الجماعة.

٤- الخوف المحقق على نفسه، أو على الأهل أو على المال أو قريب أو رفيق، أو فوات رفقة سفر.

٥- التأذِّي بالمطر أو الوحل أو الجليد أو الريح الشديد الباردة، ونحو ذلك مما يشق معه الحضور.

٦- أكل ما له رائحة كريهة تؤذي المصلين مما يباح أكله كالثوم والبصل، على ألا يتخذ وسيلة للتخلف عن الجمعة والجماعة.

(١) ينظر: اللباب شرح الكتاب (١/ ٩٩)، المقدمات الممهدات (١/ ٦٨١)، كفاية الأخيار، العدة شرح العمدة (٩٩)، الشرح الممتع (٤/ ٤٣٨، ٤٥٨).

ب. كيفية صلاة العاجز عن أركان الصلاة أو بعضها:

الواجب على المسلم أن يأتي بالصلاة على هيئتها الشرعية على قدر استطاعته، فإن كان قادرًا على الإتيان بها على هيئتها بقيامها وركوعها وسجودها وجميع شروطها وأركانها وواجباتها وجب عليه ذلك، وإن كان قادرًا على البعض دون البعض وجب عليه ما يقدر عليه دون ما لا يقدر عليه، فالقادر على القعود والسجود دون القيام، لا يجب عليه القيام، والقادر على القيام والقعود دون الركوع والسجود، لا يجبان عليه بل يومئ فيهما، والذي لا يستطيع الصلاة إلا مضطجعاً لا يجب عليه غير ذلك، ويومئ بالركوع والسجود، والعمدة في هذا كله قوله ﷺ: (**صَلِّ قَائِمًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**)[1]، وعموم قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا﴾[التغابن: ١٦].

ويدخل في هذا الصلاة في الطائرة ونحوها، إذا لم يجد مكانًا معدًّا للصلاة يستطيع من خلاله الإتيان بالصلاة على هيئتها الشرعية ويغلب على ظنِّه خروج الوقت قبل الوصول إلى مكان يصلي فيه، فإنَّه يصلِّي على حسب حاله ويجتهد في الإتيان بما يستطيعه من أركان الصلاة وواجباتها والاستقبال للقبلة، وما لم يَستطعْه يسقط عنه.

تنبيه:

١- إذا كان العاجز كالمريض ونحوه يشق عليه الوضوء لكل صلاة أو تشق عليه الصلوات في أوقاتها، فإنه يُباح له الجمع بين صلاة الظهر والعصر، والمغرب والعشاء.

٢- لا تسقط الصلاة عن المريض ونحوه أبدًا ما كان عقله معه، ولكنَّه يأتي بها على حسب استطاعته.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التقصير ورقمه (٧/ ١١).

ت. جمع الصلاة وقصرها:

١-الجمع:

حكمه: يجوز الجمع للمسافر ومن يَشق عليه أداء الصلوات في أوقاتها لمرض ونحوه والمطر أو وَحْل يَشق معه الذهاب إلى المسجد.

٢-القصر:

مشروعيته: يشرع للمسافر قصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين ويدل على مشروعيته نصوص كثيرة منها:

١-قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ﴾[النساء: ١٠١].

٢-فعل الرسول ﷺ حيث كان يقصر في أسفاره كما في حديث أنس بن مالك ﷺ قال: (**خَرَجْنَا مع النبيِّ ﷺ مِنَ المَدِينَةِ إلى مَكَّةَ فَكانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ حتَّى رَجَعْنَا إلى المَدِينَةِ**)[1].

أهم أحكام القصر:

١-يقصر المسافر إذا فارق عامر بلده قاصدًا مسافة تزيد على ٧٧ كيلو مترًا تقريبًا.

٢-حد الإقامة أربعة أيام، فإذا وصل المسافر بلدًا ونوى الإقامة فيها مدة تزيد عن أربعة أيام وجب عليه الإتمام.

٣-إذا لم ينو إقامة معينة، بل جاء البلد لغرض متى انتهى سافر، فإنه يقصر ولو زادت المدَّة عن أربعة أيام.

٤- إذا صلى المسافر خلف إمام مقيم وجب عليه الإتمام.

(١) أخرجه البخاري في أبواب التقصير ورقمه (١٨٠١)، ومسلم في صلاة المسافر ورقمه (١٥٨٦).

ث. صلاة الخوف:

مشروعيتها: تشرع صلاة الخوف في كل قتال مباح، في الحضر والسفر.

ودليل مشروعيتها: الكتاب والسنَّة، أمَّا الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾[النساء: ١٠٢].

وأمَّا السنَّة ففعل الرسول ﷺ حيث صلَّاها بأصحابه بصفات مختلفة وفي مواقع مختلفة كما ثبت ذلك بأحاديث منها ما يأتي:

صفتها: ورد في صفتها كيفيات متعدِّدة كلّها جائزة ومن أشهر هذه الصفات ما جاء في حديث سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ ، أنها تُصلى في حالة مصافة العدو وملخصها: أن يجعلهم الإمام طائفتين، طائفة تحرس والثانية تصلي مع الإمام ركعة، فإذا قام إلى الركعة الثانية تنوي مفارقته وتتم لنفسها وتسلم، ثم تذهب للحراسة وتأتي الأولى فتصلي مع الإمام الركعة الثانية وإذا جلس للتشهد قامت وأتمَّت لنفسها والإمام ينتظرها فإذا جلست وتشهدت سلَّم بهم. ومنها ما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾[البقرة: ٢٣٩]، وذلك فيما إذا اشتد الخوف ولا يمكن الصلاة على الصفة الواردة، فيُصلُّون رجالاً وركبانا إلى القِبلة إن تمكنوا وإلا فإلى أي جهة ويؤمنون بالركوع والسجود ويلحق بهذه الحالة صور متعددة، وفي حال احتدام المعركة وحال الهرب من عدو أو حريق أو سيل أو سبع أو غير ذلك.

صلاة الجمعة[1]

حكمها:

صلاة الجمعة فرض عين على كل مسلم ذَكَر بالغ عاقل حر مستوطِن لا عذر له، فلا تجب على كافر ولا على مجنون، ولا تصح منهما لو صلياها، ولا تجب على المرأة والصغير والمسافر، ولكنَّها تصح منهم، فإذا حضروها أجزأتهم.

ويدل على وجوب الجمعة الكتاب والسنة والإجماع: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾[الجمعة: ٩]، **وقال ﷺ: (لَيَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ عن ودعِهم الجُمُعاتِ أو ليُختَمنَّ على قلوبِهم ثمَّ ليُكتبُنَّ من الغافلين)**[2]**، وأجمع العلماء على وجوبها بالشروط السابقة.**

شروط صحتها:

يشترط لصحة صلاة الجمعة الشروط الآتية:

١- دخول الوقت، ووقتها كوقت صلاة الظهر.

٢- حضور جماعة، وأقلها ثلاث، وقيل: أربعون.

٣-أن يكون المصلُّون مستوطنين بمساكن مبنية، فلا تصح من أهل الخيام وبيوت الشعر الذين ينتقلون طلبًا للكلأ ونحوهم.

٤-أن تتقدمها خطبتان، لمواظبة النبي ﷺ عليهما.

---

(١) ينظر: الاختيار لتعليل المختار (١/ ٨١) اللباب (١/ ١٠٩)، قوانين الأحكام الشرعية (٧٨)، التذهيب في أدلة متن الغاية والتقريب (٧٤)، أخصر المختصرات (١٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ورقمه (٢٠٠٢).

صفتها:

صلاة الجمعة ركعتان يجهر فيهما بالقراءة، يُسنُّ أن يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة سورة الجمعة، وفي الثانية المنافقون، أو يقرأ في الأولى سبح وفي الثانية الغاشية.

خطبة الجمعة:

الخطبتان شرط لصحة الجمعة، ولا بدَّ أن تشتمل كل خطبة على حمد الله والشهادتين والصلاة على رسول الله ﷺ والوصية بتقوى الله وقراءة شيء من القرآن والموعظة، وتتأكد العناية بخطبتي الجمعة لما لهما من أهمية كبيرة وأثر بالغ على الاجتماع الذي يحضر الجمعة، وهذا له دوره الكبير في توجيه المجتمع ونصحه وتذكيره ومعالجة قضاياه المهمَّة.

آداب الجمعة وسننها:

يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع خص الله به أمَّة محمَّد ﷺ، فهو خير يوم طلعت عليه الشمس كما ثبت ذلك في الحديث وخصه الله بخصائص عديدة من أهمها:

١- ما شرعه فيها من هذه الصلاة العظيمة، والاجتماع لها.

٢- مشروعية قراءة سورة الكهف يومها.

٣- مشروعية الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ في هذا اليوم.

٤- مشروعية قراءة سورة السجدة، والإنسان في فجره.

٥- وفي يوم الجمعة ساعة الإجابة.

٦- ويُسنُّ لصلاة الجمعة ما يلي:

٧-الاغتسال لها وقد كثُر الترغيب فيه والتأكيد عليه.

٨-التطيب لها.

٩-لبس أحسن الثياب.

١٠-التبكير بالذهاب إليها.

١١-الدنو من الإمام.

١٢-عدم تخطي رقاب المصلين، إلا إذا كان إمامًا، أو كان يتخطى إلى فرجة في الصف.

١٣-الاشتغال بالذكر وقراءة القرآن والدعاء، رجاء موافقة الإجابة.

١٤-ومن الآداب الواجبة: الإنصات أثناء الخطبة، والكلام والعبث محرَّم لقوله ﷺ: (إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَغَوْتَ)[1]، أي قلت اللغو وهو الإثم.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ورقمه (٩٣٤)، ومسلم في كتاب الجمعة ورقمه (١٩٥٦).

صلاة العيدين[1]

للمسلمين عيدان، لا ثالث لهما، وهما عيد الفطر من رمضان وعيد الأضحى، عوض الله بهما أمَّة الإسلام عن أعياد الجاهلية، وعن كل عيد مستحدث، ويدلُّ على ذلك حديث أنس ﷺ قال: قدم النبي ﷺ (قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الْأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ)[2].

حكمها: صلاة العيدين فرض كفاية وقيل سنَّة مؤكدة ويدل عليها:

١- قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[الكوثر: ٢].

٢- أمر النبي ﷺ بها حتى أمر بها النساء كما في حديث أم عطية ﷺ قالت: (أَمَرَنَا ﷺ أَنْ نُخْرِجَهُنَّ فِي الفِطْرِ وَالأَضْحَى العَوَاتِقَ وَالْحُيَّضَ وَذَوَاتِ الخُدُورِ فأَمَّا الحُيَّضُ فَيَعْتَزِلْنَ الصَّلَاةَ وَيَشْهَدْنَ الخَيْرَ وَدَعْوَةَ المُسْلِمِينَ)[3].

٣-مداومة الرسول ﷺ عليها.

٤-أنها من شعائر الإسلام الظاهرة التي تميز المجتمع المسلم.

وقت صلاة العيدين: يبدأ من ارتفاع الشمس قدر رمح حتى الزوال، ويُسنُّ تقديم صلاة العيد في أول الوقت ليتسع وقت الأضحية، كما يُسنُّ تأخير صلاة عيد الفطر، ليتسع وقت إخراج زكاة الفطر.

---

(١) ينظر: اللباب (١/ ١١٥)، عقد الجواهر الثمينة (١/ ٢٤١)، التذهيب في أدلة متن الغاية والتقريب (٧٧)، العدة شرح العمدة (١١٠)، أخصر المختصرات (١٢٩).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ورقمه (١١٣٤)، والنسائي في كتاب صلاة العيدين ورقمه (١٥٥٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العيدين ورقمه (٩٧٤)، ومسلم في كتاب العيدين ورقمه (٢٠٥٤).

صفتها: تتلخص صفتها في الآتي:

١-صلاة العيد ركعتان بلا أذان ولا إقامة يجهر فيهما بالقراءة.

٢-الصلاة قبل الخطبتين.

٣- يُكبِّر في الركعة الأولى بعد تكبيرة الإحرام والاستفتاح وقبل التعوذ والقراءة ست تكبيرات، ويُكبِّر في الركعة الثانية بعد تكبيرة الانتقال: خمس تكبيرات، يرفع يديه مع كل تكبيرة، ويُسنُّ أن يحمد الله ويثني عليه ويصلي على النبي ﷺ بين التكبيرات.

٤-يُسنُّ أن يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة بـ«سَبِّحْ» وفي الثانية بـ«الغاشية»، أو يقرأ فيهما بسورة «ق»، والقمر.

٥-يخطب الإمام بعد الصلاة خطبتين، يجلس بينهما جلسة خفيفة، يتناول فيهما ما يناسب المقام من بيان أحكام زكاة الفطر ومواصلة العمل الصالح بعد رمضان في عيد الفطر، وأحكام الأضاحي في عيد الأضحى.

آداب العيدين وسننهما:

العيد في الإسلام يجمع بين العبادة وبين إظهار الفرح وتناول الطيبات والمباحات، فلا يجوز أن يخالف الناس في هذين العيدين هذا المنهج، وعلى ذلك لا يجوز أن يجعل العيد مجالاً للمخالفات وفعل المنكرات، والخروج على آداب الإسلام وتعاليمه، مثل اللهو المحرم، واختلاط الرجال بالنساء، والتبرج وتضييع الصلوات.

من سنن صلاة العيدين:

١-أن يتجمَّل الرجال للصلاة، بلبس أحسن الثياب أما النساء فيخرُجْن للصلاة غير متجملات.

٢-التبكير بالنسبة للمأمومين للتمكن من الدنو من الإمام.

٣-الذهاب من طريق والرجوع من طريق آخر.

٤-أكل تمرات وتراً قبل الخروج لصلاة الفطر.

٥-من سُنن الصلاة أيضًا: التكبيرات الزوائد، وجلوس الإمام بين الخطبتين، وأداؤها في الصحراء.

٦- يُسنُّ لمن فاتته صلاة العيد أن يقضيها على صفتها.

٧- يُسنُّ التكبير ليلة العيدين، من غروب الشمس ليلة العيد حتى بدء الصلاة، ويسن التكبير في هاتين الليلتين في الأسواق والبيوت والمساجد وغيرها، يجهر به الرجال ويُسِرُّ به النساء، وصفة التكبير أن يقول: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله اكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

٨-كما يسن هذا التكبير في عشر ذي الحجة من غروب شمس ليلة اليوم الأول من العشر إلى غروب شمس آخر أيام التشريق (اليوم الثالث عشر).

٩-كما يُسنُّ التكبير المقيَّد بأدبار الصلوات من فجر يوم عرفة لغير الحاج إلى عصر آخر أيام التشريق، وبالنسبة للحاج من ظهر يوم العيد إلى عصر آخر أيام التشريق.



الجنائز [1]

أ- عيادة المريض:

عيادة المريض سنَّة، وقد جاء أنَّ من حقوق المسلم على أخيه المسلم عيادته إذا مرض، ورُتّب على هذه العيادة أجور عظيمة.

ومما ينبغي أن ينبَّه له المريض ويذكر به:

١- الرضا بقضاء الله، والصبر، وعدم إظهار الجزع ومعرفة ما يترتب على المرض مع الصبر من تكفير السيئات.

٢- يجوز التداوي بالأدوية المباحة، ويحرم التداوي بكل محرم، ويجوز التداوي بالرقية الشرعية وهي التي لا شرك فيها.

٣- الاستعداد للموت، بالتوبة والإكثار من الأعمال الصالحة.

(١) ينظر: الباب شرح الكتاب (١/ ١٢٥)، قوانين الأحكام الشرعية (٨٨)، عقد الجواهر الثمينة (١/ ٢٥٣)، كفاية الأخيار (١/ ٣١٤)، المغني (٣/ ٣٦١)، أخصر المختصرات (١٣٢).

ما يُسنُّ فعله للمحتضر:

المحتضر هو الذي ظهرت عليه علامات الموت ويُسنُّ عند الاحتضار:

١- توجيه المحتضر إلى القبلة، بأن يكون على جنبه الأيمن ووجهه نحو الكعبة، فإن شق فيُجعل على ظهره ورجلاه إلى القبلة، ويرفع رأسه قليلاً.

٢- تلقينه لا إله إلا الله، لتكون هذه الكلمة آخر كلامه ويكون التلقين برفق.

ب- صفة تغسيل الميت:

بعد وضع الميت على سرير غسله وتجريده من ثيابه مع ستر عورته يجعل المغسل على يده خرقه ثم ينجي الميت مع صب الماء، ثم ينوي تغسيل الميت ويسمي ويوضِّئه كالوضوء للصلاة، ويكتفي في المضمضة والاستنشاق بمسح أسنانه ومنخريه برقة مبللة بالماء، ثم يغسل رأسه ولحيته بالماء مع السدر أو ما يقوم مقامه من المنظفات، ثم يغسل أيمن جسده ثم أيسره، ويكرر الغسل ثلاثًا، ويستحب أن يجعل في الغسلة الأخيرة كافورًا، لأنه يصلب البدن، ثم ينشفه، ويجعل رأس المرأة ثلاث ضفائر وتسدل من ورائها، والمجزئ أن يعمم بدنه الماء.

ج- صفة تكفين الميت:

تكفين الرجل:

التكفين المجزئ أن يستر بقماش يغطي جميع بدنه، والأفضل

أن يكفن في ثلاث لفائف بيض، تبسط بعضها فوق بعض، ويوضع الميت فوقها مستلقيًا على ظهره مع ستر عورته، ويجعل الحنوط (أخلاط من طيب) على عينيه ورأسه وأذنيه ومواضع سجوده وتحت الإبطين، ويجعل من الطيب بين اللفائف، ثم تردد اللفائف بعضها على بعض، ويجمع الفاضل عند رأسه ويرده على وجهه، ويجمع الفاضل عند رجليه ويرده عليهما، ثم يعقد على هذه اللفائف عدَّة أحزمة لئلا تنتشر، وتحل في القبر عند الدفن، ومما يدل على التكفين بثلاث لفائف حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كُفِّنَ فِي ثَلاثَةِ أَثْوابٍ يَمَانِيَةٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ لَيْسَ فِيهِنَّ قَمِيصٌ وَلا عِمَامَةٌ)[1].

تكفين المرأة:

المجزئ كما سبق قطعة قماش تستر جميع بدنها. والأفضل أن تكفَّن في خمس قطع: إزار لستر أسفل البدن، وقميص يستر جميع البدن عدا الرأس، وخمار يستر به الرأس والوجه ثم تلف بلفافتين كبيرتين تستران جميع البدن على صفة لفائف الرجل، ويستحب أن يكون القماش من القطن.

أما الذَّكَر الصغير، يستحب أن يكفن في ثوب واحد يستر جميع بدنه، والصغيرة في قميص ولفافتين.

د- الصلاة على الميت:

حكمها: فرض كفاية وهكذا التجهيز من غسل وتكفين ودفن، إذا

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ورقمه(١٢٦٤)، ومسلم في كتاب الجنائز ورقمه (٢١٧٩).

قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وإلا أثموا جميعًا.

صفتها: السنَّة أن يقف الإمام عند رأس الذَّكَر ووسط الأنثى، ويقف المأمومون خلفه ثم يكبر أربع تكبيرات، يكبر الأولى وهي تكبيرة الإحرام، ثم يستعيذ ويسمِّي ولا يستفتح ثم يقرأ الفاتحة، ثم يكبر الثانية ويصلي على النبي ﷺ على صفة الصلاة عليه في التشهد الأخير، ثم يكبر الثالثة: ويدعو للميت ولنفسه وللمسلمين بالدعاء المأثور ومنه: (**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا ، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ**)[1].

(**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنْ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنْ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ ، وَقِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ**)[2].

ويؤنث الضمير للأنثى، ويجتهد في الدعاء للميت لقوله ﷺ: (**إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ**)[3]. ثم يكبر التكبيرة الرابعة، ويسكت بعدها قليلاً ثم يسلم تسليمة واحدة عن يمينه.

هـ- صفة الدفن:

اتباع الجنازة وتشييعها إلى قبرها سنَّة، وفيه فضل عظيم لقوله ﷺ: (**مَنْ شَهِدَ الْجِنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ**

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز ورقمه (٣٢٠١).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز ورقمه (٢٢٣٢).
(٣) أخرجه أبو داود في الجنائز ورقمه (٣١٩٩).

فَلَهُ قِيرَاطَانِ . قِيلَ : وَمَا الْقِيرَاطَانِ ؟ قَالَ : مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ)[1] ، ويسنُّ أن يكون المشيعون على سكينة ووقار وخوف من الله ولا يشرع رفع الصوت مع الجنازة لا بذكر ولا بقراءة ولا بغيرهما، ويسنُّ عند الدفن مراعاة الآتي:

١- تعميق القبر لئلا تحفره السباع، ولئلا يخرج له رائحة.

٢- يُسنُّ ستر قبر المرأة عند إنزالها فيه.

٣- يقول من يُدخِل الميت قبرَه، بسم الله وعلى ملَّة رسول الله.

٤- يوضع الميت في لحده على شِقِّه الأيمن موجهًا إلى القبلة.

٥- تُحلُّ عقد الكفن ثم تغطَّى فتحة اللحد باللبِن والطين، ثم يهال عليه التراب.

٦- ويُسنُّ لمن حضر الدفن أن يحثو على القبر ثلاث حثيات، ويرفع القبر قدر شبر من الأرض وتوضع عليه الحصباء ويرش بالماء ليتضح القبر، ويتماسك عليه التراب، ولا بأس بوضع صخرة ونحوها على طرفيه لتكون علامة يعرف بها.

التعزية:

حكمها: التعزية سنَّة لمواساة المصاب، وتهوين المصيبة عليه وحثه على الصبر والدعاء للميت.

آدابها:

١- التزام السنة في التعزية.

٢- تجنب ما يَزيد ألمَ المصاب من كل قول أو فعل يزيد في حزنهم ويجدد مصابهم.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ورقمه (١٣٢٥).

٣- تجنب ما يظهر منه عدم الاكتراث بالمصيبة من التوسع في كلام الدنيا أو الضحك ونحو ذلك.

٤- أن يظهر على المعزي التأثر بالمصيبة ومشاركة المصابين مصابهم.

٥- التزام صفة التعزية، وتجنب كل ما يخرج عليها.

صفة التعزية:

أن يقول المعزي ما ورد مثل: (**أَعْظَمَ اللهُ أجرَكَ، وأَحْسَنَ عزاءك، وَغَفَرَ لميِّتِكَ**)، ومثل: (**إنَّ للهِ ما أَعْطَى وَلَه ما أَخَذَ وكلُّ شيءٍ عِنْدَه بأَجَلٍ مسمًّى**)، ويحسن أن يرد المصاب بقوله: استجابَ الله دعاءك ورحمنا وإيَّاك، ومما يستحب:

أن يُعدَّ لأهل الميت طعام يُدفع لهم، لأنهم مشغولون بمصيبتهم عن إعداد الطعام، ويحرم إقامة المآتم بالنياحة وتعداد مآثر الميت، وأما البكاء بدون تسخط ورفع صوت فهو مباح، لقوله ﷺ لمّا مات ابنه إبراهيم: (**إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا ، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**)[1].

ز- محظورات الجنائز:

١- الندب والنياحة وهو رفع الصوت بالبكاء مع تعداد محاسن الميت.

٢- التجزع والتسخط من قضاء الله.

٣- شق الثياب ولطم الخدود ونتف الشعر.

(١) أخرجه البخاري في الجنائز ورقمه (١٣٠٣).

٤- البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها.

٥- إسراج القبور وإنارتها.

٦- تعظيم القبور والتبرك بها والطواف حولها والدعاء عندها، والأعظم من ذلك دعاء أصحابها من دون الله.

٧- الدفن بالمساجد، والصلاة عند القبور.

٨- إعداد الولائم من قبل أهل الميت للمعزين.

٩- اتباع النساء للجنائز.

ح – زيارة القبور:

١- الزيارة الشرعية المرغب فيها: هي زيارة الرجال للمقابر بدون سفر، بقصد الاتعاظ والدعاء للأموات، والسنَّة أن يقول الزائر: **(السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ)**[1] أو **(السَّلامُ على أهلِ الدِّيارِ من المؤمنينَ والمُسْلمينَ، ويَرْحَمُ اللهُ المُستَقدِمينَ مِنَّا والمُستَأخِرينَ، وإنَّا إن شاءَ الله بِكُمْ لَلاحِقونَ)**[2] ، ويدعو لهم بالمغفرة والرحمة.

٢- الزيارة البدعية المحرمة: وهي الزيارة بقصد التبرك بالقبور أو الدعاء عندها أو طلب الحاجات من أهلها ودعائهم من دون الله.

ط- نقل الميت:

نقل الميت يشمل نقله من بلد وفاته إلى بلد آخر ليدفن فيه، كما يشمل نقله من قبره إلى قبر آخر، وكلاهما لا يجوز إلا لضرورة أو

(١) أخرجه مسلم في الطهارة ورقمه (٥٨٤).
(٢) ينظر كتاب الجنائز في صحيح مسلم رقم (٢٢٥٥) على (٢٢٥٧).

مصلحة راجحة يقرِّرها أهل العلم، وذلك لما يلي:

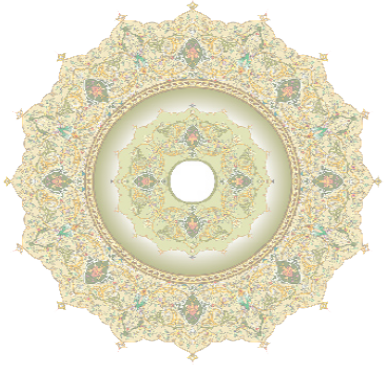
١- حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**أسرِعُوا بالجنازَةِ، فإنْ تكُ صالِحةً فخيرٌ تُقدِّمُونَها إليه، وإنْ تَكُ سِوَى ذلكَ فشَرٌّ تَضعونَهُ عن رِقابِكمْ**)[١].

وفي نقل الميت من بلد إلى بلد آخر تأخير لجنازته وحبس لها.

٢- أن في نقل الميت من بلد إلى آخر تعريضًا له للتغير، وكلفة ومؤونة ربما تؤخذ من تركته.

٣- أنه لم يرد عن السلف نقل موتاهم إلا لمسافة قريبة.

٤- وبخصوص نبش الميت ونقله من قبره، فإن القبر أصبح وقفًا على هذا الميت بخصوص بدفنه فيه، فلا ينقل منه إلا لضرورة، كتضرر الميت ببقائه، لوصول المياه إليه- مثلاً- أو لمرور طريق عام عليه، ونحو ذلك[٢].



(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، ورقمه (١٣١٥).

(٢) ينظر المغني ٣/ ٤٤٣، وفتاوي ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم ٣/ ٢٢٦، وفتاوي اللجنة الدائمة ٩/ ١٢٢ من الفتوى (٢٢١٤).



الزكاة [1]

تعريفها: في اللغة: النماء والزيادة، وهي في الاصطلاح: حقٌّ مقدر شرعًا في مال معين لطائفة مخصوص في وقت خاص.

حكمها ومكانتها:

الزكاة واجبة في أموال معينة بشروط يأتي ذكرها، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام، تأتي مرتبتها بعد الصلاة، قرَنَها الله بالصلاة في القرآن فيما يزيد على ثمانين موضعًا من كتابه، ولهذا قال الصِّدِّيق ﷺ: **(وَاللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ)**[2]، وقد كثرت النصوص التي تدل على وجوبها وتحث عليها وترغب في إخراجها، وتتوعد من منع أداءها: ومن هذه الأدلة:

١- قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[البقرة: ٤٣]،

(١) ينظر: اللباب (١/ ١٣٦)، الاختيار في تعليل المختار (١/ ٩٩)، قوانين الأحكام الشرعية (٩٤)، عقد الجواهر الثمينة (١/ ٢٧٧)، التذهيب (٩٢)، كفاية الأخيار (١/ ٣٣١)، العدة (١٢٣)، المغني (٤/ ٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ورقمه (١٤٠٠).

في أكثر من موضع في القرآن.

٢- حديث عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: وذكر منها إِيتَاءِ الزَّكَاةِ**)[١]، ولهذا فمن جحد وجوبها مع علمه به فهو كافر بإجماع المسلمين، ومن منعها بُخلاً، مع الإقرار بوجوبها فقد ترك واجبا عظيمًا من واجبات الدين وعليه وعيد شديد، وتؤخذ منه قهرًا ويعاقب على المنع.

لإخراج الزكاة حكم عظيمة وفوائد كثيرة من أهمها:

١- تحقيق العبودية لله عزَّ وجلَّ بامتثال أمره.

٢- تطهير المزكى من صفة البخل، لقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[التوبة: ١٠٣].

٣- تطهير المال المزكَّى وحفظه من الآفات، وتنميته وزيادة بركته، ولهذا قال ﷺ: (**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ**)[٢].

٤- مواساة الفقراء والمحتاجين، وبها يظهر التكافل بين أفراد المجتمع، وتتقوى بينهم روابط التآلف والتراحم والمحبة.

٥- حماية المجتمعات من الجرائم المالية، كالسرقة والنهب والسطو والاختلاس.

٦- امتصاص حقد الفقراء على الأغنياء، وإحلال المحبة والمودة فيما بينهم، لأنَّ النفوس مجبولة على حبِّ من أحسن إليها.

٧- أنها سبب لنزول الأمطار وما يترتب على ذلك من الخيرات الكثيرة.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ورقمه (٨)، ومسلم في كتاب الإيمان ورقمه (١١٢).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والأدب ورقمه (٦٥٩٢).

٨- إضافة إلى ما رتب على إخراجها من الفضائل الكثيرة كتكفير السيئات وإطفاء غضب الربِّ، ودفع ميتة السوء، ودخول الجنة، كما ثبت في الأحاديث.

شروط وجوب الزكاة:

لوجوب الزكاة خمسة شروط إذا تخلف منها واحد لم تجب، وهي:

١- الإسلام، فلا تجب على الكافر بمعنى أنَّه لا يطالب بها بعد إسلامه عما مضي، ولا تصح منه لو أخرجها حال كفره، لأنَّ الله لا يقبل عمل الكافر.

٢- الحرية، فلا تجب على العبد المملوك، لأنه لا مال له، فهو وما ملك لسيده.

٣- ملك النصاب، فلا تجب الزكاة في المال إذا كان دون النِّصاب، والنِّصاب: مقدار معلوم من المال قدَّره الشرع، وسيأتي بيان مقادير أنصبة الزكاة.

٤- تمام الملك، بأن يكون المال مملوكًا للشخص ملكًا كاملاً، فلا تجب الزكاة في المال الذي لا يملكه شخص معيَّن، مثل: أموال الوقف، والأموال المتجمعة من التبرعات لصناديق البرِّ أو في هيئات الإغاثة.

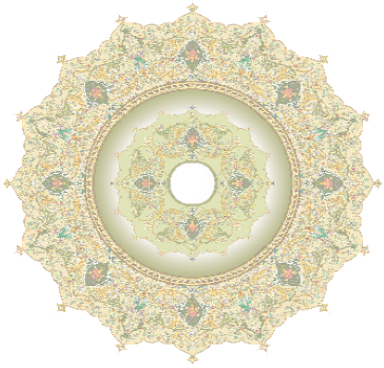
٥- مضي الحَول، فإذا مرَّ على المال المملوك سنة كاملة، وجبت فيه الزكاة، وهذا في غير الخارج من الأرض، فإنه يزكي عند حصوله، وغير نتاج البهائم، وربح التجارة فإن حولهما تابع لحول أصلهما.

زكاة الدَّين وأثره على الزكاة:

الدَّين هو المال الواجب في الذمَّة، وتجب فيه الزكاة إذا كان على مليء قادر على وفائه، فإذا كان لشخص دين في ذمَّة آخر وهو قادر على سداده متى ما طلب الدائن، فإنه يزكيه كل سنة، وإن كان على شخص يتعذر وفاؤه كالدين على المفلس ونحوه، فلا تجب فيه الزكاة، وإنما يزكيه إذا قبضه لسنة واحدة.

أثر الدَّين على الزكاة:

الدَّين مؤثر على الزكاة: فإذا كان الدَّين يستغرق المال فلا زكاة فيه، وإن كان يستغرق بعضه فيزكي ما لم يستغرقه الدين.



الأموال الزكوية

المراد أنواع الأموال التي تجب فيها الزكاة، وهي أربعة أنواع:

١- بهيمة الأنعام.

٢- الخارج من الأرض.

٣- الذهب والفضة.

٤- عروض التجارة.

١- بهيمة الأنعام وهي أنواع ثلاثة: الإبل والبقر والغنم، ويشترط لوجوب الزكاة فيها إضافة إلى الشروط العامة شرطان:

الأول: أن تكون سائمة، أي ترعى من المراعي جميع الحول أو غالبه، فإذا كان يعلفها صاحبها فلا زكاة فيها إلا إذا أعدت للتجارة.

الثاني: ألا تكون معدة للعمل بالحرث أو السقي أو غيرهما.

أنصبة الزكاة في بهيمة الأنعام ومقدار الواجب فيها فهي كما يلي:

الإبل		البقر		الغنم	
المقدار	الواجب فيه	المقدار	الواجب فيه	المقدار	الواجب فيه
٥-٩	شاه واحدة	٣٠	تبيع	٤٠-١٢٠	شاة
١٠-١٤	شاتان	٤٠	مسنة	١٢١-٢٠٠	شاتان
١-١٩	٣شياه			٢٠١-٣٠٠	٣شياه
٢٠-٢٤	٤شياه				
٢٥-٣٥	بنت مخاض				
٣٦-٤٥	بنت لبون				

٤٦-٦٠	حقة				
١٦-٧٥	جذعة				
٧٦-٩٠	بنتا لبون				
٩١-١٢٠	حقتان				

ثم في كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقه	ثم في كل ٣٠ تبيع وفي كل أربعين: مسنة	ثم في كل مائة: شاة.

ثانيًا: الخارج من الأرض: وهو أنواع ثلاثة:

٣- الحبوب والثمار.

٤- المعادن.

٥. الركاز.

النوع الأول: الحبوب والثمار: ويشترط لوجوب الزكاة فيها إضافة للشروط العامة:

١- أن يكون نصابها مملوكًا للشخص وقت وجوب الزكاة.

٢- أن تكون مكيلة، فلا زكاة في الخضروات والبقولات لأنها غير مكيلة.

٣- أن تكون مدخرة أي قابلة للادخار بطبيعتها، فلا زكاة في الفواكه كالتفاح والبرتقال؛ لأنها غير قابلة للادخار بطبيعتها.

ووقت الوجوب للحبوب والثمار: إذا اشتدَّ الحبُّ وصلحت الثمار، ولا يستقر الوجوب إلا بجعلها في موضع تشميسها وتجفيفها، وإن باع الحَبَّ أو الثمرة بعد وقت الوجوب فالزكاة على البائع، لأنَّه المالك لها وقت الوجوب.

نصاب الحبوب والثمار:

النصاب خمسة أوسق، وهي جمع وسق، والوسق ستون صاعًا بصاع النبي ﷺ، فيكون: ٣٠٠صاع نبوي، ويساوي بالمكيال المعاصر: ٦١٢ كيلو غرامًا، ولا تُضم الأجناس إلى بعضها في تكميل النصاب، وإنما يضم النوع إلى النوع، فلا يضم البُرُّ إلى الشعير، وإنما تضم أنواع البُرِّ بعضها إلى بعض، وتضم أنواع التمور بعضها إلى بعض لتكميل النِّصاب.

والواجب فيها: العُشْر فيما لا مؤونة في سقيه، ونصف العشر فيما سقي بمؤونة، وثلاثة أرباع العشر فيما اجتمع فيه الأمران.

النوع الثاني: المعادن:

المقصود بالمعادن ما هو متولَّد من الأرض من غير جنسها وليس نباتًا، وهي أنواع منها الجامد كالذهب والفضة والحديد، ومنها السائل كالنفط والزئبق.

والواجب في المعدن ربع عشره ٢,٥٪ إن كان ذهبًا أو فضة إذا بلغ نصابًا بعد تصفيته، أو ربع عُشْر قيمته إن كان غير ذهب وفضة كالجواهر والرصاص والملح، إذا بلغ ذلك نصابًا فأكثر بعد تصفيته.

وتخرج زكاة المعادن بعد استخراجه وحيازته وتصفيته، بشرط أن يكون مملوكًا لشخص معين، ولهذا لا تجب الزكاة فيما دخل في الملك العام للدولة، كما هو الحال في أكثر المعادن في هذا العصر.

ولا زكاة فيما يستخرج من البحر من اللؤلؤ والمرجان والعنبر والسمك وغيره إلا إذا أعد للتجارة بعد استخراجه، فيكون حكمه حكم عروض التجارة.

النوع الثالث: الركاز، والمقصود به: ما وجد في الأرض مما دفنه الكفار قبل حلول الإسلام في ديارهم، فما وجد في الأرض مدفونًا من ذهب أو فضة أو سلاح أو جواهر وحلي وغير ذلك وعليه علامات الكفار فهو ركاز وإلا فليس بركاز.

والواجب في الركاز: الخُمْس أي ٢٠٪، ولا يشترط له الحول بل يخرج الواجب فيه حال وجوده، وما بقي بعد الخُمْس فهو ملك لواجده، وأما الخُمْس فهو لبيت مال المسلمين يصرف في المصالح العامَّة.

ثالثًا: زكاة الذهب والفضة وما يقوم مقامهما يسميان بالنقدين، لأنهما كان يستعملان نقدًا تُقَوم به السلع لنفاستهما.

ونصاب الزكاة في الذهب عشرون مثقالاً أو عشرون دينارًا، والدينار اسم للعملة المتخذة من الذهب، ويزن في المعيار الحالي: (٢٥ , ٤) غرامًا، فيكون النصاب في الغرامات ٨٥ غرامًا، فلا تجب الزكاة في أقل من ذلك.

ونصاب الفضة: مائتا درهم، والدرهم: اسم للعملة المتخذة من الفضة، ويزن بالمعيار المعاصر: ٢ , ٩٧٥ غرامًا فيكون النصاب بالغرامات: ٥٩٥ غرامًا، فلا تجب الزكاة فيما هو أقل من ذلك.

والواجب في الذهب والفضة ربع العشر، أي: ٢ , ٥٪، والطريقة الميسرة لاستخراج الواجب فيهما أن نقسم الموجود منهما على (٤٠) والناتج هو المقدار الواجب، فمثلاً: ٢٠٠ غرام من الذهب، ٢٠٠ ÷ ٤٠ = ٥ غرامات وهكذا.

الأوراق النقدية:

تجب الزكاة في الأوراق النقدية باعتبارها حلَّت محل الذهب والفضة، وتقوم النقود الورقية على أساس قيمة نصاب الذهب أو

الفضة، فإذا بلغت نصاب أحد النقدين وجبت فيها الزكاة، فمثلاً إذا كانت قيمة غرام الذهب في وقت إخراج الزكاة = ٤٠ ريالاً وقيمة غرام الفضة ريالين، فنصاب الريالات إذا قومت بالفضة: ٥٩٥ × ٢ = ١١٩٠ ريال، ونصاب الريالات إذا قومت بالذهب ٨٥ × ٤٠ = ٣٤٠٠ ريال، فيكون النصاب باعتبار الأقل من قيمة الذهب والفضة وهو هنا: ١١٩٠ ريالاً، وهذا يختلف باختلاف قيمة الذهب والفضة من وقت لآخر.

رابعًا: عروض التجارة:

المراد بعروض التجارة: ما أُعدَّ للبيع والشراء بقصد الربح من جميع أنواع الأموال غير النقود من مواش وسيارات، وملابس وحديد وأخشاب، سمِّيت بذلك: لأنها تعرض للبيع والشراء.

ويشترط لوجوب الزكاة في عروض التجارة إضافة إلى الشروط العامة: نيّة التجارة بأن يقصد بها التكسب والربح.

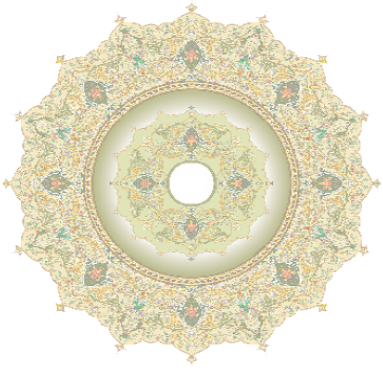
ونصابها بالنظر إلى قيمتها، فإذا بلغت قيمتها نصابًا وجبت فيها الزكاة، وتُقَوَّم بالأقل من نصاب الذهب أو الفضة، بالنظر إلى قيمتها بالذهب وقيمتها بالفضة، ويُضمُّ ما عند الشخص من عين ذهب أو فضة أو عملة ورقيَّة إلى قيمة العروض في تكميل النِّصاب.

زكاة الأسهم والسندات:

الأسهم: جمع سهم، وهو حصَّة من حصص متساوية يتكون منها رأس مال شركة من الشركات المساهمة، فمثلاً: لو كونت شركة برأس مال قدره خمس ملايين ريال، وجزأت رأس المال إلى خمسة آلاف

جزء فتكون قيمة السهم الواحد: ألف ريال، فيكون المالك لهذا السهم شريكًا، يستحق من الربح ويتحمل من الخسارة في هذه الشركة بقدر سهمه، والزكاة واجبة في الأسهم باعتبار أن الشركة منشأة بنيَّة التجارة.

وأما إخراجها فإن جعل إخراج الزكاة إلى الشركة فتتولى الإخراج وتكون وكيلة عن الشركاء في ذلك، وإن لم يجعل لها ذلك، فعلى كل شريك أن يخرج زكاة أسهمه بالنظر إلى قيمة السهم الحالية وقت إخراج الزكاة، هذا إذا كان قاصدًا بهذه الأسهم البيع والشراء والمتاجرة، وإن كان قصده الاستفادة من ربحها، ولا نيَّة له في بيع الأسهم، فتكون بمثابة الأعيان المؤجرة، يزكي ربحها إذا حال عليه الحول.



مصارف الزكاة:

بين الله مصارف الزكاة بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة: ٦٠].

١- **الفقراء:** وهم الذين لا يجدون شيئًا مما يكفيهم، أو يجدون نصف الكفاية، فيعطون ما يكفيهم لمدَّة سنة.

٢- **المساكين:** وهم الذين يجدون نصف الكفاية فأكثر دون الكفاية، فيعطون ما يكفيهم لمدَّة سنة.

٣- **العاملون عليها:** وهم الذين يجمعون الزكاة من أهل الأموال ويقسمونها على أهلها، ونحوُهم من يعمل معهم، وهؤلاء يعطون من الزكاة بقدر أجرتهم على عملهم، إلا إذا كان لهم راتب من الدولة فلا يعطون شيئًا.

٤- **المؤلَّفة قلوبهم:** وهم السادة المطاعون في أقوامهم ممن يرجى بإعطائهم من الزكاة: إسلامهم، أو كف شرهم أو قوة إيمانهم، أو دفع عدو عن المسلمين، ويعطون من الزكاة ما يحصل به التأليف.

٥- **الرقاب:** وهم المكاتَبون الأَرِقَّاء الذين يشترون أنفسهم من أسيادهم، فيعطَون من الزكاة ما يسدِّدون به دينهم ويفك رقابهم.

٦- **الغارمون:** جمع غارم والمراد من عليه دَين وهم نوعان:

الأول: غارمون لأنفسهم، فيعطون من الزكاة ما يسدد دينهم.

الثاني: غارمون للإصلاح بين طائفتين متخاصمتين من المسلمين، فيعطون من الزكاة ما يسدد ديونهم.

٧- **في سبيل الله:** والمراد المجاهدون في سبيل الله وليس لهم مرتب من الدولة، فيعطون ما يسد حاجتهم ويكفيهم للجهاد في سبيل الله.

٨- **ابن السبيل:** والمراد به المسافر الذي انقطع به سفره بسبب نفاذ ما معه من المال، فيعطى من الزكاة ما يوصله إلى بلده، ولو كان غنيًّا في بلده.

وعلى ما سبق: لا يجوز صرف الزكاة لغير مَن ذُكر في الآية، فلا يصرف من الزكاة في وجوه البر المختلفة غير ما ذكر كبناء المساجد والمدارس والمستشفيات ونحو ذلك ولا يجوز دفع الزكاة إلى أصل الإنسان وفرعه وزوجته وأولاده وكل قريب تجب عليه نفقته.

إخراج الزكاة:

يجب إخراج الزكاة فورًا إذا حلَّ وقت جوبها، ويجوز تعجيلها قبل وقتها لسنتين فأقل: والأفضل: أن تخرج الزكاة في أهل البلد الذي فيه المال، فإن لم يوجد فيه فقراء نقلت إلى أقرب البلاد إليه.

زكاة الفطر وصدقة التطوع

تعريفها: هي الصدقة المشروعة في ختام شهر رمضان، سمِّيت بزكاة الفطر؛ لأنها تجب بالفطر من رمضان.

حكمها: تجب على كل مسلم يملك يوم العيد وليلته صاعًا فاضلاً عن قوته وقوت من يجب عليه الإنفاق عليه.

ويلزمه أن يخرج أولاً عن نفسه، فإن وجد فاضلا فعن زوجته، وإن وجد فاضلا فأولاده، وهكذا، ويستحب إخراجها عن الحمل في البطن.

دليلها: حديث ابن عمر ﷺ قال: **(فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلاةِ)**[1].

وقد شُرعت لحكم عظيمة، من أهمها:

١- طُهْرَة للصائم من اللغو والرَّفَث.

٢- جبرًا لما يحصل من خلل في الصيام.

٣- طُعْمَة للمساكين.

الواجب فيها: صاع من بُرٍّ أو تمر، أو زبيب أو أَقِطٍ، أو من غير ذلك مما يطعمه الآدميون كالأرز والذرة، والمقدار: صاع بالصاع النبوي، ويساوي: ٢,٤ كجم تقريبًا، وتجب بغروب الشمس من ليلة العيد، وأفضل وقت لإخراجها بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العيد، ويجوز تقديمها قبل العيد بيوم أو يومين، ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد إلا لضرورة.

(١) أخرجه البخاري في أبواب صدقة الفطر ورقمه (١٥٠٣)، ومسلم في كتاب الزكاة ورقمه (٢٢٧٨).

صدقة التطوع:

المراد بصدقة التطوع الإنفاق غير الواجب في وجوهِ البِرِّ المختلفة تقربًا إلى الله تعالى.

حكمها: الصدقة مستحبة ومرغوب فيها، وقد كثرت النصوص الشرعية التي ترغب في الإنفاق وتحث عليه وتبين فضلَه وجزاء المتصدِّقين، كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾[البقرة: ٢٤٥].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٨٠]

وقوله ﷺ:

(سبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّه وذكر منهم: رجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتَّى لا تعلَمَ شِمالُه ما صَنَعَتْ يمينُه)[١]، وحديث: **(مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلا يَقْبَلُ اللهُ إِلاّ الطَّيِّبَ فَإِنَّ اللهُ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ)**[٢].

وللصدقة آداب منها:

١- تقديم القريب الذي لا تجب نفقته.

٢- الإكثار من الصدقة في أوقات الحاجة والأزمنة الفاضلة، كرمضان وعشر ذي الحجة.

٣- الإسرار بها؛ لأنه أبعد عن الرياء.

٤- الصدقة حال الصحة.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ورقمه (١٤٢٣).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ورقمه (١٤١٠)، ومسلم في كتاب الزكاة ورقمه (٢٣٤٣).



الصيام [1]

تعريفه:

هو التعبُّد لله بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

أنواعه: الصوم نوعان: الصوم الواجب، وصوم النفل.

الصوم الواجب وهو نوعان: واجب بأصل الشرع وهو صوم شهر رمضان المبارك، وصيام الكفارة، وما أوجبه العبد على نفسه وهو صوم النذر.

صوم رمضان:

حكمه: صوم رمضان هو الركن الرابع من أركان الإسلام الخمسة، دلَّ على وجوبه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[البقرة: ١٨٣]، وقوله ﷺ: **(بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ، ذكر منها صَوْمِ رَمَضَانَ)**[2].

(١) ينظر: اللباب (١/ ١٦٢)، الاختيار (١/ ١٢٥)، عقد الجواهر الثمينة (١/ ٣٥٥)، المقدمات الممهدات (١/ ٢٣٧)، كفاية الأخيار (١/ ٣٩٠)، الترهيب (١٠٢)، المغني (٤/ ٣٢٣)، أخصر المختصرات (١٤٤).

(٢) سبق تخريجه.

ما يثبت به دخول الشهر وخروجه: يثبت دخول الشهر بأحد أمرين:

الأول: رؤية الهلال، فإذا رؤي بعد غروب الشمس من اليوم التاسع والعشرين ليلة الثلاثين من الشهر فقد دخل الشهر التالي.

الثاني: إكمال عدة الشهر ٣٠ يومًا إذا لم يُرَ الهلال ليلة الثلاثين، لقوله ﷺ: (**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاثِينَ**)[(١)].

شروط وجوب الصوم:

يشترط لوجوب صوم رمضان:

١- الإسلام، فلا يجب على الكافر، بمعنى أنه لا يطالب بقضائه إذا أسلم، ولا يصح منه لو صام حال كفره.

٢- البلوغ، فلا يجب على الصغير، ولكنَّه يؤمر به ليعتاده إذا كان يُطيقه.

٣- العقل، فلا يجب على مجنون؛ لأنه لا يدرك معنى الصوم.

٤- القدرة على الصيام: فلا يجب على العاجز عن الصوم لكبر أو مرض لا يرجى شفاؤه، فيفطر ويطعِم عن كل يوم مسكينًا.

أقسام الناس في الصيام:

١- المقيم القادر على الصوم: وهذا يجب عليه الصوم لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[البقرة: ١٨٥].

٢- المريض: ويُباح له الفطر إذا كان يتضرر بالصوم، ويجب عليه القضاء إذا شفي.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم ورقمه (١٩٠٩).

٣- المسافر: سفرًا يُسنُّ معه قصر الصلاة، فيفطر، وعليه القضاء إذا أقام، والدليل على المريض والمسافر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[البقرة: ١٨٥].

٤- الحائض والنفساء: ويحرم الصيام عليهما ولا يصح منهما، وعليهما القضاء؛ لقول عائشة ﵂: (**كنا نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ وَلا نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلاةِ**)[(١)].

٥- الحامل والمرضع: إن خافتا على أنفسهما من الضرر بالصوم أفطرتا وقضتا.

٦- العاجز عن الصوم لكبر أو مرض لا يرجى برؤه، وهذا يفطر ويطعم كل يوم مسكينًا.

مفسدات الصوم:

تتلخص المفطرات أو مفسدات الصيام في الآتي:

١- الأكل والشرب عمدًا مع الذكر والاختيار لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[البقرة: ١٨٧].

٢- الجماع: لقوله ﷺ فيما يروي عن الله تعالى في الحديث القدسي: (**يَدَعُ شَهْوَتَه وَطَعامَه وَشَرابَه مِن أَجْلِي**)[(٢)]، وكما في حديث الأعرابي الذي واقَعَ زوجته في شهر رمضان وأنه قال: (هلكت).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحيض ورقمه (٧٦٣).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم ورقمه (١٩٣٦)، ومسلم في كتاب الصيام ورقمه (٢٥٩٥).

٣- تعمد القيء لقوله ﷺ: (وَمَنْ اسْتَقَاءَ عَمْدًا فَلْيَقْضِ)[١].

٤- إخراج المني بفعله، لا بالاحتلام.

٥- الحجامة وهي إخراج الدم من الجسد بآلة خاصة وكيفية خاصة، فيفطر بها الحاجم وهو الذي يمتص الهواء لإخراج الدم، والمحجوم وهو من أُخرج منه الدم، ومثله سحب الدم بكمية كبيرة للتبرع، وأما إذا كان قليلاً كالذي يسحب من المريض للتحليل فلا يفطر.

٦- وصول شيء إلى الجوف عن طريق الفم والأنف.

٧- الحقن المغذية التي يُحقن بها الشخص عن طريق الوريد، ومثلها حقن الدم في المريض، بل هو أولى؛ لأن الدم خلاصة الغذاء، وأما الحقن غير المغذية وإنما للعلاج في العضل أو في غيره فلا تفطر، وهكذا استنشاق البخار والأكسجين لعلاج الربو فلا يفطر.

حكم من فعل شيئًا من المفطرات:

إن كان نسيانًا أو جهلاً فلا يُحكم بفطره ولا قضاء عليه، وإن كان متعمدًا ذاكرًا الصوم، فقد أثم إثمًا عظيمًا وعليه التوبة وقضاء الصوم، وإن كان فعل الفطر بجماع فعليه مع القضاء الكفارة وهي عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا.

(١) أخرجه أبو داود في الصوم ورقمه (٢٣٨٠)، والترمذي في أبواب الصوم ورقمه (٧٢٠) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

سنن الصوم ومكروهاته

سنن الصوم:

١- السحور: لقوله ﷺ (**تَسَحَّروا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً**)[١].

٢- تأخير السحور.

٣- تعجيل الإفطار إذا تحقَّق الغروب، لقوله ﷺ: (لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ)[٢].

٤- الفطر على رطب، فإن لم يجد فعلى تمر، فإن لم يجد فعلى ماء.

٥- الدعاء عند الإفطار بالدعاء الوارد، ومنه: (**ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتْ الْعُرُوقُ وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللهُ**)[٣]، ويكثر الدعاء فللصائم عند فطره دعوة لا ترد.

٦- كما يسنُّ تفطير الصوَّام والإكثار من العبادات كقراءة القرآن والذكر والدعاء والصدقة.

٧- ويجب حفظ الصيام عما يجرحه وينقص ثوابه بحفظ الجوارح عن اقتراف الآثام.

مكروهات الصوم:

يُكره للصائم ما يلي:

١- المبالغة في المضمضة والاستنشاق لقوله ﷺ:(**وَبَالِغْ فِي**

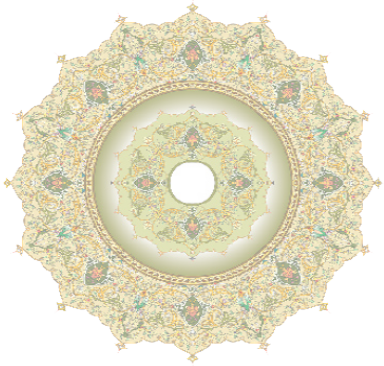
(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم ورقمه (١٩٢٣)، ومسلم في كتاب الصوم.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم ورقمه (١٩٥٧).
(٣) أخرجه أبو داود في الصوم ورقمه (٢٣٥٧).

الاسْتِنْشَــاقِ إِلا أَنْ تكُــونَ صَائِمًــا)[1].

٢- جمع ريقه وابتلاعه.

٣- ذوق الطعام بلا حاجة، والمراد بطرف اللسان دون ابتلاع شيء.

٤- مضغ العلك، دون بلع طعمه.



(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصوم ورقمه (٢٣٦٦)، والترمذي في كتاب الصوم ورقمه (٧٨٨)، وقال: حسن صحيح ص ١٧٢٥.

صيام التطوع:

صيام التطوع من أفضل العبادات التي يُتقرَّب بها إلى الله وتنال بها رفعة الدرجات، وتكفير السيئات، ومما يُسنُّ صيامه.

١- ستة أيام من شوال، لقوله ﷺ: (**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**)[١].

٢- صيام الاثنين والخميس من كل أسبوع، لأنهما اليومان اللذان تعرض فيهما الأعمال على الله.

٣- صيام تسعة أيام من أول شهر ذي الحجة، وآكدها يوم عرفة لغير الحاج، فقد ورد أنه يكفر سنتين.

٤- صيام الأيام البيض من كل شهر، وهي: اليوم الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر.

٥- يُسنُّ صيام أكثر شهر محرم وآكده يوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر، وصيامه يكفِّر سنة، كما تبين في الحديث، ويسن أن يُصام معه اليوم التاسع لمخالفة اليهود.

٦- وهكذا الإكثار من الصيام من شهر شعبان، وأفضل الصيام صيام داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيام ورقمه (٢٧٥٨).

الأيام المنهي عن صيامها:

ورد النهي عن صيام أيام معينة، وهي:

١- يوم العيدين: عيد الفطر وعيد الأضحى، لحديث أبي سعيد ﷺ أَنَّ رسولَ الله ﷺ **نهى عن صِيامِ يَوْمَيْنِ: يومِ الفِطْرِ وَيَومِ النَّحْرِ**[١].

٢- أيام التشريق: وهي الأيام الثلاثة بعد يوم عيد الأضحى [١١، ١٢، ١٣]؛ لقوله ﷺ: **(أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وذكر الله تعالى)**[٢].

٣- صوم يوم الشك: وهو يوم الثلاثين من شعبان إذا غُمَّ الهلال بغيم أو قتر. لقول عمار: **(مَنْ صَامَ الْيَوْمَ الَّذِي يُشَكُّ فِيهِ فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ)**[٣].

٤- إفراد شهر رجب بالصوم، لأن من شعار الجاهلية تعظيم شهر رجب.

٥- إفراد يوم الجمعة بالصوم، للنهي عن ذلك.

٦- كما يُكره الوصال، وهو أن يَصِلَ صومَ يومٍ باليوم الذي بعده، دون فطر بينهما؛ لأن النبي ﷺ نهى عن الوصال[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم ورقمه (١٩٩١)، ومسلم في كتاب الصوم ورقمه (٢٦٧٤).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصيام ورقمه (٢٦٧٨).
(٣) أخرجه أبو داود في الصيام ورقمه (٢٣٣٤)، وذكره البخاري معلقًا بصيغة الجزم عن عمار ص١٤٩.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الصوم ورقمه (١٩٦٢).

أحكام القضاء:

القضاء واجب على من أفطر أيامًا من رمضان، سواء أفطر بعذر أو بغير عذر، وتستحب المبادرة بالقضاء؛ للخروج من عهدة الواجب، ولكنَّه يجوز تأخيره إلى ما قبل رمضان الآخر بعدد ما عليه من أيام، وإن أخَّره إلى ما بعد رمضان الثاني بلا عذر، فيأثم وعليه التوبة والقضاء مع إطعام مسكين لكل يوم، ومن ترك القضاء حتى مات؛ فإن كان لعذر فلا شيء عليه؛ لعدم التفريط، وإن كان لغير عذر فإنَّه يُطعم عنه لكل يوم مسكينًا، ومن كان عليه قضاءٌ من رمضان فإنه يقدمه على التطوع؛ لأن الفرض مقدَّم على النفل.

فضيلة العشر الأواخر من رمضان وليلة القدر:

للعشر الأواخر من رمضان فضل عظيم ومزية على بقيَّة الشهر، ولهذا كان ﷺ يخصها بما لم يخص بها غيرها من الشهر ومن ذلك:

١- الجد والاجتهاد فيها بالعبادة ولا سيما إحياء الليل بالقيام.

٢- أنه كان يوقظ فيها أهله، للقيام.

٣- أنه كان يعتزل نساءه فيها.

٤- أنه كان يعتكف فيها.

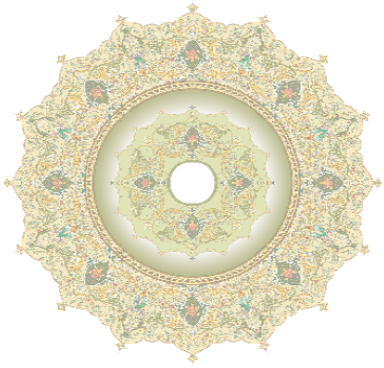
٥- ومما يدل على فضلها أنها ترجى فيها ليلة القدر أكثر من غيرها، لقوله ﷺ: (**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنْ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**)[1].

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضل ليلة القدر ورقمه (٢٠١٦).

ليلة القدر:

ليلة القدر ليلة عظيمة مباركة، بل هي أفضل الليالي؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[القدر: ٣]. ولقوله ﷺ: (مَن قَامَ لَيلَةَ القَدْرِ إيمانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَه مَا تقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ)[١].

وسميت بهذا الاسم؛ لأنه يُقَدَّر فيها ما يكون في تلك السنة إلى السنة المقبلة، وقد أخفاها الله، ليجتهد العباد في طلبها ويكثروا من العبادة، وقد قيل إنها تنتقل بين أوتار العشر الأواخر؛ لقوله ﷺ: **(الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ)**[٢].



(١) أخرجه البخاري في كتاب فضل ليلة القدر ورقمه (٢٠١٤).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضل ليلة القدر ورقمه (٢٠١٧).

الاعتكاف[1]:

تعريفه: لزوم مسجد لطاعة الله تعالى.

حكمه: سنَّة في كل وقت، وهو في رمضان آكد، وأفضله في العشر الأواخر من رمضان، لفعله ﷺ، قالت عائشة رضي الله عنها: (**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**)[2].

محله: في مسجد تقام فيه الجماعة: فلا يصح في غير مسجد؛ لقوله تعالى: ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾[البقرة: ١٨٧]، حيث بيَّن أنَّ أماكن الاعتكاف هي المساجد، وعليه فلا يخرج من المسجد إلا لأمر لا بدَّ له منه، كقضاء الحاجة والطهارة.

آدابه:

شرع الاعتكاف لحكم وفوائد، منها: أنه يورث تقوى الله وخشيته من خلال لزوم المسجد والانقطاع عن الخلق طلبًا لمرضاة الخالق، ولهذا فمن مستحبات الاعتكاف وآدابه لتحقيق حكمته وفائدته:

١- الاشتغال بالعبادة من صلاة وتلاوة قرآن، وذكر ودعاء واستغفار، وحفظ الوقت فيما يقرب إلى الله.

٢- اجتناب ما لا يَعنيه من الأقوال والأفعال، من كلام في الدنيا وخوض فيما لا فائدة فيه.

٣- وهكذا من باب أولى اجتناب الجدال والمراء، والفاحش من القول؛ لأن ترك ذلك واجب في كل وقت ففي الاعتكاف من باب أولى.

---

(١) ينظر: اللباب (١/ ١٧٥)، عقد الجواهر الثمينة (١/ ٣٧١)، المقدمات الممهدات (١/ ٢٥٥)، كفاية الأخيار (١/ ٤١١)، العدة (١٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتكاف ورقمه (٢٧٨٤).

٤- ومن الآداب، الحرص على النظافة والتطيب، وترجيل الشعر؛ لفعل الرسول ﷺ كما في حديث عائشة[١].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحيض ورقمه (٢٩٥).



الحج والعمرة [1]

تعريف الحج والعمرة:

الحج: قصد مكة والمشاعر المقدسة في وقت معين لأداء أعمال مخصوصة تعبُّدًا لله.

والعمرة: زيارة البيت الحرام لأداء أعمال مخصوصة تعبُّدًا لله.

حكمهما:

أ- الحج:

هو الركن الخامس من أركان الإسلام، دلَّ على فرضيته الكتاب والسنَّة والإجماع.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران: ٩٧].

(١) ينظر: الاختيار (١/ ١٣٩)، المقدمات الممهدات (١/ ٣٧٩)، متن أبي شجاع (١١٠)، منار السبيل (١/ ٤٠١).

وقال ﷺ في حديث عمر: (**بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ.. وذكر منها: وَحَجِّ الْبَيْتِ**)[1]، وأجمع العلماء على وجوبه.

فرض الحج في السنة التاسعة من الهجرة، وحَجَّ النبي ﷺ حجة واحدة، هي حجة الوداع.

ب- العمرة:

أما العمرة فقد اختُلِف في وجوبها، والأرجح: أنها واجبة لقوله ﷺ: (**حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ**)[2].

والحج والعمرة واجبان في العمر مرّة واحدة.

فضلهما:

ورد في فضل الحج والعمرة أحاديث كثيرة منها:

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**مَنْ حَجَّ لله فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**)[3].

٢- حديث أن رسول الله ﷺ قال: (**الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إلا الْجَنَّةُ**)[4].

وغيرهما في الأحاديث كثيرة.

وفي الحج منافع وفوائد كثيرة منها:

١- فيه تحقيق العبوديَّة لله بامتثال أمره واستجابة ندائه.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك، ورقمه (١٨١٠)، والترمذي في الحج ورقمه (٩٣٠) وقال الترمذي: حسن صحيح ص١٧٤٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحج ورقمه (١٥٢١)، ومسلم في كتاب الحج ورقمه (٣٢٩١).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب العمرة ورقمه (١٧٧٣)، ومسلم في كتاب الحج ورقمه (٣٢٨٩).

٢- فيه إظهار شعائر دينه وإعلاء لذكره.

٣- فيه منافع عظيمة فردية واجتماعية، منها:

أ- النفع الأخروي بحصول عظيم الأجر والثواب، ومغفرة الذنوب وتكفير السيئات.

ب- النفع الدنيوي بتحقيق الأخوة بين المسلمين وحصول التآلف والتراحم وإحياء الشعور بالوحدة واجتماع الكلمة، والرابطة الإسلامية بين أفراد أمَّة الإسلام، وتحقيق المساواة فيما بينهم، ومنها التكسب وطلب الربح في التجارة والعمل.. الخ.

شروط وجوب الحج والعمرة:

١- الإسلام؛ فلا يجب الحج على الكافر، ولا يصح منه لو حج.

٢- العقل، فلا يجب على مجنون، ولا يصح منه.

٣- البلوغ، وهو شرط للوجوب دون الصحة، فلا يجب الحج على الصغير، ولكن لو حَجَّ أو جُجَّ به صح منه، ولكنَّه لا يجزئه عن حجَّة الإسلام.

٤- الحرية: وهو شرط للوجوب دون الصحة، فلا يجب الحج على المملوك، ولكن لو حج صح منه، ولكنه لا يجزئه عن حجة الفريضة.

٥- الاستطاعة، والمراد بها: أن يملك من المال ما يُحَصِّل به المركوب، والنفقة للحج من حين سفره إلى عودته.

٦- وجود المحرم، وهو شرط خاص بالمرأة. وهو زوجها، أو من تحرم علية بقرابة، أو برضاع كأبيها وابنها وأخيها، من النسب أو الرضاع.

الإحرام ومواقيته ومحظوراته:

أ- تعريفه: هو نية الدخول في نسك الحج أو العمرة.

ب- مواقيته: وهي نوعان: زمانية؛ وهي: شهر شوال، وذي القعدة، وتسع ذي الحجة، وهذا بالنسبة للحج دون العمرة، فلا يجزئ الإحرام بالحج إلا في هذا الزمن. وأما العمرة فيصح الإحرام بها في كل وقت.

ومواقيت مكانية وهي خمسة، حدَّدها رسول ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَقَّتَ لأَهْلِ المَدِينَةِ ذا الحُلَيْفَةِ، ولِأَهْلِ الشَّأْمِ الجُحْفَةَ، ولِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنَ المَنازِلِ، ولِأَهْلِ اليَمَنِ يَلَمْلَمَ، فَهُنَّ لهنَّ، ولِمَن أَتَى عليهنَّ مِن غيرِ أَهْلِهِنَّ لِمَن كانَ يُرِيدُ الحَجَّ والعُمْرَةَ، فمَن كانَ دُونَهُنَّ، فَمُهَلُّهُ مِن أَهْلِهِ، وكَذاكَ حتَّى أَهْلُ مَكَّةَ يُهِلُّونَ مِنْها**)[1].

هذه المواقيت لا يجوز لمن أراد الحج أو العمرة أن يتجاوزها إلى مكة دون إحرام:

١- **ذو الحُلَيْفَة:** وتعرف الآن بأبيار علي، قرب المدينة تبعد عن مكة ٤٢٠كم.

٢- **الجُحْفَة:** بلدة مندثرة، قرب رابغ، والناس يحرمون الآن من رابغ، تبعد عن مكة (١٨٦) كم.

٣- **يَلَمْلَم:** تعرف الآن بالسعدية على طريق الساحل الجنوبي تبعد عن مكة (١٢٠) كم.

٤- **قَرْنُ المنازِل:** وتسمَّى الآن بالسيل الكبير، يبعد عن مكة (٧٥) كم ويحاذيه من جهة (الهدا) وادي محرم.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج ورقمه (١٥٢٤)، ومسلم في كتاب الحج ورقمه (٢٨٠٣).

٥- **ذات عِـرْق:** وتسـمَّى الضريبـة تبعـد عـن مكـة (١٠٠)كـم، وهـي قريـة مندثـرة ولا يمـر بهـا طريـق معبّـد.

ومـن جـاء مـن طريـق لا يمـر بهـذه المواقيـت، أو جـاء عـن طريـق الجـو، أو البحـر، فإنـه يحـرم إذا حـاذى أقـرب هـذه المواقيـت إليـه.

ج- محظوراته:

محظـورات الإحـرام هـي: مـا يُمنـع المُحْـرِمُ مـن فعلـه بسـبب إحرامـه، وقـد كانـت مباحـة لـه قبـل الإحـرام، وقـد اختلـف فـي عدّهـا، وأهـم مـا يذكـره الفقهـاء منهـا:

١- لبـس المخيـط، أو اللبـاس المعتـاد الـذي قـد خيـط علـى قـدر البـدن أو بعضـه، أو قـدر عضـو منـه، كالثيـاب والسـراويل والقمصـان والملابـس الداخليـة، والخفـاف والجـوارب.. الـخ. وهـذا خـاص بالرجـل.

٢- تغطيـة الرجـل رأسـه، بملاصـق، كالعمامـة والطاقيـة، فهـو خـاص بالرجـل أيضًـا.

٣- حلـق الشـعر، سـواء أكان شـعر الـرأس أم شـعر البـدن، مـن رجـل أو مـن امـرأة.

٤- تقليم الأظافر، من يدٍ أو رجل، رجلاً أو امرأة.

٥- الطيب في البدن أو ملابس الإحرام، للرجل والمرأة.

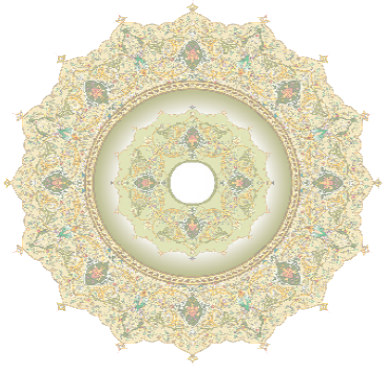
٦- قتـل صيـد البَـرِّ، واصطيـاده، والمـراد بـه: مـا كان وحشـيًّا مباحًـا، وعلـى ذلـك، يجـوز للمحـرم صيـد البحـر، وقتـل غيـر المتوحـش كبهميـة الأنعـام والدجـاج.. وهكـذا مـا يحـرم أكلـه كالحيـة والعقـرب والأسـد والذئب...وكذلـك المـؤذي.

٧- عقد النكاح، فلا يَنْكِح المحرم ولا يُنْكِح، أي لا يعقد لنفسه، ولا يتولى العقد لغيره بالولاية.

٨- الجماع، والمراد الوطء في الفَرْج، وهو أعظم المحظورات.

٩- المباشرة فيما دون الفرج، بلمس أو تقبيل أو غيرهما، مما هو دون الوطء في الفرج.

وتجتنب المرأة النقاب ولبس القفازين، فلا تغطي وجهها ويديها وهي محرمة، إلا بحضرة الرجال الأجانب.



أنواع الأنساك:

الواصل إلى الميقات مخّير بين ثلاثة أنواع من النُّسُك: التمتع والإفراد والقِران.

١- **التمتع**: وهو أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج ويتحلل منها بإنهاء أعمالها من طواف وسعي وحلق أو تقصير، ثم يحرم بالحج في اليوم الثامن من العام نفسه، ويبقى قبل الإحرام بالحج متمتعًا بجميع محظورات الإحرام. ويقول عند إحرامه من الميقات لبيك عمرة، أو لبيك عمرة متمتعًا بها إلى الحج، والمتمتع يجب عليه هدي لتمتعه.

٢- **الإفراد**: وهو أن يحرم من الميقات بالحج فقط قائلاً: لبيك حجًّا. فإذا وصل إلى مكة طاف طواف القدوم وسعى سعي الحج إن شاء، ولا يُقَصِّر شعره أو يحلقه، بل يبقى محرمًا حتى يوم النحر بعد الرمي والحلق، وليس على المفرد هدي.

٣- **القِران**: وهو أن يحرم بالحج والعمرة معًا من الميقات، قائلاً: لبيك عمرة وحجًّا، ويعمل كما يعمل المفرد في جميع أعماله إلا في أمرين، الأول: النية، والثاني: الهَدْي، فالقارن عليه هَدْي دون المفرد.

وكل من هؤلاء، يلبي بعد إحرامه قائلاً: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. ويستمر في التلبية إلى الطواف إن كان معتمرًا أو متمتعًا، وإلى رمي جمرة العقبة يوم النحر إن كان مفردًا أو قارنًا.

صفة العمرة:

١- يُسنُّ لمريد الإحرام بالعمرة من الميقات: الاغتسال والتجرد من اللباس المعتاد ولبس ملابس الإحرام (الإزار والرداء) والتطيب، والمرأة تلبس ما تشاء من الثياب غير ثياب الزينة.

٢- بعد التهيّؤ للإحرام بما ذُكر، وبعد الصلاة يلبي بالعمرة قائلاً: لبيك عمرة، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك.. الخ التلبية، ويكرر التلبية وهو في طريقه إلى مكة.

٣- إذا وصل إلى البيت، يطوف حول البيت سبعة أشواط بنيَّة طواف العمرة، يبتدئ من الحجر الأسود وينتهي إليه، ثم يصلي ركعتين خلف المقام إن تيسر.

٤- يُسنُّ الاضطباع في هذا الطواف، وهو إخراج الكتف الأيمن، بجعل الرداء تحته وجعل طرفيه على عاتقه الأيسر، كما يُسنُّ الرمل في الأشواط الثلاثة الأول من هذا الطوف.

٥- يتجه بعد ذلك إلى المسعى جهة الصفا، ثم يسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط، من الصفا إلى المروة شوط، ومنها إلى الصفا شوط، وهكذا.

٦- إذا أتم السعي قصَّر من شعر رأسه إن كان يريد الحج، وإلا فالحلق أفضل من حقه، وبذلك تمت عمرته، وحلّ منها، فإن كان متمتعًا فإنه يبقى حلالاً إلى اليوم الثامن من ذي الحجة.

صفة الحج:

١- يُحرِم المتمتع ومن أراد الحج من أهل مكة ونحوهم بالحج ضحى اليوم الثامن من ذي الحجة، وهو المسمى يوم التروية، من مكانه؛ في مكة أو منى أو غيرهما، ويُسنُّ له أن يتهيَّأ للإحرام بما فعله عند الإحرام من الميقات، كالاغتسال والطيب، قائلاً بعد النية: لبيك حجًّا لبيك اللهم لبيك.. إلخ.

٢- يتجه الحجاج إلى منى ضحى هذا اليوم فيصلون بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ويبيتون بها وذلك سنة، ويقصرون الرباعية ركعتين، في وقتها.

٣- يتجه الحجاج بعد طلوع الشمس إلى عرفة، ويصلون بها الظهر والعصر جمع تقديم، ثم يقفون بها إلى ما بعد غروب الشمس، والمراد بالوقوف بعرفة هو الوجود فيها بغض النظر عن حالة القيام والجلوس والنوم.

٤- ويُسنُّ في ذلك الموقف العظيم إظهار الذل والخشوع والانكسار بين يدي الله، والإكثار من الذكر والدعاء وحفظ جميع الوقت في ذلك.

٥- لا يُسنُّ صعود الجبل، ولا استقباله بالدعاء دون القبلة، بل يستقبل بدعائه القبلة.

٦- إذا غربت الشمس، يتجه الحجاج إلى مزدلفة (ويُسنُّ أن يكون بسكينة ووقار)، فيصلُّون بها المغرب والعشاء جمعًا وقصرًا حالَ وصولهم، ويبيتون بها (وهو واجب).

٧- بعد صلاة الفجر والإسفار يتجه الحجاج إلى منى لأداء أعمال يوم النحر.

٨- أعمال يوم النحر:

أ- رمي جمرة العقبة (وهو تحية منى) بسبع حصيات متعاقبات؛ يكبر مع كل حصاة.

ب- ذبح الهدي لمن كان متمتعًا أو قارنًا، إذا لم يكن قد وكَّل مَن يذبحه عنه، كشركة للإفادة من لحوم الهدي والأضاحي.

ج- حلق الرأس، أو تقصيره، والحلق أفضل، (والمرأة تقصِّر من شعرها قدر أنملة). والأفضل الترتيب، وإن قدَّمَ بعضها على بعض فلا حرج.

د- بعد الرمي والحلق يحصل للحاج التحلل الأول فيلبس ثيابه ويتطيَّب، وتَحلُّ له محظورات الإحرام إلا النساء.

هـ- طواف الإفاضة (طواف الحج)، والسعي للمتمتِّع، وكذلك للقارن والمراد إن لم يكونا سَعَيَا مع القدوم، وبهذا الطواف والسعي يحصل التحلل الثاني أو الأكبر، فتحل جميع محظورات الإحرام حتى النساء.

٩- يرجع الحاج إلى منى ليبيت بها ليلة الحادي عشر والثاني عشر، والثالث عشر لمن تأخَّر (والمبيت بمنى واجب).

١٠- يرمي الحاج الجمرات الثلاث في اليوم الحادي عشر والثاني عشر بعد الزوال. يبتدئ بالأولى (أقربهن إلى منى) وينتهي بالعقبة.

١١- إذا رمى الحاج الجمرات الثلاث يوم الثاني عشر بعد الزوال

فله أن يتعجل فيخرج من منى إلى مكة قبل غروب الشمس، وإن شاء بات بمنى ليلة الثالث عشر ورمى من الغد بعد الزوال.

١٢- إذا أراد الحاج العودة إلى أهله، فيجب عليه أن يطوف طواف الوداع سبعة أشواط، وليس على الحائض والنفساء طواف وداع.

من أحكام الفوات والإحصار:

١- المراد بالفوات: فوات الحج بفوات الوقوف بعرفة، والإحصار: المنع من الوصول إلى البيت لأداء النسك.

٢- من فاته الحج بفوات وقوف عرفة: تحلَّل بعمرة؛ فيذهب إلى البيت فيطوف ويسعى ويقصر، ويتحلل، وعليه هدي.

٣- إذا أُحصر فلا يخلو من حالات:

الأولى: أن يمنع عن الوقوف بعرفة، دون البيت، فعليه هدي ويتحلل بعمرة إلا إذا كان قد اشترط عند إحرامه، فيتحلل ولا شيء عليه.

الثانية: أن يمنع عن الوقوف والبيت، فينحر هديًا ويتحلل، إلا إذا كان قد اشترط عند إحرامه.

الثالثة: أن يمنع عن المبيت دون الوقوف، وحينئذ عليه ذبح هدي بنيَّة التحلل.

الرابعة: أن يمنع عن طواف الإفاضة فقط دون بقية الأعمال، وحينئذ فيبقى عليه طواف الإفاضة حتى يزول المانع فيقضيه، ولا يعتبر متحللاً التحلل الكامل حتى يطوف.

آداب زيارة المسجد النبوي الشريف:

١- زيارة المسجد النبوي الشريف سنَّة، وفيها فضل عظيم، لأنَّ الصلاة في المسجد النبوي الشريف خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وهي مشروعة طوال العام.

٢- يستحب لمن قدم للحج أن يزور المسجد النبوي الشريف، ليدرك فضيلة الصلاة فيه، خصوصًا من يَشق عليه السفر إليه مرَّة أخرى كالقادم من خارج المملكة العربية السعودية، ومما يدل على ذلك قوله ﷺ: (**صَلاةٌ في مَسْجدي هَذَا خَيْرٌ منْ أَلْف صَلاة فيمَا سوَاهُ إلا الْمَسْجدَ الْحَرَامَ**)[١].

ولقوله ﷺ: (**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ**)[٢].

٣- يستحبُّ لمن وصل المسجد النبوي أن يقول ذِكر دخول المسجد، ثم يصلي ركعتين، والأَوْلى أن تكون في الروضة الشريفة إن تيسر ذلك.

٤- يستحبُّ لمن زار المسجد، أن يزور قبر رسول الله ﷺ وقبر صاحبيه، ليسلم عليه وعليهما.

٥- يقف أمام قبره عليه الصلاة والسلام بكل أدب ووقار ويقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، اللهم صَلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنَّك حميد مجيد وبارِكْ على محمَّد وعلى آل محمَّد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، أشهد أنك رسول الله حقًّا، وأنك

(١) أخرجه مسلم في الحج ورقمه (٣٣٧٤).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج ورقمه (٣٣٦٨).

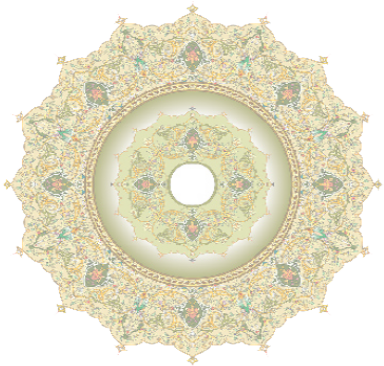
بلَّغت الرسالة وأدَّيت الأمانة، ونصحت الأمَّة وجاهدت في الله حقَّ جهاده، فجزاك الله عن أمَّتك أفضل ما جزى نبيًّا عن أمَّته.

ثم يأخذ ذات اليمين قليلاً فيسلِّم على خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق، ويترضى عنه ويدعو له، ثم يأخذ ذات اليمين قليلاً فيسلم على الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ويترضى عنه ويدعو له.

٦- لا يجوز التوجه إلى رسول الله بالدعاء من دون الله، كما لا يجوز التبرُّك بالحجرة والتمسح بها أو الطواف بها.

٧- زيارة قبر الرسول ﷺ وقبر صاحبيه خاصَّةٌ بالرجال، وأما النساء، فيُسلمْن ويصلِّين على رسول الله ﷺ وهنَّ في أماكنهنَّ من المسجد، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ تبلغه من القريب من قبره والبعيد عنه كما ثبت ذلك في الحديث.

٨- كما يستحب لمن وصل المدينة أن يزور مسجد قباء ليصلي فيه ركعتين أسوة برسول الله ﷺ، وأن يزور مقبرة البقيع وشهداء أُحُد، ويسلِّم عليهم، بالسلام المشروع عند زيارة المقابر.



الهدي والأضحية والعقيقة[1]:

أ- تعريفات:

١- **الهدي:** ما يهدى إلى الحرم من بهيمة الأنعام ليذبح فيه؛ تقربًا إلى الله تعالى.

٢- **الأضحية:** ما يذبح أيام عيد الأضحى من بهيمة الأنعام تقرُّبًا إلى الله، في جميع البلاد.

٣- **العقيقة:** هي الذبيحة عن المولود تقربًا إلى الله، وشكرًا لله على نعمته بالولد.

ب- أنواع الهدي:

١- هدي التمتع والقِران، والواجب في هدي التمتع والقران، شاة، أو سبع بدنة، أو سبع بقرة، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾[البقرة: ١٩٦]، وحكم القارن حكم المتمتع، لأن كلًّا منهما جمع الحج والعمرة في سفر واحد.

٢- هدي الإحصار:

الإحصار: وهو المنع، فمن منع من إتمام نسكه وهو لم يشترط في إحرامه فإنه يجب عليه هدي ينحره في مكان إحصاره ثم يتحلل من إحرامه؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾[البقرة: ١٩٦]. والواجب فيه: شاة، أو سُبع بدَنَةٍ، أو سُبع بقرة.

---

(١) ينظر: الهداية شرح بداية المبتدئ (١/ ١٨٥)، الاختيار (١/ ١٧٢)، قوانين الأحكام الشرعية (١/ ١٨٣)، المقدمات الممهدات (١/ ٤٣١)، منار السبيل (١/ ٤٦٦، ٤٥٥)، العدة شرح العمدة (٢١٠-٢١٥).

٣- هدي التطوع:

والمراد به، ما يهدى إلى الحرم غير الهدي الواجب، تطوعًا وتقربًا إلى الله، ويشمل: ما يهديه المفرد، والمعتمر، والمتمتع والقارن زيادة على الواجب، وما يبعثه غير المحرم هديًا إلى مكة ليذبح بها تقربًا إلى الله تعالى، ويذبح الهدي الواجب بالتمتع والقران وهدي التطوع في داخل حدود الحرم؛ في مكة وما حولها، وهدي الإحصار حيث حصر.

ج- أهم أحكام الهدي والأضحية والعقيقة:

١- الأضحية سنَّة مؤكَّدة من أفضل القُربات؛ وفيها أجر عظيم وفضل كبير.

٢- العقيقة: سنَّة مؤكَّدة على الأب، عن الذَّكر شاتان، وعن الأنثى شاة واحدة لثبوت ذلك عن رسول الله ﷺ.

٣- وقت الذبح:

وقت ذبح الهدي والأضحية هو يوم العيد وثلاثة أيام بعده، وهي أيام التشريق، إلا أن وقت ذبح هدي الإحصار عند وجود سببه.

ووقت ذبح العقيقة: يسنّ أن يكون يوم السابع، فإن فات ففي الرابع عشر، فإن فات ففي الحادي والعشرين، فإن فات فلا يتقيد بيوم معيَّن.

٤- المجزئ في الهدي والأضحية والعقيقة:

أ- لا تجزئ في الهدي والأضحية والعقيقة: لا يكون إلا ما كان من في بهيمة الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم.

ب- تجزئ الواحدة من الغنم عن واحد، وتجزئ الواحدة من البقر والإبل عن سبعة، ولا يجزئ جزء البدنة والبقرة في العقيقة.

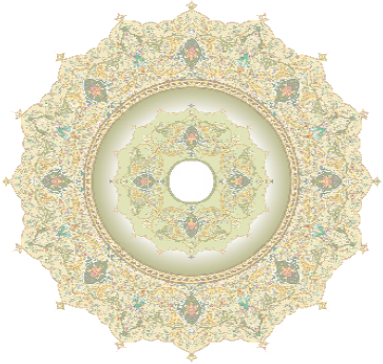
وللمضحِّي أن يشرك معه في الأجر من شاء؛ لفعل الرسول ﷺ.

ج- **السنُّ المجزئ:** جذع ضأن وثني غيره، ففي الضأن ما تم له ستة أشهر، وفي المعز: ما تم له سنة، وفي البقر ما تم له سنتان، وفي الإبل ما تم له خمس سنين.

د- لا يجزئ في الهدي والأضاحي من بهيمة الأنعام: العوراء البيِّن عَوَرُها، ولا العرْجاء البيّن عَرَجُها، ولا العَجْفَاء وهي الهزيلة التي لا مُخَّ فيها، ولا المريضة البيِّن مرضها، لثبوت ذلك في حديث البراء رضي الله عنه، ويلحق بهذه العيوب ما كان مثلها أو أشد.

٥- أفضل الهدي والأضاحي من بهيمة الأنعام، الإبل إن أخرجت كاملة عن شخص واحد، ثم البقر كذلك، ثم الغنم، ثم سُبْع بدنة أو سُبع بقرة.

٦- يُسنُّ في لحوم الهدي والأضحية والعقيقة: أن يهدي ثلثا ويتصدق بثلث ويأكل الثلث، ويتأكد الحرص على الاستفادة من لحوم الهدي والأضاحي.



البيع

البيع جائز. لقوله تعالى ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

ولما روى ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: (إذا تبايع الرجلان فكل واحدٍ منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعاً).

أركان البيع:

أركانه ثلاثة: عاقد، ومعقود عليه، وصيغة.

فالعاقد يشمل البائع والمشتري، والمعقود عليه المبيع، والصيغة هي الإيجاب والقَبول.

والإيجاب: اللفظ الصادر من البائع، كأن يقول: بعتُ.

والقَبول: اللفظ الصادر من المشتري، كأن يقول: اشتريتُ.

وهذه هي الصيغة القولية.

أما الصيغة الفعلية فهي المعاطاة، وهي الأخذ والإعطاء، كأن يدفع المشتري ثمن السلعة إلى البائع، فيعطيه إياها بدون قول.

الإشهاد على البيع:

الإشهاد على البيع مستحب وليس بواجب، لقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

شروط البيع:

يُشترط لصحَّة البيع الشروط الآتية:

أولاً: التراضي بين البائع والمشتري. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

ثانيا: كون العاقد جائز التصرف، بأن يكون بالغاً عاقلاً حرًّا رشيداً.

ثالثاً: أن يكون البائع مالكاً للمبيع، أو قائماً مقام مالكه، كالوكيل والوصيّ والولي والناظر. فلا يصح أن يبيع شخصٌ شيئاً لا يملكه؛ لقوله ﷺ لحكيم بن حزام رضي الله عنه: (لا تبع ما ليس عندك).

رابعاً: أن يكون المباع مما يباح الانتفاع به من غير حاجة، كالمأكول، والمشروب، والملبوس، والمركوب، والعقار، ونحو ذلك، فلا يصح بيع ما يحرم الانتفاع به، كالخمر، والخنزير، والميتة، وآلات اللهو، والمعازف.

لحديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ اللهَ حَرَّمَ بَيعَ الخَمْرِ، والميتَةِ، والخِنزِيرِ، والأَصْنَامِ).

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (إنَّ اللهَ إذا حَرَّمَ على قَومٍ أكلَ شيءٍ حَرَّمَ ثَمَنَه).

خامساً: أن يكون الثمن معلوماً، بتحديد سعر السلعة المبيعة، ومعرفة قيمتها.

القرض

القرض: هو دفع مال لمن ينتفع به ويَرُدّ بدله.

وهو مشروع، ويدل عليه عموم الآيات القرآنية والأحاديث الدالة على فضل المعاونة، وقضاء حاجة المسلم، وتفريج كربته، وسد فاقته. قال النبي ﷺ: (مَا مِن مُسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلِماً قَرْضًا مَرَّتَينِ إلا كانَ كَصَدَقَتِها مرَّةً).

شروط القرض:

١- لا يجوز للمسلم أن يُقرِضَ أخاه بشرط أن يُقرضَه بعد ذلك إذا ردَّ عليه قرضه؛ لأن المقرض اشترط نفعاً، وكل قرض جرّ منفعة فهو ربا.

٢- أن يكون المقرِض جائز التصرف، بالغاً عاقلاً رشيداً، يصح تبرعه.

٣- ليس للمقرضِ أن يشترط زيادةً في ماله الذي أقرضه؛ لأن ذلك من الربا، فلا يجوز له أخذها، بل يقتصر على المبلغ الذي دفعه للمقترض أولاً.

٤- إذا ردَّ المقترض على المقرِضِ أحسن مما أخذ منه، أو أعطاه زيادةً دون شرطٍ أو قصد، صحّ ذلك؛ لأنه تبرع من المقترض وحُسْنُ قضاء.

٥- أن يكون المقرض مالكاً لما يقرضه، ولا يجوز له أن يقرض ما لا يملك.

الضمان:

الضمان: هو التزام ما وجب على غيره، وهو جائز؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٢] أي ضامن.

وقوله ﷺ: (الزعيم غارم). وهو من باب قضاء الحاجات والتعاون المأمور به شرعاً.

أحكام الضمان وشروطه:

١- لا يجوز أخذ العوض عليه.

٢- يجوز تعدُّد الضامنين، فيجوز أن يضمن الحق اثنان فأكثر.

٣- لا يشترط في صحته معرفة الضامن للمضمون عنه.

٤- يشترط لصحته: رضا الضامن، فإن أُكْرِه على الضمان لم يصح، ولا يشترط رضا المضمون عنه، ولا رضا المضمون له.

كما يشترط لصحته: أن يكون الضامن جائز التصرف، بأن يكون: بالغاً عاقلاً رشيداً.

الشركة:

الشركة هي خلط أحد الماليْن بالآخر بحيث لا يتميَّزان عن بعضهما.

٢- **أدلَّة مشروعيتها:** الشركة مشروعة، وجاءت الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، بجوازها.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [ص: ٢٤]. والخلطاء: الشركاء. وقال سبحانه: ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾[النساء: ١٢].

أنواع شركة العقود:

أولاً: شركة العِنان: وهي أن يشترك اثنان فأكثر في مال يتجران فيه، وسميت بذلك؛ لاستواء الشريكين فيها في المال والتصرف، كاستواء عِنان فرسيهما إذا استويا في السير، ويُشْترط في صحتها كون رأس المال من كل منهما أو منهم نقداً معلوماً حاضراً، وأن يُحَدَّد لكل واحدٍ منهما جزء معلوم من الربح.

ثانياً: شركة المضاربة: وهي أن يدفع أحد الشريكين للآخر مالاً يتجر به، بجزء معلوم من الربح.

ثالثاً: شركة الوجوه: وهي أن يشتركا في ربح ما يشتريان بجاهيهما، دون أن يكون لهما رأس مال، اعتماداً على ثقة التجار بهما.

رابعاً: شركة الأبدان: وهي أن يشتركا فيما يكتسبان بأبدانهما من المباح، كالاحتشاش، والاصطياد، والمعدن، والاحتطاب، أو يشتركا فيما يتقبلان في ذممهما من العمل، كنسج وخياطة ونحوهما.

يوزع الربح بين الشركاء على حسب ما يتفقان عليه، وكذلك الخسارة تكون بينهما على قدر ماليهما، وهذا في غير المضاربة، ولكلٍّ منهما فسخ عقد الشركة متى شاء، كما تنفسخ بموت أحدهما أو جنونه.

الإجارة

هي عقد على منفعة مباحة معلومة أو على عمل معلوم بعوض معلوم.

وقد ثبت (أنَّ النبيَّ ﷺ وأبا بكر استأجرا رجلاً من بني الدَّيل هادياً خِرِّيتاً).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (أَعْطُوا الأَجِيرَ أجرَه قَبلَ أن يَجِفَّ عرَقُه) .

شروط الإجارة:

١- لا تصح إلا من جائز التصرف، عاقلاً، بالغاً، رشيداً.

٢- أن تكون المنفعة معلومة.

٤- أن تكون الأجرة معلومة.

٤- أن تكون المنفعة مباحة، فلا تصح الإجارة على الزنى، والغناء، وآلات اللهو.

٥- أن تكون المدَّة معلومة، فلا تجوز الإجارة لمدة مجهولة؛ لأنها تؤدِّي إلى التنازع.

الطرقات:

١- لا يجوز مضايقة المسلمين في طرقاتهم.

٢- لا يجوز أن يحدث في ملكه ما يضايق الطريق.

٣- لا يجوز أن يتخذ موقفاً لدابَّته أو سيارته بطريق المارَّة.

٤- الطريق حق للجميع فتجب المحافظة عليه، من جميع ما يضر المارة عليه، كوضع المخلَّفات والقمائم فيه ونحو ذلك؛ لأن إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شُعَب الإيمان.

الوديعة:

الوديعة هي مال أو نحوه يضعه مالكه عند من يحفظها بلا مقابل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وقال ﷺ: (أَدِّ الأَمانَةَ لمَن ائتَمَنَكَ ولا تَخُنْ مَن خانَكَ).

فمن وجد في نفسه القدرة على حفظ الأمانة فإنه يُستحبُّ له أن يقبل الوديعة؛ لقوله ﷺ: (واللهُ في عَونِ العَبدِ ما دامَ العَبدُ في عَونِ أَخيهِ) .أما إذا علم من نفسه عدم القدرة على حفظ الوديعة فإنه لا يجوز له قبولها.

والوديعة أمانة في يد المستودَع، فلا ضمان عليه إن لم يفرِّط.

وإذا تعدَّى على الوديعة، أو فرَّط في حفظها، فإنه يضمنها إذا تلفت؛ لأنه متلف لمال غيره.

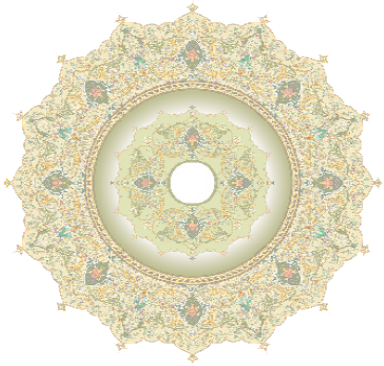
ويجب على المستودَع حفظ الوديعة في حرز مثلها عرفاً؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ أمر بأداء الأمانات إلى أهلها، ولا يمكن ذلك إلا بحفظها، ولأنَّ المقصود من الإيداع الحفظ، والمستودَع ملتزم بذلك، فإن لم يحفظها لم يفعل ما التزمه.

الإتلافات:

يحرم الاعتداء على أموال الناس، وأخذها بغير حق، ومن اعتدى على مال غيره فأتلفه، وكان هذا المال محترماً، فإنه يجب عليه الضمان، وكذلك من تسبب في إتلاف مال غيره، بحلِّ قيد، أو بفتح باب أو نحو ذلك.

وإذا كان له مواش وجب عليه حفظها في الليل، من إفساد زروع

النـاس أو إفسـاد أنفسـهم، فـإن أهملهـا وحصـل الفسـاد ضمـن؛ لأن النبـي ﷺ قضـى أن علـى أهـل الأمـوال حفظهـا بالنهـار، وأهـل المواشـي حفظهـا بالليـل، ومـا أفسـدت بالليـل فإنـه مضمـون عليهـم؛ لأن أمـوال المسـلمين وأرواحهـم محترمـة، فيحـرم التعـدي عليهـا، أو التسـبب فـي إفسـادها أو هلاكهـا.



الغصب

هو الاستيلاء على حقِّ الغير، ظلماً وعدواناً بغير حق.

وهو محرَّم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾[البقرة: ١٨٨]، وقوله ﷺ: (لا يحلُّ مالُ امرئٍ مُسلِمٍ إلا بطيبِ نَفْسِهِ)، وقال ﷺ: (مَن اقْتَطَعَ شِبْراً مِن الأرضِ ظُلْماً طُوِّقَهُ يومَ القيامَةِ مِن سَبعِ أَرَضِينَ).

فعلى كل من عنده مظلمة لأخيه أن يتوب إلى الله، ويتحلل من أخيه، ويطلب منه العفو في الدنيا؛ لقوله ﷺ: (مَن كانَت له مَظْلَمَةٌ لأخيه مِن عرضِهِ أو شيء، فليتحَلَّلْه مِنه اليومَ قَبلَ ألَّا يكونَ دينارٌ ولا درهَمٌ، إن كان له عملٌ صالحٌ أُخذَ منه بقَدرِ مظلمتِه، وإن لم يكن له حسناتٌ أخذ من سيِّئاتِ صاحبِه، فحُملَ عليه).

الأحكام المتعلقة بالغصب:

١- يجب على الغاصب ردُّ المغصوب بحاله، وإن أتلفه رَدَّ بدلاً منه.

٢- الغاصب إذا تصرف في المغصوب ببناء أو غرس، أمر بقلعه إذا طالبه المالك بذلك.

٣- المغصوب إذا تغيَّر، أو قَلَّ، أو رخص، ضمن الغاصب النقص.

٤- جميع تصرفات الغاصب باطلة، إن لم يأذن بها المالك.

الصلح:

هو العقد الذي ينقطع به خصومة المتخاصمين.

قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]. وقال ﷺ: (الصُّلْحُ جائزٌ بينَ المسلِمينَ إلا صُلْحاً أحَلَّ حراماً، أو حرَّمَ حلالاً).

أنواع الصلح:

١- الصلح بين الزوجين إذا خيف الشقاق بينهما. قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥].

٢- الصلح بين الطائفتين المتقاتلتين من المسلمين. قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩].

٣- الصلح بين المسلمين والكفار المتحاربين.

٤- الصلح بين المتخاصمين في غير المال.

٥- الصلح بين المتخاصمين في المال.

الأحكام المتعلقة بالصلح:

١- يصحُّ الصلح عن الحقِّ المجهول، وهو ما تعذَّر علمه من دين أو عين، كأن يكون بين شخصين معاملة وحساب مضى عليه زمن، ولا علم لواحد منهما بما عليه لصاحبه.

٢- يصح الصلح عن كل ما يجوز أخذ العوض عنه، كالصلح عن القصاص بالدية المحددة شرعا، أو أقل، أو أكثر.

العارية

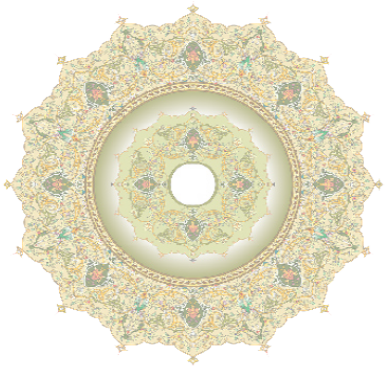
معناها: الإعارة، وهي الشيء المأخوذ للانتفاع، كأن يستعير إنسانٌ من آخر سيارته ليسافر بها ثم يعيدها إليه.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]. وعن أنس ﷺ: (أن النبيَّ ﷺ استعار فرساً من أبي طلحة ﷺ).

أحكام الإعارة:

١- لا يجوز للمستعير إعارة الشيء الذي استعاره، لأنه غير مالكٍ له، وكذا لا يجوز له تأجيرها، إلا إذا أذن المالك في ذلك.

٢- أنها أمانةٌ في يد المستعير، يجب أن يحافظ عليها، ويردها سليمة، كما أخذها، فإن تعدى أو فَرَّط ضمنها.



اللُّقَطة:

هي أخذ مال محترم من مَضْيَعة؛ ليحفظه، أو ليتملكه بعد التعريف.

عن زيد بن خالد الجهني ﷺ: أنَّ النبي ﷺ سُئل عن لُقطة الذهب أو الورِق (الفضة) فقال: (اعْرِفْ وكاءها وعِفاصَها ثمَّ عَرِّفْها سنةً فإن لم تعرفْ فاستَنْفِقْها، ولتكُنْ عندَكَ وديعَةً. فإن جاءَ طالبُها يومًا مِن الدَّهر فَأَدِّها إليهِ)، وسأله عن ضالَّة الإبل فقال: (مالَكَ ولها، دَعْها فإنَّ معَها حذاءها، وسِقاءها، تَرِدُ الماء وتأكُلُ الشَّجرَ حتَّى يلقاها ربُّها)، وسأله عن الشاة فقال: (خُذْها فإنَّما هي لك، أو لأخيك، أو للذِّئبِ).

أقسام اللقطة:

١- ما لا تتبَعُه هِمَمُ النَّاس: كالرغيف، والثمرة والعصا، وهذا يجوز التقاطه، وللملتقط الانتفاع به، وتملُّكه بلا تعريف.

٢- ما يمتنع بنفسه من صغار السباع وغيرها: كالإبل، والخيل، والبقر، والبغال، وهذا يحرم التقاطه ولا يملكه ملتقطه بتعريفه، لقوله ﷺ في حديث زيد بن خالد المتقدِّم: (مالَكَ ولها، دَعْها فإنَّ مَعَها حذاءها، وسِقاءها، تَرِد الماءَ، وتأكُلُ الشَّجَرَ حتَّى يجدَها ربُّها).

٣- ما يجوز التقاطه، ويلزمُه تعريفه: كالذهب، والفضة، والمتاع، وما لا يمتنع من صغار السباع كالغنم والدجاج ونحوهما، وذلك لحديث زيد بن خالد المتقدِّم. هذا لمن وثق في نفسه، وقدر على تعريفها.

الأحكام المتعلقة باللقطة:

١- إذا كان الملقوط حيواناً مأكولاً، فهو مخيَّر بين أكله ودفع قيمته في الحال، أو بيعه، والاحتفاظ بقيمته لصاحبه بعد معرفة أوصافه، أو

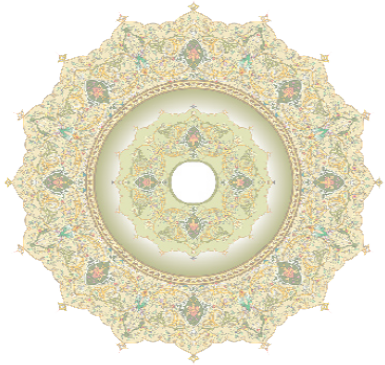
حفظه، والإنفاق عليه من ماله، ولا يملكه، ويرجع بنفقته على مالكه إذا جاء واستلمه، وإذا جاء صاحبها قبل أن يأكلها الملتقط فله أخذها.

٢- إذا كان الملقوط مما يخشى فساده كالفاكهة، فللملتقِط أكله ودفع قيمته لمالكه، أو بيعه وحفظ ثمنه حتى يأتي مالكه.

٣- أما النقود والأواني والمتاع فيلزمه حفظ الجميع أمانة بيده والتعريف بها في مجامع الناس.

٤- لا يجوز أخذ اللقطة إلا إذا أمن على نفسه منها واستطاع أن يُعَرِّف بها؛ لأن التعريف باللقطة واجب، فإذا التقطها يعرف صفاتها، ثم يعرفها سنة كاملة، وذلك بالمناداة عليها في مجامع الناس، فإن جاء صاحبها ووصفها بما يطابق صفتها دفعها إليه، فإن لم يأت صاحبها بعد تعريفها عاماً كاملاً تكون ملكاً له.

٥- الملتقط يتملك اللقطة، بعد تعريفها ومرور الحول، لكن لا يتصرف فيها إلا بعد معرفة أوصافها. فمتى جاء طالبها بما ينطبق على تلك الأوصاف دفعها إليه بلا بيِّنة ولا يمين؛ لأمره ﷺ بذلك في حديث زيد بن خالد المتقدم.





النكاح

هو عقد يتضمن إباحة استمتاع كلٍّ من الزوجين بالآخر، على الوجه المشروع.

قال تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣]. وعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: (يا معشر الشباب، مَن استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء).

الحكمة في مشروعية النكاح:

لقد شرع الله سبحانه وتعالى النكاح لحكم سامية يمكن إجمالها في الآتي:

١- إعفاف الفروج؛ إذ خلق الله تعالى هذا الإنسان، وغرز في كيانه الغريزة الجنسيَّة، فشرع الله الزواج؛ لإشباع هذه الرغبة، ولعدم العبث فيها.

٢- حصول السكن والأنس بين الزوجين وحصول الراحة والاستقرار. قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

٣- حفظ الأنساب وترابط القرابة والأرحام بعضها ببعض.

٤- بقاء النسل البشري، وتكثير عدد المسلمين، لإغاظة الكفار بهم، ولنشر دين الله.

٥- الحفاظ على الأخلاق من الهبوط والتردِّي في هاوية الزنى والعلاقات المشبوهة.

اختيار الزوجة:

يُسنُّ نكاح المرأة ذات الدين والعفاف والأصل الطيب والحسب والجمال؛ لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (تُنْكَحُ المرْأَةُ لأرْبَعٍ: لمالِها ولحَسَبِها ولجَمالِها ولدِينِها، فاظْفَرْ بِذاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ) . فيُحرَصُ على ذات الدين في المقام الأول، ويجعل ذلك أساس الاختيار لا غيره.

شروط النكاح:

١- رضا كلٍّ من الزوجين بالآخر: فلا يصح نكاح الإكراه؛ لحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تُنْكَحُ الأيِّمُ حتَّى تُسْتَأمَرَ، ولا البِكْرُ حتَّى تُسْتَأذَنَ).

٢- الولاية في النِّكاح: فلا يعقد على المرأة إلا وليُّها؛ لقوله ﷺ: (لا نِكاحَ إلَّا بولِيٍّ)، ويشترط في الولي أن يكون: رجلاً، بالغاً، عاقلاً.

٣- الشهادة على عقد النكاح: فلا يصح إلا بشاهدَي عدل مسلمَين،

لقول النبي ﷺ: (لا نِكاحَ إلَّا بِوَلِيٍّ وشاهِدَي عَدْلٍ، وما كان غيرَ ذلك فهو باطِلٌ).

الصَّداق:

هو المال الذي وجب على الزوج دفعه لزوجته؛ بسبب عقد النكاح.

يجب على الزوج دفع المال بمجرد تمام العقد، ولا يجوز إسقاطه. ودل على هذا قوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤]،

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى على عبد الرحمن بن عوف، قال: يا رسول الله تزوَّجتُ امرأة، فقال: (ما أصْدَقْتَها؟) قال: وزن نواة من ذهب، فقال: (بارَكَ اللهُ لَكَ، أَوْلِمْ ولَو بِشاةٍ).

حكم المغالاة في الصداق:

يستحب عدم المغالاة في المهر لما يلي:

١- حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: (مِن يُمْنِ المرأة تسهيلُ أمرِها، وقلَّةُ صَداقِها). واليُمْن: البركة.

٢- عن عمر رضي الله عنه أنه قال: (ألا لا تُغالُوا في صُدُق النِّساءِ، فإنَّه لَو كانَ مكرمَةً في الدُّنيا أو تقوى عندَ الله، كان أَولاكُم بها رَسولُ الله ﷺ، ما أَصْدَقَ رسولُ الله ﷺ امرأةً مِن نسائه، ولا أُصْدِقَتِ امرأةٌ مِن بناتِه أكثر من اثنتي عشرَةَ أوقيَّة، وإنَّ الرَّجل لَيُغْلِي بصدقَةِ امرأته حتَّى يكونَ لها عداوة في قلبِه، وحتَّى يقول كَلِفْتُ فيك عَلَقَ القِرْبة).

المحرمات في النكاح

المحرَّمات في النكاح قسمان: قسم التحريم المؤبد، وقسم التحريم المؤقت.

القسم الأول: المحرمات تأبيداً:

يحرم تأبيداً أربع عشرة امرأة، سبع يحرمْنَ بالنسب وسبع بالسبب. ويقصد بالتأبيد عدم جواز نكاحهن أبداً، مهما كانت الأحوال. ولهذه الحرمة ثلاثة أسباب: القرابة، والمصاهرة، والرضاع.

أولاً: المحرمات بالقرابة:

١- الأم وأم الأم وأم الأب. ويعبر عنهنَّ بأصول الإنسان.

٢- البنت وبنت البنت وبنت الابن. ويعبر عنهنَّ بفروع الإنسان.

٣- الأخت الشقيقة أو الأخت لأب أو الأخت لأم. ويعبر عنهن بفروع الأبوين.

٤- بنت الأخ الشقيق، وبنت الأخ لأب وبنت الأخ لأم.

٥- بنت الأخت الشقيقة أو لأب أو لأم.

٦- العمَّة وهي أخت الأب، ومثلها عمَّة الأب وعمَّة الأم. ويعبر عنهنَّ بفروع الجدين من جهة الأب.

٧- الخالة وهي أخت الأم ومثلها خالة الأم وخالة الأب. ويعبر عنهنَّ بفروع الجدين من جهة الأم.

فهؤلاء النسوة لا يجوز نكاح واحدة منهن بحال. لقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ [النساء: ٢٣].

ثانياً: المحرمات بالمصاهرة: ويحرم بها الآتي:

١- زوجة الأب ومثلها زوجة الجد أب الأب وزوجة الجد أب الأم. ويعبر عنهنَّ بزوجات الأصول. لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢].

٢- زوجة الابن، وزوجة ابن الابن، وابن البنت أيضاً، وهكذا زوجات الفروع.

لقوله تعالى: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣].

٣- أم الزوجة، ومثل أمها جميع أصولها من النساء كأم أم الزوجة؛ لقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]. وهؤلاء الثلاثة يحرمن بمجرد العقد، سواء دخل بالسبب المُحَرِّم أو لم يدخل.

٤- بنت الزوجة وهي المسماة بالربيبة، فهي حرام على زوج أمها؛ لقوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٣]. ولا يشترط في التحريم أن تكون الربيبة تربَّتْ في حجر زوج أمها، وإنما ذكر قيد الحجر لبيان الغالب. فهذه البنت تحرم على الرجل إذا دخل بأمِّها، فإن لم يدخل بها، كأن طلَّق الأم، أو ماتت قبل الدخول، فإنه يجوز له نكاح ابنتها.

لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٣].

٥- يحرم على المرأة زوج أمِّها، وزوج ابنتها، وابن زوجها، وأبو زوجها.

ثالثاً: المحرمات بالرضاع:

يحرم بالرضاع سبع نسوة، ذكر القرآن الكريم والسنة:

١- الأم بالرضاع. وهي المرأة التي أرضعتك، ويلحق بها أمها، وأم أمها، وأم أبيها.

٢- الأخت بالرضاع. وهي التي رضعتْ من أمك أو رَضَعْتَ من أمها أو رضعت أنت وهي من امرأة واحدة، أو رضعت من زوجة أبيها، أو رضعت هي من زوجة أبيك، لقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾ [النساء: ٢٣].

٣- بنت الأخ من الرضاع.

٤- بنت الأخت من الرضاع.

٥- العمَّة من الرضاع. وهي التي رضعت مع أبيك.

٦- الخالة من الرضاع. وهي التي رضعت مع أمك.

٧- البنت من الرضاع. وهي التي رضعت من زوجتك، فيكون الرجل أباً لها من الرضاع.

القسم الثاني: المحرمات تأقيتاً:

يحرم تأقيتاً عدة نساء يمكن تقسيمهنَّ إلى نوعين:

النوع الأول: ما يحرم من أجل الجمع.

١- الجمع بين الأختين، سواء كانتا من النسب أو من الرضاع، وسواء عقد عليهما معاً أو متفرقاً. لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ [النساء: ٢٣].

٢- الجمع بين المرأة وعمَّتها وبين المرأة وخالتها، وبين المرأة وبنت أختها، أو بنت أخيها، أو بنت ابنها، أو بنت ابنتها.

النوع الثاني: ما كان تحريمه لعارض:

١- يحرم تزوج المعتدة من الغير؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

٢- يحرم تزوج من طلقها ثلاثاً حتى يطأها زوج غيره، بنكاح صحيح؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

٣- يحرم تزوج الكافر بالمرأة المسلمة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ [البقرة: ٢٢١].

٤- ويحرم على الرجل المسلم أن يتزوج الكافرة إلا اليهودية أو النصرانية، فيجوز له أن يتزوج بها، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]. يعني: فهنَّ حل لكم.

الحقوق الزوجية

إذا وقع عقد النكاح صحيحاً ترتب عليه كثير من الحقوق بين الزوجين، وهي:

أولاً: حقوق الزوجة:

للزوجة على زوجها حقوق مالية كالصداق والنفقة، وحقوق معنوية غير مالية، كالعدل، وإحسان العِشرة، وطيب المعاملة. وتفصيل ذلك على النحو التالي:

١- **المهر**: وهو حقٌّ للزوجة على زوجها؛ لقوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤]، وغير ذلك من الأدلة التي سبق ذكرها.

٢- النفقة والكسوة والسكنى: فيجب على الزوج تحصيلها للمرأة؛ لقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. ولحديث حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه ﷺ قال: قلت يا رسول الله ما حق الزوجة؟ فقال: (أنْ تُطْعِمَها إذا طعِمْتَ، وأن تكسُوَها إذا اكتَسَيْتَ).

٣- إعفاف الزوجة بالجماع؛ مراعاة لحقها ومصلحتها في النكاح، ودفعاً للفتنة عنها، لعموم قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

٤- حسن مَعاشرتها، ومعاملتها بالمعروف؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] فيكون حَسَنَ الخلق مع زوجته رفيقاً بها، صابراً على ما يصدر منها، محسناً للظن بها. قال ﷺ:

(خيرُكـم خيرُكُـم لأهلِـه)[٤].

٥- العـدل بيـن نسـائه فـي المبيـت والنفقـة، لمـن كانـت لـه أكثـر مـن زوجـة؛ لقولـه تعالـى: ﴿فَـإِنْ خِفْتُـمْ أَلَّا تَعْدِلُـوا فَوَاحِـدَةً...﴾ [النسـاء: ٣]. وعـن أنـس ﷺ قـال: (كان للنبـي ﷺ تسـع نسـوة، فـكان إذا قسـمَ بينهـنَّ لا ينتهـي إلـى المـرأة الأولـى إلا فـي تسـع...).

ثانياً: حق الزوج:

وحـق الـزوج علـى زوجتـه أعظـم مـن حقِّهـا عليـه؛ لقولـه سـبحانه ﴿وَلِلرِّجَـالِ عَلَيْهِـنَّ دَرَجَـةٌ﴾ [البقـرة: ٢٢٨]، ولقولـه ﷺ: (لَـو كُنـتُ آمِـراً أحـداً أن يَسْـجُدَ لأحَـدٍ، لأمـرْتُ المـرأةَ أن تَسْـجُدَ لزَوجِها، ولا تـؤدِّي المرأةُ حـقَّ اللهِ عـزَّ وجـلَّ عليهـا كلَّـه، حتَّـى تـؤدِّيَ حـقَّ زوجِهـا عليهـا كلَّـه).

ومن حقوق الزوج على زوجته:

١- حفـظ سـرِّه وعـدم إفشـائه لأحـد؛ لقولـه تعالـى: ﴿فَالصَّالِحَـاتُ قَانِتَـاتٌ حَافِظَـاتٌ لِلْغَيْـبِ بِمَـا حَفِـظَ اللهُ﴾ [النسـاء: ٣٤].

٢- وجـوب طاعتـه فـي المعـروف؛ لقولـه تعالـى: ﴿الرِّجَـالُ قَوَّامُـونَ عَلَـى النِّسَـاءِ﴾ [النسـاء: ٣٤].

٣- تمكينـه مـن نفسـها إذا دعاهـا إلـى فراشـه، مـا لـم يكـن هنـاك مانـع شـرعي؛ لقولـه ﷺ: (إذا دَعـا الرَّجـلُ امرأتَـه إلـى فِراشِـه، فأَبَـتْ أن تجـيءَ، فَبـاتَ غَضْبـانَ علَيهـا، لَعَنَتْهـا الملائكَـةُ حتَّـى تُصْبِـحَ).

٤- المحافظـة علـى بيتـه ومالـه وأولاده وحسـن تربيتهـم، لقولـه ﷺ: (كلُّكـم رَاعٍ وكلُّكـم مَسـؤولٌ عَـن رعِيَّتِـه... والمـرأةُ راعِيـةٌ فـي بَيـتِ زَوجِها، وهـي مَسـؤولَةٌ عَـن رعيَّتِهـا).

٥- المعاشرة بالمعروف، وحسن الخلق، وكف الأذى عنه؛ لقوله ﷺ: (لا تُؤذِي امرأةٌ زوجَها في الدُّنيا إلَّا قالَت زوجتُه مِن الحورِ العِينِ: لا تؤذيه قَاتَلَكِ الله، فإنَّما هو دخيلٌ يوشِكُ أن يفارِقَكِ إلَينا). والدخيل: الضيف والنزيل.

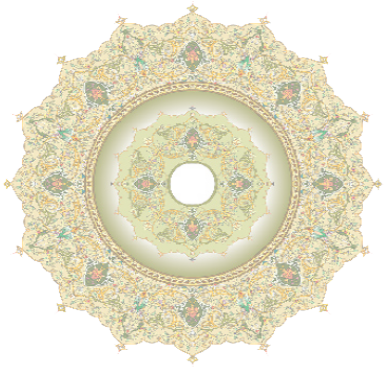
إعلان النكاح:

يسنُّ إعلان النكاح، وإظهاره، وإشاعته، والضرب عليه بالدف؛ لقوله ﷺ: (فَصْلُ ما بَينَ الحرَامِ والحلالِ الصَّوتُ، والدُّفُّ في النِّكاحِ)، ويكون الضرب بالدف للنساء دون الرجال، شرط ألا يصحب ذلك فحش في القول، أو ما يخالف الشرع.

الوليمة في النكاح:

الوليمة: طعام العرس يدعى إليه الناس ويجمعون.

ويسنُّ عمل وليمة للنكاح؛ لحديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه تزَوَّجَ امرأةً فقال له النبي ﷺ: (أوْلِمْ ولو بشاة).



الطلاق

الأصل في الزواج استمرار الحياة الزوجيَّة بين الزوجين، وقد شرع الله تعالى أحكاماً كثيرة وآداباً جمّة في الزواج لاستمراره، وضمان بقائه. إلا أن هذه الآداب قد لا تكون مرعيَّة من قِبل الزوجين أو أحدهما، فيقع التنافر بينهما حتى لا يبقى مجال للإصلاح، فكان لا بدَّ من تشريع أحكام تؤدي إلى حلِّ عقدة الزواج على نحو لا تهدر فيه حقوق أحد الزوجين، ما دامت أسباب التعايش قد باتت معدومة فيما بينهما.

قال تعالى: ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

فشرع الله الطلاق لأن فيه حَلاً للمشكلات الزوجية عند الحاجة إليه، وبخاصة عند عدم الوفاق، وحلول البغضاء التي لا يتمكن الزوجان معها من إقامة حدود الله، واستمرار الحياة الزوجية، وهو بذلك من محاسن الدين الإسلامي.

الرَّجْعة:

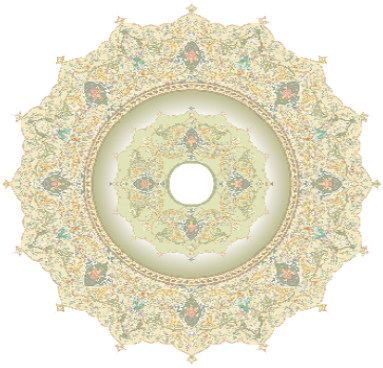
إعادة زوجته المطلقة طلاقاً غير بائن إلى ما كانت عليه قبل الطلاق بدون عقد.

قال تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحاً﴾ [البقرة: ٢٢٨] ولحديث ابن عمر قال النبي ﷺ: (مره فليراجعها).

والحكمة من الرجعة إعطاء الزوج الفرصة إذا ندم على إيقاع الطلاق وأراد استئناف العِشرة الزوجية، فيجد الباب مفتوحاً أمامه،

وهـذا مـن رحمـة الله ﷻ بعبـاده ولطفـه بهـم.

وتصـح الرجعـة إذا كان الطـلاق دون العـدد الـذي يملكـه الـزوج، وهـو ثـلاث تطليقـات ، فـإن اسـتوفى عـدد الطـلاق لا تحـلّ لـه حتـى تنكـح زوجاً غيره .





الأيمان

وهي توكيد الشيء المحلوف عليه بذكر اسم الله، أو صفة من صفاته.

وتنقسم اليمين من حيث انعقادها وعدم انعقادها إلى ثلاثة أقسام:

١- اليمين اللغو: وهو الحلف من غير قصد اليمين، كأن يقول: لا واللهِ، وبلى واللهِ، وهو لا يريد بذلك يميناً ولا يقصد به قسماً، فهذا يعدُّ لغواً، أو يحلف على شيء يظنُّ صدقه فيظهر خلافه؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]. قالت عائشة ﵂: (أنزلت هذه الآية (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ) في قول الرجل: لا والله، وبلى والله، وكلا والله). وهذه اليمين لا كفارة فيها، ولا مؤاخذة، ولا إثم على صاحبها.

٢- اليمين المنعقدة: وهي اليمين التي يقصدها الحالف ويصمِّم عليها، وتكون على المستقبل من الأفعال، وتكون

على أمر ممكن، فهذه يمين منعقدة مقصودة، فتجب فيها عند الحِنْث كفارة، لقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩].

٣- اليمين الغموس: وهي اليمين الكاذبة التي تهضم بها الحقوق، أو التي يقصد بها الغش والخيانة، فصاحبها يحلف على الشيء وهو يعلم أنه كاذب، وهي كبيرة من الكبائر، ولا تنعقد هذه اليمين، ولا كفارة فيها؛ لأنها أعظم من أن تُكفَّر، ولأنها يمين غير منعقدة، فلا توجب الكفارة كاللغو. وتجب التوبة منها، ورد الحقوق إلى أصحابها إذا ترتب عليها ضياع حقوق. وسميت هذه اليمين غموساً لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في نار جهنم عياذاً بالله. ودليل حرمتها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النحل: ٩٤]، ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (الكبائرُ: الإشراكُ باللهِ، وعقوقُ الوالِدَين، وقَتلُ النَّفسِ، واليَمِينُ الغَموسُ).

كفارة اليمين:

شرع الله عزَّ وجلَّ لعباده كفَّارة اليمين التي يكون بها تحلَّة اليمين والخروج منها، وذلك رحمة بهم، قال الله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ [التحريم: ٢] وقال ﷺ: (مَن حَلَفَ على يَمينٍ، فَرأى غيرَها خَيراً مِنها، فَليأتِها، وليُكَفِّرْ عَن يمينِه). وهذه الكفَّارة تجب على الشخص إذا حنث في يمينه، ولم يَفِ بموجبها.

وكفارة اليمين فيها تخيير وترتيب. فيخيَّر من لزمته بين إطعام عشرة مساكين لكل مسكين نصف صاع من الطعام، أو كسوة عشرة

مساكين لكل واحد ثوب، أو عتق رقبة مؤمنة، فمن لم يجد شيئاً من هذه الثلاثة المذكورة صام ثلاثة أيام؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾[المائدة: ٨٩].

الاستثناء في اليمين:

من حلف فقال في يمينه: إن شاء الله، فلا حنث عليه ولا كفارة، إذا نقض يمينه، لقوله ﷺ: (مَن حَلَفَ فقال: إن شاءَ اللهُ لم يَحْنَثْ).

الأيمان الجائزة:

إن اليمين الجائزة هي التي يُحلف فيها باسم الله، أو بصفة من صفاته.

كأن يقول: والله أو: ووجهِ الله أو: وعظمته وكبريائه..؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أدركَ عمر بن الخطاب وهو يَسيرُ في رَكبٍ، يَحلِفُ بأبيه فقالَ: (ألا إنَّ اللهَ ينهاكم أن تَحْلِفُوا بآبائكم، مَن كانَ حالِفاً فَلْيَحْلِفْ باللهِ أو لِيَصْمُتْ).

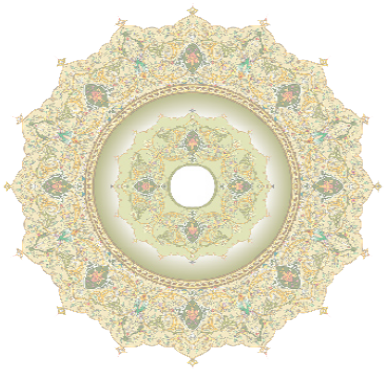
ومن الأيمان الممنوعة:

١- الحلف بغير الله تعالى، كقوله: وحياتك، والأمانة..؛ لحديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: (فمَن كان حالِفاً فَلْيَحْلِفْ باللهِ أو ليصْمُتْ).

٢- الحلف بأنه يهودي أو نصراني، أو أنه بريء من الله أو من رسول الله ﷺ إن فعل كذا ففعله؛ لحديث بريدة عن أبيه رضي الله عنه أن

النبي ﷺ قال: (مَن حَلَفَ فقال: إني بريءٌ مِن الإسلامِ، فإنْ كان كاذباً فهو كما قالَ، وإن كان صادِقاً فلَن يَرجِعَ إلى الإسْلامِ سالِماً).

٣- الحلف بالآباء والطاغوت؛ لحديث عبد الرحمن بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تَحْلِفُوا بالطَّواغيتِ، ولا بآبائكُم) .





الأطعمة

وهو ما يأكله الإنسان ويتغذَّى به من الأقوات وغيرها أو يشربه.

والأصل في الأطعمة الحل، إلا ما حرمه الشارع الحكيم؛ ولذا قال تعالى:﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]،

الطعام المباح:

كل طعام طاهر لا مضرَّة فيه فإنه مباح، والأطعمة المباحة على نوعين: حيوانات ونباتات؛ كالحبوب والثمار، والحيوانات على نوعين: برية وبحرية.

أولاً: الحيوان البحري: وهو كل حيوان لا يعيش إلا في

البحر؛ كالسمك بأنواعه المختلفة وكذا غيره من حيوانات البحر، إلا ما فيه سُمٌّ فإنه يحرم للضرر، وكذا يحرم من طعام البحر ما كان مستخبثاً مستقذَرًا كالضفدع، مع ما جاء من النهي عن قتله، وكالتمساح؛ لكونه مستخبثاً، ولأن له ناباً يفترس به. لعموم قوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ويجوز أكل الحيوان البحري سواء صاده مسلم أو غيره.

والحيوان البحري لا يحتاج إلى تذكية بالذبح؛ لقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦]. وقال رسول الله ﷺ: (هو الطَّهور ماؤهُ، الحلُّ ميتته).

ثانياً: الحيوان البريُّ: والحلال من الحيوان البري المنصوص عليه يمكن تلخيصه في الآتي:

١) **الأنعام:** لقوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥]، وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١]. والمقصود ببهيمة الأنعام: الإبل والبقر والغنم.

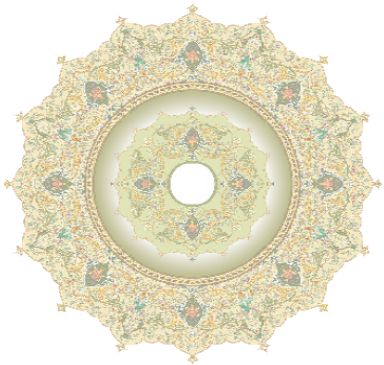
٢) **الأرنب:** لما رواه أنس رضي الله عنه أنه أخذ أرنباً، فذبحها أبو طلحة، وبعث بوركها إلى النبي ﷺ فقبله.

٣) **الضبع:** لما روى جابر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن الضبع، فقال: (هو صيد).

٤) **الدجاج:** لما روى أبو موسى ﷺ، قال: (رأيتُ رسولَ الله ﷺ يأكُلُ لحمَ دَجاجٍ) . ويلحق بالدجاج الأوز والبط؛ لأنهما من الطيبات،

فتدخل في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٤].

٥) **الجراد:** لحديث عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال: (غزونا مع النبي ﷺ سبع غزوات أو ستًّا، كنَّا نأكلُ معه الجرادَ).



الأطعمة المحرمة

وهو كل طعام نجس مستقذر فيه مضرة، لا يجوز أكله، وذلك على النحو التالي:

١- المحرمات من الطعام في كتاب الله محصورة في عشرة أشياء وردت في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣].

- **أما الميتة:** فهي ما مات حتف أنفه، وفارقته الحياة بدون ذكاة شرعية، وحرمت لما فيها من المضرة بسبب الدم المحتقن وخبث التغذية، وتجوز للمضطر بقدر الحاجة، ويستثنى من الميتة: السمك والجراد، فإنهما حلال.

- **والدم:** المراد به الدم المسفوح، فإنه حرام؛ لقوله تعالى في آية أخرى: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]، أما ما يبقى من الدم في خلل اللحم، وفي العروق بعد الذبح، فمباح، وكذا ما جاء الشرع بحلِّه من الدم؛ كالكبد والطِّحال.

- **ولحم الخنزير:** لأنه قذر، ويتغذى على القاذورات، ولمضرته البالغة، وقد جمع الله عزَّ وجلَّ هذه الثلاثة في قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

- **وما أهل لغير الله به:** أي ذبح على غير اسمه تعالى، وهذا حرام لما فيه من الشرك المنافي للتوحيد؛ فإنَّ الذبح عبادة لا يجوز صرفها

لغير الله تعالى، كما قال ﷻ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

- **والمُنْخَنِقَةُ:** وهي التي تخنق فتموت، إمَّا قصداً أو بغير قصد.
- **والمَوْقُوذَةُ:** هي التي تُضْرَب بعصا أو شيء ثقيل، فتموت.
- **والمُتَرَدِّيَةُ:** هي التي تردَّى من مكان عالٍ، فتموت.
- **والنَّطِيحَةُ:** هي التي تنطحها أخرى، فتقتلها.
- **وما أكل السبع:** هي التي يعدو عليها أسد أو نمر أو ذئب أو فهد أو كلب، فيأكل بعضها، فتموت بسبب ذلك. فما أُدرك من هذه الخمسة الأخيرة، وبه حياة، فذُبح، فإنه حلال الأكل؛ لقوله تعالى في الآية المذكورة: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣].

- وما ذُبح على النُّصُب: وهي حجارة كانت منصوبة حول الكعبة، وكانوا في الجاهلية يذبحون عندها، فهذه لا يحل أكلها؛ لأن ذلك من الشرك الذي حرَّمه الله، كما مضى فيما أُهِل لغير الله به.

ويحرم من الأطعمة أيضاً:

٢- ما فيه مضرة: كالسم، والخمر، وسائر المسكرات والمفتِّرات؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

٣- ما قطع من الحي: لحديث أبي واقد الليثي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما قُطِعَ مِن البَهيمَةِ وَهِي حيَّةٌ فهو ميتةٌ).

٤- سباع البهائم: وهي التي تفترس بنابها -أي تنهش- من حيوانات البر؛ كالأسد والذئب والنمر والفهد والكلب؛ لحديث أبي ثعلبة الخشني ﷺ قال: (نهى رسول الله ﷺ عن كلِّ ذي نابٍ مِنَ السِّباعِ)،

ولقوله ﷺ:(كلُّ ذي نابٍ من السِّباعِ، فأكلُه حرامٌ) .

٥- سباع الطير: وهي التي تصيد بمخلبها؛ كالعُقاب والباز والصقر والحدأة والبومة، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (نهى رسول الله ﷺ عَن كلِّ ذي نابٍ مِن السِّباعِ، وعن كلِّ ذي مخلبٍ مِن الطيورِ).

٦- ويحرم من الطيور ما يأكل الجيف: كالنسر والرَّخَم والغراب؛ لخبث ما يتغذى به.

٧- يحرم كل حيوان نُدِبَ قتله: كالحية والعقرب والفأرة والحدأة؛ لحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (خمسٌ مِن الدَّوابِّ كلهنَّ فاسق، يقتلْنَ في الحرمِ: الغراب، والحدأة، والعقرب، والفأرَةُ، والكلبُ العَقورُ)، ولكونها مستخبثة مستقذرة.

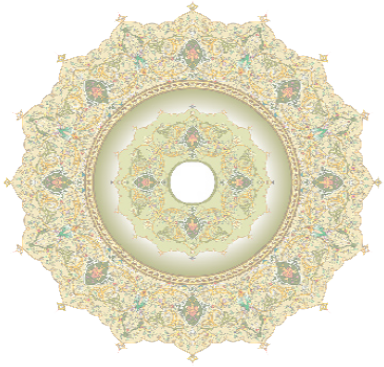
٨- الحمر الأهلية؛ لما روى جابر: (أنَّ النبيَّ ﷺ نهى يومَ خيبر عن لحومِ الحمُرِ الأهليَّة).

٩- ما يستخبث من الأطعمة: كالفأرة والحية والذباب والزنبور والنحل؛ لقول الله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

١٠- الجلاَّلة: وهي التي أكثر أكلها النجاسة؛ لما روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: (نهى رسول الله ﷺ عن أكلِ الجلالَةِ) وسواء في ذلك الإبل والبقر والغنم والدجاج ونحوها، فإذا حبست بعيداً عن النجاسات، وأطعمت الطاهرات، حلَّ أكلها. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يحبسها عن القذارة ثلاثاً إذا أراد أكلها.

الأطعمة المسكوت عنها:

ما سكت عنه الشارع، ولم يرد نص بتحريمه، فهو حلال، لأن الأصل في الأشياء الإباحة، دل على هذا قوله تعلى: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، وحديث أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ما أحلَّ اللهُ في كتابِه فهوَ حلالٌ، وما حرَّمَ فهو حرامٌ، وما سكَتَ عنه فهو عفوٌ، فاقبلوا مِن الله عافيتَه، فإنَّ الله لم يكن لينْسى شيئاً، وتلا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].



آداب الأكل

للأكل آداب ينبغي الحرص عليها، وهي:

١- التسمية عند ابتداء الأكل: لحديث عمر بن أبي سلمة ﷺ قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيشُ في الصَّحْفَة، فقال لي رسول الله ﷺ: (يا غلامُ سَمِّ اللهَ، وكُلْ بيمينِك، وكلْ ممَّا يليكَ) فما زالت تلك طِعمتي بعد

٢- الأكل باليمين: للحديث السابق.

٣- الأكل مما يلي الشخص: للحديث السابق أيضاً

٤- الحمد في آخره: لحديث أبي أمامة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا رُفعت المائدةُ مِن بين يديه، يقولُ: (الحمدُ للهِ حمْداً كثيراً طيِّباً مباركاً فيه غير مُوَدَّعٍ، ولا مستغنىً عنه ربّنا)، ولقوله ﷺ: (إنَّ الله ليرضَى عن العبدِ أن يأكلَ الأكلةَ فيحمدُه عليها، أو يشربَ الشربة فيحمدُه عليها).

٥- الأكل على السُّفَر: لحديث أنس بن مالك ﷺ قال: (ما أكلَ نبي الله ﷺ على خِوَان ولا في سُكُرُّجَة، ولا خُبزَ له مُرَقَّق، قال: فقلت لقتادة: فعلى ما كانوا يأكلون؟ قال: على هذه السُّفَرِ).

٦- كراهية الأكل متكئاً: لحديث عائشة ﷺ قالت: قلت يا رسول الله كُلْ -جعلني الله فداك- متكئاً، فإنَّه أهونُ عَلَيكَ، فأصغى برأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض، قال: (لا، بل آكل كما يأكل العبدُ، وأجلسُ كما يجلسُ العبدُ)، ولحديث أبي جُحَيفَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إني لا آكل متكئاً).

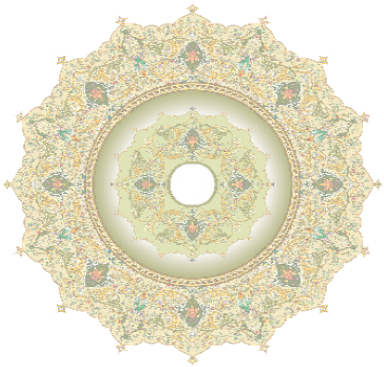
٧- عدم عيب الطعام الذي لا يريد أكله: لحديث أبي هريرة ﷺ قال: (ما عابَ رَسولُ اللهِ ﷺ طعاماً قَطُّ، إن اشتهاهُ أَكَلَه، وإلَّا تَرَكَه).

٨- الأكل من جوانب القصعة وكراهية الأكل من وسط القصعة: لحديث ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ أنَّه أُتي بقصعَةٍ من ثريدٍ فقال: (كُلوا من جوانِبِها ولا تأكلوا مِن وسَطِها، فإنَّ البرَكَة تنزِلُ في وسَطِها).

٩- الأكل بثلاثة أصابع، ولعقها بعد الأكل: لحديث كعب بن مالك ﷺ قال: (كان النبي ﷺ يأكلُ بثلاثةِ أصابعَ، ولا يمسَحُ يدَه حتى يَلْعَقَها).

١٠- أكل ما سقط منه أثناء الطعام أو تناثر: لقوله ﷺ: (إذا سَقَطَت لقمةُ أحدِكم فليُمِطْ عنها الأذى، وليأكلْها، ولا يدعْها للشيطانِ).

١١- مسح القصعة التي يأكل فيها ولعقها: لقول أنس ﷺ في الحديث الماضي: (وأمرنا -يعني النبي ﷺ أن نَسْلُتَ القَصعَةَ) يعني: نمسحها، ونتتبع ما بقي فيها من طعام. وفي رواية: (أن النبي ﷺ أمَر بلعقِ الأصابعِ والصحْفَةِ، وقال: (إنَّكم لا تدرونَ في أيِّه البركَةُ) .



أحكام الذبائح

هو الحيوان الذي تمَّت تذكيته على وجه شرعي. والتذكية: هي ذبح - أو نحر- الحيوان البري المأكول المقدور عليه، بقطع حلقومه ومريئه، أو عَقْرِ الممتنع غير المقدور عليه منها. والعَقْرُ معناه: الجرح.

فالذبح: هو قطع الحلق من الحيوان بشروط.

والنَّحر: وهو قطع لَبَّة الحيوان، وهي أسفل العنق، وهو التذكية المسنونة للإبل؛ لقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

والعقر: وهو قتل الحيوان غير المقدور عليه من الصيد والأنعام، بجرحه في غير الحلق واللبة في أي مكان من جسمه؛ لحديث رافع ﷺ قال: نَدَّ بعير، فأهوى إليه رجل بسهم فحبسه، فقال رسول ﷺ: (ما نَدَّ عليكم فاصنعوا به هكذا).

شروط صحة الذبح:

١- أن يكون الذابح مسلماً أو كتابيًّا. قال تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وهذه الآية في ذبيحة المسلم. وقال تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٥] وهذه الآية في ذبيحة الكتابي، قال ابن عبَّاس: (طعامهم: ذبائحهم) . أما سائر الكفار من غير أهل الكتاب فلا تحلُّ ذبائحهم.

٢- ألا يذبح لغير الله ﷻ أو على غير اسمه، قال تعالى: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣].

٣- أن يذكر اسم الله ﷻ عند الذبح؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ويسن أن يكبر مع

التسمية، لما روي عنه ﷺ في الأضحية أنه لما ذبحها (سمى وكبَّر).

٤-أن تكون الآلة مما يجرح بحدّه من حديد ونحاس وحجر، وغير ذلك مما يقطع الحلقوم، وينهر الدم، عدا السن والظفر؛ لحديث رافع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ما أنهرَ الدَّم وذُكر اسمُ الله عليه فكلُوه، ليسَ السِّنَّ والظُّفْرَ). فلا يجوز الذبح بالسن أو الظفر أو العظام، سواء أكانت من آدمي أم غيره.

آداب الذبح:

للذبح آداب ينبغي للذابح التقيد بها، وهي:

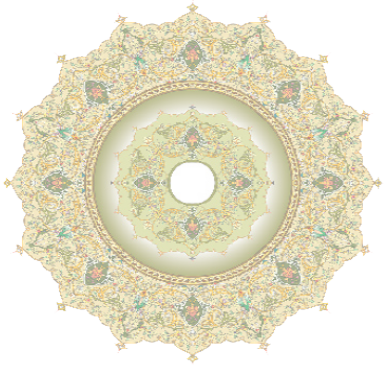
١- أن يحدَّ الذابح شفرته؛ لحديث شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إنَّ اللهَ كَتَبَ الإحسانَ على كلِّ شيءٍ، فإذا قتلتُم فأحسِنوا القِتْلَة، واذا ذَبَحتُم فأحسِنوا الذِّبحَة، وليحدَّ أحدُكم شفرتَه، وليرحْ ذبيحَتَه).

٢- أن يُضجِع الدابَّة لجنبها الأيسر، ويترك رجلها اليمنى تتحرك بعد الذبح؛ لتستريح بتحريكها؛ لحديث شداد بن أوس المتقدم قبل قليل. ولحديث أبي الخير أن رجلاً من الأنصار حدَّثه عن رسول الله ﷺ أنَّه أضْجَعَ أضحيتَه ليذبَحَها، فقال رسول الله ﷺ للرجل: (أَعِنِّي على ضحيَّتي) فأعانه.

٣- يكره حدُّ السكين والحيوان يبصره؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما السابق وفيه: (وأن توارى عن البهائم) .

حكم ذبائح أهل الكتاب:

تحل ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ لقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، أي: ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى حل لكم أيها المسلمون.





أحكام اللباس

لباس المسلم

اللبـاس نعمـة مـن نعـم الله علـى النـاس، كمـا قـال الله تعالـى: ﴿يَـا بَـنِي آدَمَ قَـدْ أَنزَلْنَـا عَلَيْكُـمْ لِبَاسًـا يُـوَارِي سَـوْءَاتِكُمْ وَرِيشًـا وَلِبَـاسُ التَّقْـوَىٰ ذَٰلِـكَ خَـيْرٌ ذَٰلِـكَ مِـنْ آيَـاتِ اللهِ لَعَلَّهُـمْ يَذَّكَّـرُونَ﴾ [الأعـراف: ٢٦].

اللباس في الإسلام

لباس المؤمن ينبغـي أن يكون جميلاً ونظيفاً، خاصَّة في علاقته مع الناس وأدائه للصلاة، كما قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقـد شـرع الله للإنسـان أن يتجمـل فـي لباسـه ومظهـره؛ لأن ذلـك مـن التحديـث بنعـم الله، قـال تعالـى: ﴿قُـلْ مَـنْ حَـرَّمَ زِينَـةَ اللهِ الَّـتِيَ أَخْـرَجَ لِعِبَـادِهِ وَالْطَّيِّبَـاتِ مِـنَ الـرِّزْقِ قُـلْ هِي لِلَّذِيـنَ آمَنُـواْ فِي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَـا خَالِصَـةً يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ كَذَلِـكَ نُفَصِّـلُ الآيَـاتِ لِقَـوْمٍ يَعْلَمُـونَ﴾ [الأعـراف: ٣٢].

يحقق اللباس عددا من الحاجات:

-يستر عن الأنظار أعضاء مخصوصة في جسم الإنسان بمقتضى عاطفة الحياء الفطرية عند الناس، كما قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ﴾ [الأعراف: ٢٦].

-يحفظ جسم الإنسان من الحر والبرد والضرر، فالبرد والحر من تقلبات الجو، والضرر من الاعتداء على جسم الإنسان، قال تعالى في صفة اللباس: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

-التجمل به وإظهار نعمة الله على الإنسان، قال ﷺ (إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ).

الأصل في اللباس:

لم يحدد الإسلام نوعاً خاصًّا من اللباس، والأولى موافقة لباس أهل البلد في لباسهم المباح.

الإسلام دين الفطرة، ولم يشرع للناس في شؤون حياتهم إلا ما يتفق مع الفطرة السليمة وصريح المعقول والمنطق العام.

والأصل في لباس المسلم وزينته الإباحة:

- فالإسلام لم يقرِّر للناس نوعاً خاصًّا من اللباس، بل أقر شرعية كل لباس ما دام يؤدي الدور المطلوب منه بدون اعتداء ولا تجاوز.
- ورسول الله ﷺ لبس الألبسة التي كانت موجودة في زمانه، و لم يأمر بلباس محدد ولم ينه عن لباس محدد، وإنما نهى عن صفات

محددة في اللباس، فالأصل في المعاملات ومنها اللباس هو الإباحة فلا تحريم إلا بدليل، وهذا بعكس العبادات التي الأصل فيها هو التوقيف فلا شرع إلا بنص.

- قال النبي ﷺ: «كُلوا وتصَدَّقوا والبسوا في غيرِ إسرافٍ ولا مَخِيلَةٍ» [1].

(١) (النسائي ٢٥٥٩)

الألبسة المحرمة:

١ ما يكشف العورة: فيجبُ على المسلم ستر عورته باللباس، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ﴾ (الأعراف: ٢٦).

وقرر الإسلام حدود ستر العورة بالنسبة للرجال والنساء، فعورة الرجل من سرته إلى ركبته، وعورة المرأة أمام الرجال الأجانب كل جسمها عدا الوجه والكفين.

ولا يجوز الستر باللباس الضيق المحدد لأعضاء الجسم، ولا الشفاف الذي يظهر البدن تحته، ولهذا توعد الله من يلبس من اللباس ما يكشف عورته فقال ﷺ: «صنفان من أهل النار» وذكر: «ونساء كاسيات عاريات» [١].

٢ ما يكون فيه تشبه بين الجنسين: أي تشبه الرجال بالنساء بلبس ما يختص بالنساء من الألبسة، ومثله تشبه النساء بالرجال، فهذا محرَّم من كبائر الذنوب، ويدخل فيه مشابهتهم في طريقة الكلام والمشي والحركة، فقد لعَنَ رسولُ الله ﷺ الرَّجلَ يلبس لبسةَ المرأةِ، والمرأةَ تلبسُ لبسةَ الرَّجلِ [٢]، وكذلك لعَن رسولُ الله ﷺ المتشبهين من الرِّجال بالنساءِ، والمتشبهات من النساء بالرجال [٣]، (ومعنى اللعن: الطرد والإبعاد عن رحمة الله). فأراد الإسلام أن تكون طبيعة الرَّجل ومظهره متميزاً، وكذلك أراد للمرأة، فذلك هو مقتضى الفطرة السليمة والمنطق الصحيح.

(١) (مسلم ٢١٢٨)
(٢) (أبو داود ٤٠٩٨)
(٣) (البخاري ٥٥٤٦)

٣ إذا كان فيه حرير أو ذهب للرجال، فإن الإسلام حرَّمهما على الرجال، كما قال ﷺ في الذَّهب والحرير: «إنَّ هذين حرامٌ على ذكور أمتي، حِلٌّ لإناثهم»[١].

والمراد بالحرير المحرم على الرجال: الحرير الطبيعي الذي تنتجه دودة القز.

٤ ما فيه تشبه بالكفَّار مما هو من خصائصهم في اللباس، كلباس الرهبان والكهنة ولبس الصليب وما كان علامة خاصَّة على دين ما، فيحرُم لبسه، حيث قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»[٢]، ويدخل في المشابهة اللباس المحتوي على رموز خاصة بديانة ومذاهب ضالَّة، فهذا التشبه دليل على ضعف السلوك وعدم الثقة بالنفس بما لدى الإنسان من الحق.

وليس من التشبه أن يلبس المسلم اللباس المنتشر في بلده ولو كان غالب لابسيه من غير المسلمين؛ فإن النبي ﷺ كان يلبس كما يلبس مشركو قريش، إلا ما ورد فيه نهي خاص.

٥ ما يصاحبه كبر وخيلاء، وقد قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[٣].

ولهذا نهى الإسلام عن جر الثياب وإسبالها تحت الكعبين للرجال إذا كان ذلك يسبب الكبر والخيلاء، فقال ﷺ: «مَن جَرَّ ثوبَه خيلاءً لم ينظر الله إليه يوم القيامة»[٤].

(١) (ابن ماجه ٣٥٩٥، أبو داود ٤٠٥٧)
(٢) (أبو داود ٤٠٣١)
(٣) (مسلم ٩١)
(٤) (البخاري ٣٤٦٥، مسلم ٢٠٨٥)

ونهى عن ثوب الشهرة، وهو اللباس الذي إذا لبسه الإنسان استغربه الناس وتحدثوا عنه فاشتهر به صاحبه؛ وذلك لغرابته، أو لاشمئزاز الناس منه بسبب شكله أو لونه النشاز، أو لما يصاحب لابسه من الغرور والكبر، قال رسول الله ﷺ: «مَن لبسَ ثوبَ شهرةٍ في الدنيا ألبَسَه الله ثوب مذلَّةٍ يومَ القيامة»[1].

٦ ما فيه إسراف وتبذير، قال ﷺ: «كلوا وتصدَّقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلَةٍ» [2].

وهذا يختلف باختلاف الحال، فمن كان غنياً فله أن يشتري من الثياب ما لا يناسب أن يشتريه الفقير مقارنة بماله ودخله الشهري ووضعه الاقتصادي وحقوقه الأخرى التي عليه مراعاتها، فالثوب الواحد قد يكون سرفاً في حق الفقير وليس سرفاً في حق الغني.

(١) (أحمد ٥٦٦٤، ابن ماجه ٣٦٠٧)
(٢) (النسائي ٢٥٥٩)

العقيدة

برنامج الدبلوم المستوى الأول


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد

فهذا منهج العقيدة المقرر لدورات الأئمة والخطباء، ويهدف إلى:

١- معرفة ما يجب على المسلم اعتقاده في أمر الدين ومراتبه.

٢- تعميق الإيمان بعقيدة التوحيد، وتقويته في النفوس.

٣- تحصين المسلم من الوقوع في ما يناقض التوحيد أو ينافي كماله.

٤- إدراك أنَّ عقيدة التوحيد هي الحق الذي يجب الانقياد له، وأن ما يخالفها باطل.

والمقرر مختار ليناسب الملتحقين بالدورات من حيث المحتوى وسهولة مفرداته، ومن حيث اشتماله على أهمّ ما يحتاج الطالب معرفته في هذه المرحلة من مسائل العقيدة الإسلامية.

وصلى الله وسلَّم على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

أولاً: مقدمة عن عقيدة التوحيد

التعريف بعقيدة التوحيد:

العقيدة مأخوذة من عقد الحبل، وهو شد بعضه ببعض، ومدار الكلمة على اللزوم والقوة والتأكيد.

والعقيدة الإسلاميَّة: هي ما يعتقده المسلم مما يعلمه ويصدق به تصديقًا جازمًا لا ريب فيه، حول قضايا معينة أخبرنا بها الله تعالى ورسوله ﷺ [١].

والتوحيد لغة: مصدر وحَّد يوحِّد، أي: جعل الشيء واحدًا.

والمراد بالتوحيد هنا: إفراد الله تعالى بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات. وعرَّفه بعض العلماء بأنَّه: إفراد الله بالعبادة [٢].

أهمية عقيدة التوحيد:

لعقيدة التوحيد أهمية عظيمة يمكن إبراز أهم جوانبها فيما يلي:

١- أمَّا الغاية العظمى من خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦].

٢- لأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٢٥].

---

(١) انظر: العقيدة في الله للأشقر، ص٩-١٠.

(٢) انظر: الأصول الثلاثة مع حاشيتها للشيخ محمد العثيمين، ص٣٣، فتح المجيد، ص١٧-١٨.

٣- أنها أساس الدعوة، فهي أول ما يدعى إليه، ولهذا مكث رسول الله ﷺ في مكة ثلاثة عشر عامًا يدعو الناس إلى التوحيد ويحذرهم من الشرك، ولما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: (إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، فإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لكَ بذلكَ، فأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في كُلِّ يَومٍ ولَيْلَةٍ) (١).

٤- أنَّ التوحيد شرط في قبول الأعمال، فمن لم يوحد الله تعالى لم يقبل له عمل، كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الزمر: ٦٥].

ثمرات التوحيد:

للتوحيد ثمرات جليلة في الدنيا والآخرة، منها:

١- أنَّ التوحيد سبب لعصمة الأموال والدماء، كما قال رسول الله ﷺ: (أُمِرْتُ أَن أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ) (٢).

٢- أنَّ بالتوحيد تحصل السعادة والأمن في الدنيا والآخرة، قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]. والمراد بالظلم هنا: الشرك.

٣- أنَّ التوحيد سبب لدخول الجنة كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا

(١) رواه البخاري ٣/ ٢٥٥، ومسلم ١/ ٥٠- ٥١.
(٢) رواه البخاري ٢/ ١١٠، ومسلم ١/ ٥٢.

دَخَلَ الجَنَّةَ) [١].

٤- أنَّ التوحيد سبب لمغفرة الذنوب كما في حديث أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأرضِ خطَايا ثُمَّ لَقِيْتَنِي لا تُشْرِكُ بِيْ شَيْئًا لأتيْتُكَ بِقِرَابِها مَغْفِرَةً) [٢].

٥- أنَّ التوحيد سبب للنجاة من النار كما في حديث عتبان ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (فإنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَى النَّارِ أَي: الدَّوَامَ فِيهَا إِلَى الأَبَدِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله) [٣].

مصادر تلقي العقيدة الإسلامية:

تؤخذ العقيدة الإسلامية وتتلقى من الكتاب والسنة الصحيحة، فهما المنبع الصافي والمصدر الكافي، وبهما يميز المسلم بين الصحيح والفاسد من العقائد والأفكار.

والأخذ بالكتاب والسنة واجب على كل مسلم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِينًا﴾[الأحزاب: ٣٦].

ونفى الله الإيمان عمن لم يتحاكم إلى الشرع في أمور الخلاف، فقال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥].

فالواجب على المسلم أن يأخذ عقيدته من القرآن وما صحَّ من أحاديث النبي ﷺ، وألا يعترض على شيء من ذلك برأي، أو فهم

(١) رواه البخاري ٧/ ٤٣، ومسلم١/ ٩٥.
(٢) رواه الترمذي برقم ٣٥٣٥ وحسنه، والإمام أحمد في المسند ٥/ ١٧٢.
(٣) رواه البخاري ٢/ ٥٥- ٥٦، ومسلم ١/ ٦١- ٦٢.

سـقيم، أو عـادة تخالـف الشـرع.

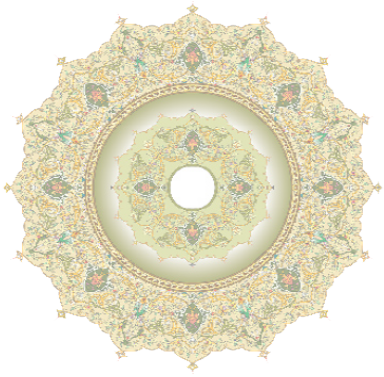
خصائص العقيدة الإسلامية:

١- مستمدة من الكتاب والسنة.

٢- موافقة للعقول السليمة والفطر القويمة.

٣- ليس فيها تناقضات ولا مستحيلات.

٤- تمتاز بالوسطية والاعتدال ومراعاة جميع جوانب الإنسان.



ثانيا: التعريف بالدين ومراتبه

معنى الدين:

الدِّين: هو ما يدين به الشخص ويعتقده ويعمله، والمراد به هنا: الإسلام والتوحيد وجميع ما يعتقده المسلم ويتدين به مما جاء عن الله تعالى أو عن رسوله ﷺ [1].

مراتب الدين:

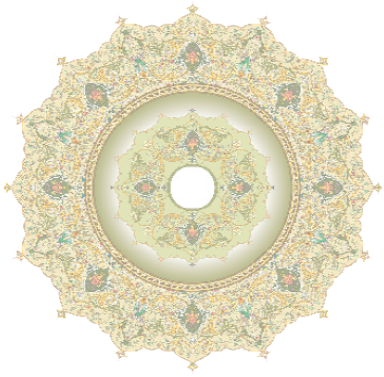
الدِّين ثلاث مراتب وهي:

- الإسلام.
- الإيمان.
- الإحسان.

وقد جاء ذكرها في حديث جبريل عليه السلام الذي رواه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال: (بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا محمَّد أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ صَدَقْتَ قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ قَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ

(١) انظر معاني الدين: في لسان اللسان ١/ ٤٣٤ ترتيب القاموس ٢/ ٢٤٢- ٢٤٣.

وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ صَدَقْتَ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ قَالَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) [1]



(١) رواه مسلم ١/ ٣٦-٣٧.



الإسلام

حقيقة الإسلام:

الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص والبراءة من الشرك وأهله.

فلا يكون الشخص مسلما إلا إذا استسلم لله وخضع له وانقاد[1]. فمن لم يوحد الله تعالى، أو لم ينقد لطاعته، أو لم يتبرأ من الشرك وأهله، فليس بمسلم.

أركان الإسلام:

أركان الإسلام خمسة وهي:

- شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمَّدا رسول الله.
- إقام الصلاة.
- إيتاء الزكاة.
- صوم رمضان.

(١) الأصول الثلاثة مع شرحها للشيخ محمد العثيمين ص٦٤، جامع العلوم والحكم ١/ ٦١.

- حج بيت الله الحرام.

فهذه هي أركان الإسلام الخمسة التي بني عليها كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ) [١].

وقد اتفق العلماء على أن من ترك هذه الأركان كلها فإنه كافر خارج عن الإسلام وإن زعم أنه مسلم.

وكذلك اتفقوا على كفر من أنكر واحدا منها.

وكذلك اتفقوا على كفر من ترك الشهادتين قولا أو اعتقادا، أو أتى بما ينقضهما.

وأمَّا الصلاة فالصحيح من أقوال العلماء أن تاركها يكفر لقول النبيِّ ﷺ: (بيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ) [٢].

وأما ترك الزكاة والصيام والحج ففيه قولان لأهل العلم [٣].

(١) رواه مسلم ١/ ٤٥.
(٢) رواه مسلم ١/ ٨٨ برقم ٨٢.
(٣) انظر: جامع العلوم والحكم ١/ ٨٩- ٩٠.

التعريف بأركان الإسلام:

١- الشهادتان:

أ- شهادة أن لا إله إلا الله:

معناها:

معنى لا إله إلا الله: أي لا معبود بحق إلا الله.

والإلـه: هـو المعبـود المألـوه المطـاع، الـذي تألهـه القلـوب محبَّـةً وإجـلالاً وخوفًـا وتعظيمًـا، وذلاً ورجـاء وتـوكلا.

ركناها:

(لا إله إلا الله) لها ركنان وهما:

١- النفي:

٢- الإثبات

لا إلـه: نفـي لجميـع مـا يعبـد مـن دون الله، فـلا يسـتحق أن يعبـد إلا هـو سبحانه.

إلا الله: مثبتا العبادة لله وحده، فهو الإله الحق المستحق للعبادة [١].

فـلا إلـه إلا الله : تقتضـي إخـلاص التوحيـد والعبـادة لله وحـده، ونبـذ الشـرك ووسـائله.

شروط لا إله إلا الله:

لكلمـة التوحيـد: (لا إلـه إلا الله) سـبعة شـروط لا بـدَّ مـن توفرهـا حتـى تنفـع قائلهـا، وهـذه الشـروط هـي:

(١) انظر: معارج القبول ٢/ ٤١٦.

١- العلم بمعناها المراد منها نفيًا وإثباتًا، المنافي للجهل بذلك. قال الله ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾[محمد: ١٩].

وفي الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَن ماتَ وهو يَعْلَمُ أنَّه لا إلَهَ إلَّا اللهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ) (١).

٢- اليقين المنافي للشكِّ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾[الحجرات آية ١٥].

٣- القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، فمن لم يقبل هذه الكلمة واستكبر عنها كان من الكافرين، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ و يَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾[الصافات آية ٣٥- ٣٦].

٤- الانقياد لما دلَّت عليه هذه الكلمة المنافي لترك ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[الزمر: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾[لقمان آية ٢٢].

٥- الصدق في قولها المنافي للكذب، فيقولها صدقًا من قلبه، قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[العنكبوت: ١-٣].. وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ما مِن أحَدٍ يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، صِدْقًا مِن قَلْبِهِ، إلَّا حَرَّمَهُ اللهُ علَى النَّارِ) (٢).

(١) رواه مسلم ١/ ٩٣.
(٢) رواه البخاري ١/ ٢٢٦، ومسلم ١/ ٦١.

٦- الإخلاص لله تعالى في قولها، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[الزمر: ٣]. وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: (أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ) (١).

٧- المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلَّت عليه، ومحبة أهلها القائمين بها، وبغض ما ناقض ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[البقرة: آية١٦٥] (٢).

ب- شهادة أنَّ محمَّدًا رسول الله ﷺ:

معناها:

معنى شهادة أنَّ محمَّدا رسول الله: الاعتقاد الجازم والإقرار باللسان بأن محمَّد بن عبد الله القرشي الهاشمي رسول من الله تعالى إلى النَّاس جميعًا، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين.

قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾[الفتح آية٢٩]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف آية ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّد أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب آية٤٠].

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: (فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بستٍّ: أُعطيتُ جوامعَ الكلِمِ ونُصِرْتُ بالرُّعبِ وأُحِلَّتْ لي الغنائمُ وجُعِلت لي الأرضُ طَهورًا ومسجدًا وأُرسِلْتُ إلى الخَلقِ كافَّةً وخُتِم بي النَّبيُّونَ) (٣).

(١) رواه البخاري ١/ ٣٣.
(٢) انظر تفصيل الكلام على هذه الشروط في: معارج القبول ٣/ ٤١٨- ٤٢٦.
(٣) رواه مسلم رقم ٥٢١.

مقتضى شهادة أنَّ محمَّدًا رسول الله:

ومقتضى شهادة أنَّ محمَّدًا رسول الله، طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهي عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع، وألا تعتقد أنَّ لرسول الله ﷺ حقًّا في الربوبية وتصريف الكون، أو حقًّا في العبادة؛ بل هو ﷺ عبد لا يعبد، ورسول لا يكذب، ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى ﴾[الأنعام آية٥٠][1].

فمن أخل بشيء من أوامره أو نواهيه اختلت شهادته، ومن شك في صدق شيء مما صح من أخباره اختلت شهادته، ومن ابتدع شيئا في شريعته اختلت شهادته لقوله ﷺ:(مَن عَمِلَ عملا ليس عليه أمْرُنا فهو رَدٌّ) [2].

وقال ﷺ: (مَنْ سَنَّ فِي الإسلام سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِها بعْدَهُ كُتِب لَه مثْلُ أَجْر من عَمِلَ بِهَا وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ) [3].

وفي الحديث الآخر يقول ﷺ: (وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) [4].

ويختل من توحيد المرء وإسلامه بقدر ما اختل من تحقيقه للشهادتين.

---

(١) انظر: الأصول الثلاثة وحاشيتها للشيخ محمد العثيمين، ص٧١- ٧٢.
(٢) رواه البخاري ٥/ ٣٠١ ومسلم ٣/ ١٣٤٣ برقم ١٧١٨.
(٣) رواه مسلم ٢/ ٧٠٥ برقم ١٠١٧.
(٤) رواه مسلم ٢/ ٥٩٢ برقم ٨٦٧.

٢- الصلاة:

إقام الصلاة هو التعبد لله تعالى بفعلها على وجه الاستقامة والتمام كما أمر الشرع في أوقاتها وهيئاتها، وهي أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين، فالدعوة إليها تأتي بعد الدعوة إلى التوحيد مباشرة، كما في حديث معاذ رضي الله عنه لما بعثه الرسول ﷺ إلى اليمن فقال له: (إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بذلكَ، فأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في كُلِّ يَومٍ ولَيْلَةٍ....) الحديث [١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[النساء آية ١٠٣].

وبالصلاة تنشرح صدور أهل الإيمان وتقر عيونهم، وتعينهم على ترك الفحشاء والمنكر.

والصلاة فارق بين المسلم والكافر كما قال النبي ﷺ: (إِنَّ بيْنَ الرَّجُلِ وبيْنَ الشِّرْكِ والْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاةِ)[٢]، وفي الحديث الآخر: (الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)[٣].

ومما يدلُّ على عظم مكانتها عند الصحابة رضي الله عنهم قول عبد الله بن شقيق: (كانَ أَصْحابُ محمَّد ﷺ لا يرونَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاةِ) [٤].

(١) رواه البخاري ٣/ ٢٥٥ ومسلم برقم ١٩.
(٢) رواه مسلم ١/ ٨٨ رقم ٨٢.
(٣) رواه الترمذي ٥/ ١٣- ١٤ رقم ٢٦٢١.
(٤) رواه الترمذي ٥/ ١٤ رقم ٢٦٢٢.

٣- الزكاة:

والمراد بالزكاة هنا التعبد لله تعالى ببذل القدر الواجب في الأموال الزكويَّة المستحقة، قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[التوبة آية ١٠٣]، فالزكاة تزكي النفوس من البخل وتعود الإنسان على البذل، وفي أدائها تكافل بين المسلمين، وسد لحاجة الفقراء والمحتاجين، ولهذا جاء التحذير والوعيد لمن بخل بها قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[التوبة آية ٣٤].

ومن منعها قوتل، ولهذا قاتل أبو بكر رضي الله عنه مانعي الزكاة عملاً بقول النبي ﷺ: (أُمِرْتُ أَن أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لا إِلـهَ إِلاَّ اللَّه وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ويُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ، فَإِذا فَعَلوا ذلكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهم إِلاَّ بحَقِّ الإِسلامِ، وحِسابُهُمْ عَلى اللَّهِ) [١].

(١) رواه البخاري ١٣/ ٢٥٠ ومسلم ١/ ٥١ رقم ٢٠.

٤- صيام رمضان:

المراد بصيام رمضان: التعبد لله تعالى بالإمساك عن المفطرات نهار رمضان.

وفي الصيام ترويض للنفس على ترك محبوباتها طلبًا لمرضاة الله تعالى فيثمر ذلك تقوى الله تعالى، قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة آية ١٨٣].

٥- الحج:

حج بيت الله الحرام: هو التعبد لله تعالى بالذهاب لبيت الله الحرام للقيام بشعائر الحج في مكانها وزمانها المخصوصين وبالكيفية المشروعة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[ال عمران آية ٩٧]، وفي الحديث يقول النبي ﷺ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا) [١].

وفرض الحج مرَّة واحدة في العمر على المستطيع [٢].

(١) رواه مسلم ٢/ ٩٧٥ رقم ١٣٣٧.

(٢) انظر الكلام على أركان الإسلام الخمسة في: معارج القبول ٢/ ٦١٣- ٦٤١، نبذة في العقيدة الإسلامية للشيخ محمد العثيمين ص٩- ١٠.

الإيمان

١- حقيقة الإيمان

الإيمان في اللغة: التصديق.

وفي الشرع: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

والدليل على أن الإيمان يكون باللسان قول الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾[البقرة الآية ١٣٦].

والدليل على أن الإيمان يكون بالقلب قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[الحجرات الآية ١٤].

والدليل على أن الأعمال داخله في مسمَّى الإيمان قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[البقرة آية ١٤٣]، والمراد بالإيمان في هذه الآية: الصلاة إلى بيت المقدس، فجعل الصلاة – وهي من أعمال الجوارح – من الإيمان.

والدليل من السنة على كون الإيمان بالقلب واللسان

والجوارح قوله ﷺ: (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ) (١).

ويقول الرسول ﷺ: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ) (٢).

وفي هذا دليل على أن الإيمان يكون بالقلب واللسان والجوارح، وعلى أنه يتفاضل، ومن أدلة زيادة الإيمان بطاعة الرحمن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[الأنفال آية ٢].

أركان الإيمان:

- الإيمان بالله.
- الإيمان بالملائكة.
- الإيمان بالكتب.
- الإيمان بالرسل.
- الإيمان باليوم الآخر.
- الإيمان بالقدر خيره وشره.

ودلَّ عليها حديث جبريل السابق.

ومن أدلتها قوله تعالى: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾[البقرة آية ٢٨٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ

(١) رواه مسلم ١/ ٦٣.
(٢) رواه مسلم ١/ ٦٩.

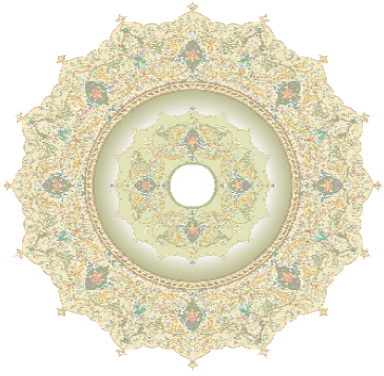
الآخِرِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيدًا﴾[النساء آية ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[البقرة آية ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر: ٤٩].

فهذه الأركان اتفقت الشرائع عليها، ولا يتم إيمان المرء إلا باعتقادها جميعًا، ومن جحد أو شك في واحد منها خرج من الإيمان إلى الكفر والعياذ بالله.

وفيما يلي تعريف بهذه الأركان:



١- الإيمان بالله:

معنى الإيمان بالله:

الإيمان بالله: هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى ربُّ كل شيء ومليكُه وخالقه، وأنه المستحق للعبادة وحده، وأنه المتصف بصفات الكمال، المنزه عن كل نقص وعيب، مع التزام ذلك والعمل به [١].

وهذا التعريف يدخل فيه أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

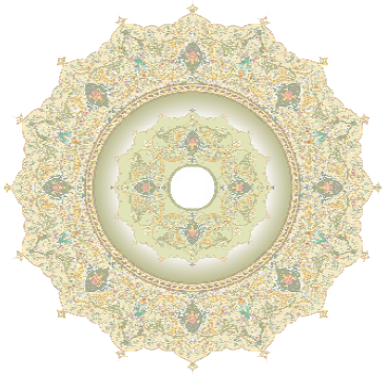
فتوحيد الربوبية: هو توحيد الله تعالى بأفعاله، وذلك باعتقاد أن الله سبحانه وتعالى هو المتفرد بالخلق والملك والتدبير والرزق والإحياء والإماتة... ونحو ذلك ، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف آية ٥٤].

وتوحيد الألوهية: هو توحيد الله بأفعال العباد التي شرعها لهم، فهو سبحانه الإله المستحق للعبادة وحده، لا إله غيره، فيفرد سبحانه وتعالى بجميع أنواع العبادة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة آية ٢١]، وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة آية ٥].

وتوحيد الأسماء والصفات: هو الاعتقاد الجازم بأنَّ الله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وأنه متصف بجميع صفات الكمال ومنزه عن جميع صفات النقص، فيوصف الله تعالى بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، من غير تمثيل لصفاته بصفات خلقه، ولا تعطيل لها، ولا تحريف لمعانيها، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ

(١) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد صالح الفوزان ١/ ١٧.

شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[الشورى آية ١١]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف آية ١٨٠].



٢- الإيمان بالملائكة:

أ- المراد بالملائكة:

الملائكة: عالم غيبي قائمون بأنفسهم، لا يأكلون ولا يشربون، لهم القدرة على التمثل بصورة مختلفة، خلقهم الله من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴿٢٠﴾﴾[الأنبياء الآية ١٩-٢٠].

وقال النبي ﷺ: (خُلِقَتِ الْمَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ) (١).

وعددهم كثير لا يعلمه إلا الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾[المدثر: ٣١].

ب- ما يتضمنه الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة يتضمن أمورًا منها:

- الإيمان بوجودهم.
- الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه، كجبريل وميكائيل وإسرافيل... ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالا.
- الإيمان بما علمنا من صفاتهم.
- الإيمان بما علمنا من وظائفهم وأعمالهم.

(١) رواه مسلم ٤/ ٢٢٩٤ رقم ٢٩٩٦.

ج- من أسمائهم:

من أسماء الملائكة التي علمناها:

- جبريل: ملك الوحي.
- ميكائيل: الموكل بالقطر وتصاريف.
- إسرافيل: الموكل بالصُّور.
- مالك: خازن النار.
- منكر ونكير (ملكا القبر).
- هاروت و ماروت.

د- من صفاتهم:

جاء ذكر بعض صفات الملائكة في الكتاب والسنة، ومن ذلك:

أن لهم أجنحة، قال تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[فاطر آية ١].

أنهم أقوياء، لا يملون عبادة ربهم، ولا يأكلون، ولا يشربون، وأنهم يعلمون ويسمعون ويبصرون ويتكلمون، ولهم أيد وأقدام، وأنهم يعرجون ويتلون، ويدخلون ويتأذون، ويحبون ويبغضون، ويستحون ويصلون - أي يدعون للمؤمنين الذين يصلون على النبي ﷺ، وعلى أصحاب الصف الأول في الصلاة،

وعلى ميامن الصفوف، وعلى من جلس في مصلاه بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، وعلى المستمرين.

هـ- من وظائفهم وأعمالهم:

لكل واحد من الملائكة عمل يخصه ووظيفة يقوم بها، ومن تلك الوظائف ما يلي:

- ملائكة الرحمة.
- ملائكة العذاب.
- الملائكة الكتبة الأعمال بني آدم.
- ملائكة السحاب والرياح.
- الملائكة الذين يحملون العرش.
- الملائكة الموكلون بالجنة والنار.
- ملك الوحي.
- ملك الموت.
- ملك النفخ في الصور.
- ملك الجبال.

وثمرات الإيمان بالملائكة:

للإيمان بالملائكة ثمرات جليلة، منها:

- العلم بعظمة الله تعالى وقوته وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.
- شكر الله تعالى لعنايته ببني آدم حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك من مصالحهم.
- محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى [1].

(١) انظر في الكلام على ما يتعلق بالملائكة وأدلة ذلك في: نبذة في العقيدة الإسلامية للشيخ

٣- الإيمان بالكتب

أ- معنى الإيمان بالكتب:

الإيمان بالكتب: هو التصديق الجازم بأن لله كتبًا أنزلها على أنبيائه ورسله، وهي من كلامه حقيقة، وأنها نور وهدى، وأن ما تضمنته حق وصدق، وأنها يصدق بعضها بعضًا، قال تعالى: ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ﴾[الشورى آية ١٥]، وقال تعالى ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة آية ١٣٦].

ب- عدد الكتب وأسماؤهم:

كتب الله تعالى التي أنزلها لا يعلم عددها إلا هو سبحانه، فيجب الإيمان بما كلها إجمالا فيما لم نعلم اسمه، وأما ما علمنا اسمه منها فنؤمن به باسمه وهي:

- التوراة التي أنزلت على موسى.
- الإنجيل الذي أنزل على عيسى.
- الزبور أنزلت على داود.
- صحف إبراهيم وموسى.
- القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

محمد العثيمين ص١٩- ٢١، معارج القبول ٢/ ٦٥٦- ٦٧١، عالم الملائكة الأبرار للدكتور عمر الأشقر.

وَأَنْـزَلَ التَّـوْرَاةَ وَالإِنْجِيـلَ (٣) مِـنْ قَبْـلُ هُـدًى لِلنَّـاسِ وَأَنْـزَلَ الْفُرْقَـانَ﴾ [ال عمـران: ٣-٤]، وقـال تعالـى: ﴿وَآتَيْنَـا دَاوُدَ زَبُورًا﴾[الإسـراء: ٥٥]. وقـال تعالـى: ﴿إِنَّ هَـذَا لَـفِي الصُّحُـفِ الأُولَى (١٨) صُحُـفِ إِبْرَاهِيـمَ وَمُـوسَى﴾ [الأعلى: ١٩].

ج- تحريف الكتب السابقة:

الكتـب السـابقة للقـرآن الكريـم كلهـا مُحَرَّفـة ومُبَدَّلـة، قـال الله تعالـى: ﴿أَفَتَطْمَعُـونَ أَنْ يُؤْمِنُـوا لَكُـمْ وَقَـدْ كَانَ فَرِيـقٌ مِنْهُـمْ يَسْـمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُـمَّ يُحَرِّفُونَـهُ مِـنْ بَعْـدِ مَـا عَقَلُـوهُ وَهُـمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقـرة: ٧٥]. **وقـال تعالى:** ﴿مِـنَ الَّذِيـنَ هَـادُوا يُحَرِّفُـونَ الْكَلِـمَ عَـنْ مَوَاضِعِهِ﴾[النسـاء: ٤٦].

فاليهـود والنصـارى حَرَّفـوا كتـب الله وأَخْفـوا بعضهـا، قـال تعالـى: ﴿يَـا أَهْـلَ الْكِتَـابِ قَـدْ جَاءَكُـمْ رَسُـولُنَا يُبَـيِّنُ لَكُـمْ كَثِيـرًا مِمَّـا كُنْتُـمْ تُخْفُـونَ مِـنَ الْكِتَـابِ وَيَعْفُـوا عَـنْ كَثِيرٍ﴾[المائـدة: ١٥].

واليهـود أدخلـوا فـي كتـب الله تعالـى العقائـد الباطلـة، ووصفـوا الله ﷻ بمـا لا يليـق بـه سـبحانه كالعجـز والبخـل وغيـر ذلـك، تعالـى الله عـن قولهـم علـوًا كبيـرًا.

ومـما يـدل علـى أن هـذه الكتـب مُبَدَّلـة ومُحَرَّفَـة ولا تصـح نسـبتها إلـى الله تعالـى أمـور منهـا:

- أن كل الكتـب التـي نزلـت قبـل القـرآن قـد ضاعـت نسـخها الأصليـة ولـم يبـق منهـا فـي أيـدي إلا تراجـم محرفـة.

- أن هـذه الكتـب اختلـط فيهـا كلام الله تعالـى بـكلام النـاس من تفسـير وتاريـخ وغيـر ذلك.

- أن هذه الكتب ليس لها سند تاريخي موثوق ولم تدون إلا بعد زمن طويل.

- أن هذه الكتب تعددت نسخها ووجدت الاختلافات الكثيرة بينها.

- من دلائل تحريفها اشتمالها على العقائد الباطلة في الله تعالى ورسله الكرام.

وعلى هذا فلا يجوز الاعتماد على ما فيها، بل هي على ثلاثة أقسام:

- ما علمنا كذبه فيكذب.

- ما علمنا صدقة فيصدق.

- ما لم يأت شرعنا بتصديقه ولا تكذيبه فلا يصدق ولا يكذب.

د- الإيمان بالقرآن الكريم:

يجب الإيمان بالقرآن الكريم الذي أنزل الله تعالى على نبيه محمَّد ﷺ، واعتقاد أنه كلام الله حقيقة، وأنه مخصوص بمزايا منها:

- **الحفظ من التغيير والتبديل والتحريف، قال تعالى:** ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر: ٩].

- **أنه تضمن خلاصة التعاليم الإلهية، وجاء مؤيدًا ومصدقًا لما جاء في الكتب السابقة ومهيمنًا عليها، قال تعالى:** ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[المائدة: ٤٨].

- أنه ناسخ لشرائع الكتب السابقة المخالفة لما فيه، فهو آخر الكتب كما أنَّ محمَّدًا ﷺ آخر الرسل.

- أنه معجز بَنظْمه وأحكامه وأخباره، فلا يستطيع أحد أن يأتي بمثله.

هـ- ثمرات الإيمان بالكتب:

للإيمان بالكتب ثمرات عظيمة منها:

- العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به.

- العلم بحكمه الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

- شكر نعمة الله تعالى على ذلك[١].

(١) انظر الكلام على ما يتعلق بكتب الله تعالى في كتاب الإيمان لنعيم ياسين، نبذة في العقيدة الإسلامية للشيخ محمد العثيمين ص٢٣، معارج القبول ٢/ ٦٧١-٦٧٥.

٤- الإيمان بالرسل

أ- تعريف الرسول:

الرسول: هو إنسان ذَكَرٌ اصطفاه الله وأوحى إليه بشرع وأرسله إلى قوم كفَّار ليبلغهم رسالة الله.

ب- المراد بالإيمان بالرسل:

الإيمان بالرسل: هو التصديق الجازم بأنَّ الله تعالى بعث في كلِّ أمَّة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بما يعبد من دون الله، وأن جميعهم صادقون أتقياء أمناء، وأنهم بلَّغوا البلاغ المبين، وأقاموا حجة الله على العالمين، كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[النساء: ١٦٥]، وأنهم بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء؛ بل يلحقهم ما يلحق البشر من المرض والموت والجوع.

فيجب الإيمان بالرسل كلهم عليهم الصَّلاة والسلام إجمالاً لمن لا نعرف عنه شيئًا، وتفصيلاً لمن عرفنا اسمه أو خبره، قال الله تعالى: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾[البقرة: ٢٨٥].

ج- الغاية من إرسال الرسل:

- الدعوة إلى التوحيد كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦].

- تبشير المطيعين وإنذار العاصين كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[النساء: ١٦٥].

- تفصيل الشرائع، فكل رسول يأتي بشريعة يدعو قومه إلى العمل بها، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة: ٤٨].

د- أولو العزم من الرسل:

ألو العزم من الرُّسل خمسة، هم أفضل الرسل، وترتيبهم حسب أفضليتهم كما يلي:

* **محمَّد** ﷺ.
* **إبراهيم** عليه السلام.
* **موسى** عليه السلام.
* **عيسى** عليه السلام.
* **نوح** عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[الأحزاب: ٧].

هـ- الواجب علينا نحو الرسل عليهم السلام:

يجب علينا نحو رسل الله عليهم السلام أمور منها:

- التصديق بهم والإيمان بأنَّ رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم، أو كذَّبه، أو سبَّه، أو انتقصه، فقد كفر ووجب قتله، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[الشعراء: ١٠٥]، فجعلهم مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يكن رسول قبله حين كذبوه.

- اعتقاد أنهم أدوا الأمانة وبلغوا الرسالة على الوجه الأكمل الذي تقوم به الحجة.

- اعتقاد أنهم أكمل الخلق علمًا وعملاً، وأنهم منزَّهون عن الكذب والخيانة والكتمان والتقصير في البلاغ.

- اعتقاد أنَّهم كانوا رجالاً من البشر، لا يملكون شيئًا من خصائص الربوبية والألوهية، فلا يخلقون ولا يرزقون ولا يعلمون الغيب، ولا يجوز صرف شيء من العبادة لهم.

- أنَّ الله أيَّدهم بالمعجزات الباهرات والآيات الظاهرات الدالة على صدقهم فيما جاؤوا به.

- الإيمان والعمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم وأفضلهم محمَّد ﷺ.

و- الإيمان بمحمَّد ﷺ:

يجب الإيمان والشهادة بأنَّ محمَّدًا ﷺ رسول من عند الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[البقرة: ١١٩].

ويجب الإيمان بأنَّه خاتم النبيين، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب: ٤٠].

ويجب الإيمان بأنَّ رسالته عامة للجن والإنس، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[سبأ: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧]، وقال النبي ﷺ: (فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ)[1].

(١) رواه مسلم برقم ٥٢٣.

ويجب الإيمان بأنَّ رسالة النبي محمَّد ﷺ ناسخة لجميع الرسالات السابقة، كما قال النبي ﷺ: (لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)[1].

والمراد بالأمَّة في هذا الحديث أمة الدعوة لا أمة الإجابة، فأمة الدعوة: هم كل الخلق من بعثة النبي ﷺ إلى قيام الساعة، إذ إن الدعوة المحمدية موجهة إلى جميع الناس.

وأمَّا أمة الإجابة: فهم من أجاب دعوة الرسول ﷺ واتبع دينه، فيجتمع المعنيان في حق المسلم، ويدخل الكفار في أمَّة الدعوة المحمدية فقط.

ويجب اعتقاد عصمة النبي محمَّد ﷺ فيما يبلغ عن ربِّه تعالى:

كما يجب اعتقاد أنَّه أفضل الأنبياء والمرسلين كما في الحديث الصحيح: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا فَخْرَ)[2].

وأنَّ الله تعالى أيَّده بالمعجزات الكثيرات، وأنَّ أعظمها القرآن الكريم.

ز- ثمرات الإيمان بالرسل:

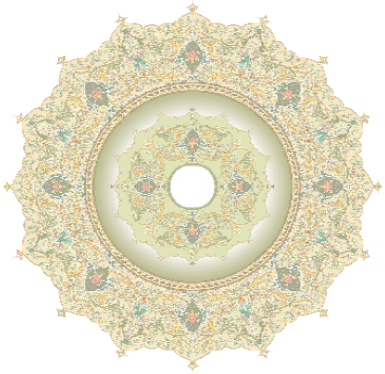
للإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:

- العلم برحمة الله ومنَّته وعنايته بعباده، حيث أرسل إليهم الرسل يهدونهم إلى صراط الله تعالى، ويبينون لهم كيف يعبدون ربهم ﷻ؛ لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

(١) رواه مسلم ١٣٤.
(٢) رواه البخاري ٥/ ٢٢٥، ومسلم ٤/ ١٧٨٢.

- شكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة.

- محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم والثناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته وتبليغ رسالته والنصح لعباده[1].



(١) انظر في الكلام على الإيمان بالرسل: كتاب الإيمان لمحمد نعيم ياسين ص٤٨ وما بعدها، الرسل والرسالات للدكتور عمر الأشقر، نبذة في العقيدة الإسلامية للشيخ محمد العثيمين ص٢٥-٢٧، معارج القبول ٢/ ٦٧٥-٦٨٠.

٥- الإيمان باليوم الآخر:

أ- المراد بالإيمان باليوم الآخر:

اليوم الآخر: هو يوم القيامة، والمراد بالإيمان باليوم الآخر: التصديق الجازم بكل ما أخبر به الله تعالى في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ في سنته، مما يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذابه ونعيمه، والبعث، والحشر، والصحف، والحساب، والميزان، والحوض، والصراط، والشفاعة، والجنة والنار، وما أعد الله لأهلهما، وما يكون بين يدي الساعة من علاماتها الدالة على قربها أو قيامها، قال الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[البقرة: ٤]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء: ٨٧].

ب- أشراط الساعة:

يجب الإيمان بأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأن موعدها لا يعلمه إلا الله تعالى، قال ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾[الأعراف: ١٨٧].

وقد أخبر النبي ﷺ بعلامات تكون بين يدي الساعة، منها ما ظهر وانقضى، ومنها ما لم يأت بعد، ومن علاماتها: ما جاء في الحديث أنَّ النبي ﷺ طلع على أصحابه وهم يتذاكرون أمر الساعة فقال لهم: (إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ

بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ)[1].

ج- فتنة القبر وعذابه ونعيمه:

فتنة القبر: هي سؤال الميت بعد موته- سواء دفن أم لم يدفن – عن ربِّه ودينه ونبيِّه، فيثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمَّد ﷺ، ويضل الله الظالمين، فيقول الكافر: هاه، هاه، لا أدري. ويقول المنافق أو المرتاب: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، كما جاء في الأحاديث الصحيحة.

وكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيب منه، سواء قُبِرَ أم لم يقبرْ، حتى لو أكلته السباع، أو احترق وصار رمادا، أو غرق في البحر.

ومن أدلة عذاب القبر قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[الأنعام: ٩٣].

وفي الحديث يقول النبي ﷺ لأصحابه: (فَلَوْلَا أَنْ لا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِن عَذَابِ القَبْرِ الذي أَسْمَعُ منه ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بوَجْهِهِ، فَقَالَ: تَعَوَّذُوا باللَّهِ مِن عَذَابِ النَّارِ قالوا: نَعُوذُ باللَّهِ مِن عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: تَعَوَّذُوا باللَّهِ مِن عَذَابِ القَبْرِ قالوا: نَعُوذُ باللَّهِ مِن عَذَابِ القَبْرِ)[2].

(١) رواه مسلم برقم ٢٩٠١.
(٢) رواه مسلم ٤/ ٢٢٠٠.

وكان من دعائه ﷺ في آخر صلاته: (اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ)[1].

أمَّا المؤمن المطيع لله تعالى، فإن قبره يكون روضة من رياض الجنة، كما في الحديث أن المؤمن إذا أجاب الملكين بعد موته: (فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ)[2].

وعذاب القبر ونعيمه على الروح والبدن، وأحيانًا على الروح المنفصلة عن البدن.

ومن أسباب عذاب القبر:

* النميمة: وهي نقل الكلام على جهة الإفساد.
* عدم التنزُّه من البول.
* الغيبة: وهي الكلام في المسلم بما يكره حال غيابه.
* الزنى.
* أكل الربا.

ومن أسباب النجاة من عذاب القبر: الجد في طاعة الله وترك معاصيه، وقراءة سورة تبارك وحفظها.

د- البعث والحشر:

البعث: هو خروج الأموات من قبورهم بعد النفخة الثانية، فتعود

(١) رواه مسلم ١/ ٤١٢.
(٢) رواه أحمد ٤/ ٢٨٧، وأبو داود ٤/ ٢٤٠.

أرواحهم في أجسادهم، ويخرجون من قبورهم سراعًا، فيقول الكفار: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾[يس: ٥٢]، ويقول المؤمنون: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾[يس: ٥٢]، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ(١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٦].

فيساقون إلى المحشر حفاةً عراة ليس معهم شيء، وفي ذلك اليوم تدنو الشمس من الخلائق وتطهرهم، ويكونون في العرق على قدر أعمالهم، حتى إن منهم من يلجمه العرق إلجاما.

وفي ذلك اليوم تشخص الأبصار، وينشغل كل إنسان عن غيره حتى تذهل المرضعة عن رضيعها، فيشيب الولدان، وتقبض الأرض، وتطوي السماء، وتنسف الجبال، وتفجر البحار، وتكور الشمس، ويخسف القمر، وتتناثر النجوم، كما دل على ذلك الكتاب والسنة الصحيحة.

ويصيب الناس من البلاء والشدة في هذا اليوم على حسب أحوالهم، وأما أهل الإيمان المطيعون للرحمن فإنهم لا يحزنهم الفزع الأكبر؛ بل تتلقاهم الملائكة ويكونون في ظل عرش الرحمن.

هـ- الحساب والجزاء:

المراد بالحساب والجزاء: أن يوقف العبد بين يدي الله تعالى وتعرض عليه أعماله، خيرها وشرها، ويحاسب ويجازى عليها.

فالمؤمن يأخذ كتابه بيمينه، والكافر تلوى يده ويأخذه كتابه بشماله من وراء ظهره، قال الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ

جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[الأنعام: ١٦٠]، **وقال تعالى:** ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾[الانشقاق ٧: ١٢].

وسيسأل الإنسان عما عمله في دنياه، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: (لاَ تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ)[1].

ويسأل العبد عن النعيم الذي هو فيه، وعن العهود والمواثيق التي أبرمها، وعن سمعه وبصره وقلبه.

وأول ما يحاسب عليه الصلاة من حقوق الله، والدماء من حقوق الناس، وفي الحساب تشهد على الإنسان أعضاؤه قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[يس: ٦٥].

ز- الجنة والنار:

الجنة والنار حقٌّ لا ريب فيهما وهما المآل الأبدي للخلق، فالجنة دار النعيم لأهل الإيمان، والنار دار العذاب لأهل الكفر والعصيان.

والجنة والنار موجودتان الآن ولا تفنيان أبدًا.

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[البقرة: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[ال عمران: ١٣١].

---

(١) رواه الترمذي ٢/ ٢٩٠.

وفي الحديث يقول النبيُّ ﷺ: (**إذا صارَ أهْلُ الجَنَّةِ إلى الجَنَّةِ، وأَهْلُ النَّارِ إلى النَّارِ، جِيءَ بالمَوْتِ حتَّى يُجْعَلَ بيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنادِي مُنادٍ: يا أهْلَ الجَنَّةِ لا مَوْتَ، ويا أهْلَ النَّارِ لا مَوْتَ، فَيَزْدادُ أهْلُ الجَنَّةِ فَرَحًا إلى فَرَحِهِمْ، ويَزْدادُ أهْلُ النَّارِ حُزْنًا إلى حُزْنِهِمْ**)[1].

والجنة فيها من النعيم ما بشَّر الله تعالى به عباده حيث قال في الحديث القدسي: (أَعْدَدْت لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْن رَأَتْ وَلا أُذُن سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْب بَشر) وقال ﷻ: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[السجدة: ١٧].

وأفضل نعيم أهل الجنة النظر إلى وجه الله تعالى، قال ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢-٢٣].

وأما النَّار ففيها من أنواع العذاب ما لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى، وقد جاء ذكر كثير من أنواعه في الكتاب والسنة، وحذرنا الله تعالى منها، قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[التحريم: ٦].

٧- ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

للإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة، منها:

* الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء ثواب ذلك اليوم ونعيمه.

* الرهبة من فعل المعصية خوفًا من عذاب ذلك اليوم.

* تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها[2].

(١) رواه البخاري ٧/ ٢٠٠، ومسلم ٤/ ٢١٨٩.

(٢) انظر في الكلام عن الإيمان باليوم الآخر: القيامة الكبرى والصغرى للدكتور عمر الأشقر،

٦- الإيمان بالقدر:

القدر: هو تقدير الله للكائنات قبل كونها.

أ- المراد بالإيمان بالقدر:

المراد بالإيمان بالقدر: الاعتقاد الجازم بأنَّ الله تعالى خالق كل شيء وربه ومليكة، وأنَّه تعالى هو الذي قدر المقادير خيرها وشرها، وهو الذي خلق الضلالة والهداية، والشقاوة والسعادة، وأن الآجال والأرزاق بيده سبحانه وتعالى، قال ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

ب- مراتب القدر:

الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأربع مراتب هي:

- **العلم**: أي علم الله الشامل المحيط بكل شيء أزلاً وأبدًا، قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[الطلاق: ١٢].

- **الكتابة**: أي أن الله تعالى كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[الحج: ٧٠].

- **المشيئة**: أي مشيئة الله النافذة في جميع الكائنات، فلا يكون شيء إلا بمشيئته، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾[القصص: ٦٨].

الإيمان لمحمد نعيم ياسين، نبذة في العقيدة الإسلامية للشيخ محمد العثيمين ص ٢٩-٣٥، معارج القبول ٢/ ٦٨١-٨٨٠، حادي الأرواح، والروح لابن القيم.

- **الخلق**: أي أن الله تعالى خالق كل شيء من الذوات والصفات والأفعال، قال تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[الزمر: ٦٢].

ج- مشيئة العبد واختياره:

للعبد مشيئة واختيار كما دلَّ على ذلك الشرع والواقع، أما دليل الشرع فقوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾[التكوير: ٢٨].

وأما الواقع فإنَّ كل إنسان يعلم أن له مشيئةً وقدرة بهما يفعل وبهما يترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي والقيام والقعود، وبين ما يقع بغير مشيئته وإرادته كالسقوط والمرض.

ومشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى وقدرته، لقول تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[التكوير: ٢٩].

د- الأخذ بالأسباب:

الأخذ بالأسباب المأذون بها شرعًا لا يتعارض مع الإيمان بالقدر والتوكل على الله تعالى؛ بل هو من تمام الإيمان بالقدر؛ لأن الأسباب المشروعة أمر الشرع بالأخذ بها وفعلها.

والناس في الأخذ بالأسباب طرفان ووسط:

فطرف يأخذ بالأسباب ويعلق قلبه عليها، وهذا فيه شرك.

وطرف يلغي الأسباب ويعتقد أنَّه لا أثر لها، وهذا خلل في العقل.

والوسط هو أن تأخذ بالأسباب وتتوكل على مسبب الأسباب وهو الله تعالى، فتأخذ بالأسباب وتعلق قلبك بالله وحده.

فمثلاً في قتال الأعداء يجب عمل الأسباب وأخذ الاحتياطات وإعداد العدة لمواجهتهم كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم

مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال: ٦٠]، وكما كان ذلك هدْي النبي ﷺ، ولا يجوز مواجهتهم بدون إعداد العدة بحجة التوكل على الله والإيمان بالقدر.

هـ- النهي عن الخوض في القدر:

نهى الإسلام عن الخوض في مسائل القدر والتعمق في بحث دقائقه؛ لأنَّ ذلك يوقع في الحيرة والشك والضلال، وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ خرج ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، فكأنما تفقَّأ في وجهه حَبُّ الرمان من الغضب فقال: (**مَا لَكُمْ تَضْرِبُونَ كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ بِهَذَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**)[(١)].

فالواجب الوقوف حيث جاءت به النصوص الشرعية وعدم تعديها.

و- ثمرات الإيمان بالقدر:

- الحث على العمل والجد والسعي والإقدام بعزم ويقين؛ لإيمان العبد بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

- قوة الاعتماد على الله تعالى والتوكل عليه.

- القضاء على الحقد والحسد والكبر والغرور.

- الراحة والطمأنينة والصبر على ما يصيب المؤمن كما قال ﷺ: (عجبا لأمر المؤمن إنَّ أمره كله له خير وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)[(٢)].

- تنمية خُلُق العفو والتسامح[(٣)].

(١) رواه أحمد ٢/ ١٧٨.

(٢) رواه مسلم ٤/ ٢٢٩٥.

(٣) انظر في الكلام على الإيمان بالقدر: معارج القبول ٣/ ٩١٧-٩٥٥، ونبذة في العقيدة الإسلامية ص٣٧-٤١، القضاء والقدر للدكتور عبد الرحمن المحمود.



الإحسان

١- حقيقة الإحسان ومرتبته:

الإحسان هو أن يعبد المؤمنُ ربَّه في الدنيا كأنَّه يراه وينظر إليه في حال عبادته، فيستشعر المؤمن مراقبة الله له في جميع أحواله.

وللإحسان مرتبة واحدة مذكورة في تفسير النبي ﷺ للإحسان بقوله: (**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**)[١].

٢- منزلة الإحسان وثمراته:

والإحسان أعلى مراتب الدين، وأهله هم أهلُ محبَّة الله تعالى كما قال ﷻ: ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[المائدة: ٩٣].

وللإحسان ثمرات عظيمة منها:

أ- خشية الله تعالى والخوف منه وهيبته وتعظيمه.

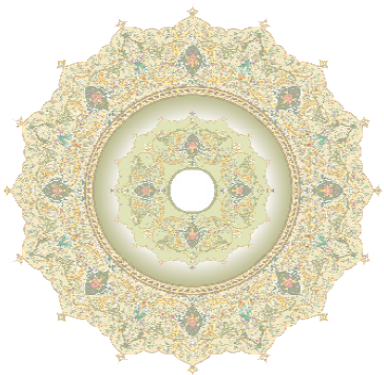
(١) رواه مسلم ١/ ٣٦-٣٧.

ب- النصح في العبادة وبذل الجهد في تحسينها وإكمالها.

ج- استحضار مراقبة الله ومشاهدته.

د- إخلاص الأعمال لله ﷻ.

هـ- الفوز بمحبة الله تعالى ومعيته بالنصرة والتأييد كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[النحل: ١٢٨][1].



(١) انظر جامع العلوم والحكم ١/ ٧٣-٧٧، معارج القبول ٣/ ٩٩٨ -١٠٠٢.



نواقض الإسلام

إن كلمة التوحيد لا تفيد صاحبها في النجاة من النار ودخول الجنة بمجرد قولها؛ بل لا بدَّ من تحقيق شروطها وعدم الإتيان بما يناقضها.

وللإسلام نواقض كثيرة نذكر هنا عشرة أجمع عليها العلماء وهي:

١- **الشرك بالله**، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾[النساء: ١١٦].

٢- **من جعل بينه وبين الله وسائط** يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم.

٣- **من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم** أو صحح مذهبهم.

٤- **من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه**، وحكم غيره أحسن من حكمه.

٥- **من أبغض شيئا مما جاء به الرسول** ﷺ ولو عمل به.

٦- **من استهزأ بشيء من دين الله** أو ثوابه أو عقابه.

٧- **السحر** سواء فعله أو رضي به.

٨- **مظاهرة المشركين** ومعاونتهم على المسلمين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[المائدة: ٥١].

٩- **من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج من شريعة محمَّد** ﷺ وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى.

١٠- **الإعراض عن دين الله**، لا يتعلمه ولا يعمل به، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[السجدة: ٢٢][(١)].

ما ينافي كمال التوحيد:

هناك أمور تنافي كمال التوحيد حرمها الإسلام؛ لأنَّها قد تكون وسيلة إلى الشرك، ومن ذلك ما يلي:

١- **الحلف بغير الله**، قال النبي ﷺ: (**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**)[(٢)].

٢- **قول الشخص لغيره ما شاء الله وشئت**، كما في الحديث أنَّ رجلا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال النبي ﷺ: (**أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلاً بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**)[(٣)].

ومثله قول: هذا من الله ومنك، أو أنا بالله وبك، أو مالي إلا الله

(١) انظر رسالة نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب.
(٢) رواه الترمذي برقم ١٥٣٥، وأحمد ٢/ ٦٩ وسنده صحيح.
(٣) رواه أحمد ١/ ٢١٤، ٢٨٣ وهو حديث صحيح.

وأنت، أو أنا متوكل على الله وعليك، ونحو ذلك.

٣- **تعليقُ التمائم** واعتقاد أنها سبب لدفع البلاء أو رفعه، قال النبي ﷺ: (**مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ**)[١].

٤- **التَطُّير**: وهو التشاؤم بالطيور والأيام والأرقام والأشخاص والأماكن وغير ذلك، وقد قال النبي ﷺ: (**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**)[٢].

٥- **اتخاذُ القبور مساجد** بالصلاة فيها أو بناء المساجد عليها، كما قال النبي ﷺ: (**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**)[٣].

٦- الغلوُّ والمبالغةُ في مدح النبي ﷺ ورفعه فوق منزلته كما قال النبي ﷺ: (**لا تُطْرُونِي كَمَا أطرت النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**)[٤].

والمقصود أنَّ الإسلام نهى عن كل قول أو فعل أو اعتقاد يُخلُّ بكمال التوحيد، وجعل الاحتياطات الكثيرة لحماية جناب التوحيد عن كل ما يكدر صفاءه أو يخدش بناءه.

وصلى الله على نبيِّنا محمَّد ﷺ.

(١) رواه أحمد ٤/ ١٥٦ والحاكم ٤/ ٤١٧ وهو حديث صحيح.
(٢) رواه أبو داود برقم ٣٩١٠، والترمذي برقم ١٦١٤ وصححه.
(٣) رواه البخاري ١/ ٤٤٤، ومسلم واللفظ له برقم ٥٣٢.
(٤) رواه البخاري ٦/ ٣٥٥.

صفات الداعية

برنامج الدبلوم المستوى الأول


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أمَّا بعد

فهذا منهج صفات الداعية المقرر لدورات الأئمَّة والخطباء، ويهدف إلى:

١- معرفة أهمّ صفات الداعية إلى الإسلام.

٢- معرفة أهمّ أساليب الدعوة إلى الإسلام.

٣- الاقتداء بالنبي ﷺ في طريقة دعوته إلى الإسلام.

٤- معرفة أهمية الدعوة إلى الإسلام وبيان فضل الدعاة.

والمقرر مختار ليناسب الملتحقين بالدورات من حيث المحتوى وسهولة مفرداته، ومن حيث اشتماله على أهمّ ما يحتاج الطالب معرفته في هذه المرحلة من صفات الداعية إلى الإسلام وأخلاقه وطريقة دعوته.

وصلى الله وسلم على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين



المدخل

ويتضمَّن:

١ – تعريف الصفات.

٢ – تعريف الداعية.

٣ – حاجة الأمَّة إلى الدعوة.

أولًا: تعريف الصفات

الصفات جمع صفة.

والصفة: هي الاسم الدَّالُّ على بعض أحوال الذات، وذلك نحو: طويل، وقصير، وعاقل، وأحمق، وغيرها[1].

والصفات التي نعنيها: هي ما يتحلى بها الداعية ويتسم بها من خلالٍ، سواءً أكانت صفات أساسية أم صفات لازمة.

ثانيًا: تعريف الداعية

الداعية هو: كل مسلم مكلَّف، اشتغل بهداية الناس وبدلالتهم على الله.

والداعية هو وارث النبي ﷺ في مَهمَّته الإرشادية، والقائم مقامَه في إبلاغ دين الله.

وكان النبي ﷺ يرشد المسلمين إلى ذلك، فقال لأصحابه ﷺ: (ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب)[2].

وعن عبد الله بن عبَّاس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن سمع منكم)[3].

---

(١) التعريفات، الجرجاني، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة ١٧٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: ليبلغ العلم الشاهد الغائب، ١/ ٤٠، رقم ١٠٥.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٢١ رقم ٢٩٤٧، وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقال أيضًا: والمراد أن الصحابة يسمعون ويتعلمون من إمامهم معلم الخير والتابعون لهم يسمعون منهم ما تعلموا، ثم يسمع منهم تلاميذهم، وهكذا، أداء للأمانة وإبلاغًا للرسالة ا.ه انظر: شرح العلامة أحمد شاكر على المسند ٤/ ٣٤٠.

والدعاة إلى الله: هم سفراء الأمَّة المؤمنة إلى الناس، يحملون أمانتها، ويبلغون رسالتها، والناس لهم تبع[١].

ويدخل في تعريف الداعية في الاصطلاح كلٌّ مِن:

(الرسول والعالم المتخصص وطالب العلم والمسلم العادي).

ومن يستقرئ نصوص الكتاب والسنَّة يجد أنها توجب الدعوة على هؤلاء جميعًا، لكن هذا الواجب يتسقط، فتجب الدعوة على الرسول وجوبا تختلف درجته عن وجوبه على العالم، وكذا عن طالب العلم، وكذا عن المسلم العادي، أو عامَّة الناس[٢].

تحقيقًا لقوله ﷺ: (بلغوا عني ولو آية)[٣].

فبيان دعوة الرسول ﷺ وغيره من البشر، من صلحاء الأمَّة ودعاتها، ما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[٤].

يبين ﷺ أنَّ أتباع الرسول هم الدعاة إلى الله، وهم أهل البصائر.

وبيان دعوة غير الرسول من البشر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٥]. ففي هذه الآية الكريمة: التنويه بالدعاة، والثناء عليهم، وأنَّه لا أحد أحسن قولاً منهم[٦].

---

(١) للاستزادة انظر: أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمَّد السيد الوكيل ٧١، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد غلوش ٤٣٢.

(٢) انظر مرشد الدعاة، محمَّد نمر الخطيب ١٠٥ وما بعدها.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل،٤/ ١٧٥رقم ٣٤٦١.

(٤) [سورة يوسف: ١٠٨].

(٥) [سورة فصلت: ٣٣].

(٦) انظر: الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ١٣ -١٩.

إن من رحمة الله بالبشر أنَّه كلما انحرفت البشرية عن المنهج الصحيح أرسل الله إليهم نبيًّا يجدد لهم أمر دينهم ويردهم إلى الجادة القويمة، وهكذا جاءت الرسالة الخاتمة. قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

وبعد طي سجل الرُّسل بمحمَّد ﷺ وانقطاع الوحي من السماء جعل الله هذه المهمة إلى أتباعه عليه الصلاة والسلام.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2].

وعلى هذا فالأمَّة المسلمة مسؤولة عن هداية البشر، ومستشهدة وموقوفة؛ لتحاسب عن تبليغ الرسالة إلى البشرية كما أن الأنبياء محاسبون.

ومَهمَّة الدعاة الأخذ بالأسباب وليس لهم أن يحسبوا للنتائج حسابًا، فالنتائج بيد الله. فالذي خلق الأسباب هو الذي خلق النتائج والثمار، وهم كمن يتزوج لينجب ذرية قد يهبه الله إياها وقد يحرمه إياها[3].

وينبغي على الداعية أن لا يفكِّر هل سيقبل هذا المدعو دعوته أم سيرفضها؛ بل عليه التفكير في مسؤولية الدعوة، وأما أمر قبول المدعو للدعوة فذلك متروك لله الواحد القهار. فلو آمن الناس بالدعوة لحازوا سعادة الدنيا والآخرة، ولنال الداعية موفور الأجر من الله سبحانه على

(١) [سورة المؤمنون: ٤٤].
(٢) [سورة البقرة: ١٤٣].
(٣) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ٧٧.

ما قام به من تبليغ الرسالة وأداء الأمانة، ولو جحد بها الناس لقامت بذلك حجة الله عليه، ولتحلل الداعي عند الله من المسؤولية؛ حيث لم يألُ جهدًا بدوره في تأديتها.

وقد حكى القرآن الكريم ردًّا كبيرا من الذين طلب إليهم أن يعرضوا الدعوة على أناس قد تحقق من مواقفهم الماضية أنهم لا يؤمنون أبدًا، إنه يلقي ضوءًا ساطعًا على نوعية مسؤولية الداعي، ويحدد موقفه تحديداً واضحًا.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1].

ثالثًا: حاجة الأمة إلى الدعوة:

الناس على مختلف أجناسهم وألوانهم وأزمانهم، وقوتهم وضعفهم، بحاجة ماسة إلى الدعوة الإسلامية، وبحاجة إلى دين الله القويم الذي ينظم حياتهم سواء ما يتعلق منها بالخالق، أم بأحد من المخلوقين.

وقد خلق الإنسان ويعتريه جوانب نقص كثيرة، فليس كاملا للعقل، ولا للحواس، ومن ثم فإن مداركه ومعارفه مهما توسعت آفاقها فإنها تبقى قاصرة محدودة؛ ولذلك أرسل الله سبحانه الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنزل الكتب السماوية لتنهض بهذا الإنسان وتسدد جوانب النقص فيه، بل وتخرجه من الظلمات إلى النور.

---

(١) [سورة الأعراف: ١٦٤]. وللاستزادة انظر: منهج الدعوة إلى الله، أمين حسن إصلاحي، تعريب: سعيد الأعظمي الندوي، ونور عالم الندوي ١١٠ - ١١١.

وحاجة البشر إلى الدين من مستلزمات حياتهم، ومن متممات وجودهم وخلقهم، وحاجتهم إلى الدين أشد من حاجتهم إلى الهواء والماء[1].

وهذا العصر الذي نعيش فيه من أشد العصور فقرا إلى الاتصال بالخالق سبحانه، والانصياع إلى الدين، ذلك أن الرقي العقلي المحض الذي بلغته الإنسانية يجعل مستقبلها على حافة الهاوية إن لم يقترن هذا الرقي باكتمال روحي معتمد على الله تعالى ورسوله ﷺ.

فالعالم بحاجة إلى أن يعرف الله كما عرف نفسه إلى عباده في القرآن الكريم، وبحاجة إلى أن يعرف نبيَّه محمَّدًا ﷺ، وبحاجة إلى أن يدرك جملة الحقائق التي جاء بها الإسلام من عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات.

فإن هذه الحقائق هداية نافعة له، والعمل بها مجتمعة يحصل خيرا جزيلا وينفي شرًّا كثيرًا[2].

ولا تقتصر الحاجة عند غير المسلمين إلى الدعوة فحسب، بل إن المسلمين أنفسهم بحاجة ماسة أيضًا إلى الدعوة؛ ليجتذب غير المسلم للدخول في الإسلام، وليترقى المسلم في درجات الإسلام. قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3].

(١) انظر: مرشد الدعاة، محمَّد نمر الخطيب ٣٨ وما بعدها.
(٢) انظر: مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، محمَّد الغزالي ٢٢ وما بعدها.
(٣) [سورة البقرة: ٢٥٧].

قال ابن القيِّم رحمه الله: (حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء، وحاجتهم إلى الشريعة أعظم من حاجتهم إلى التنفس والطعام والشراب؛ لأنَّ غاية ما يقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن، وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة، وهلاك الأبد، وشتان بين هذا، وهلاك البدن بالموت، فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول ﷺ، من القيام به، والدعوة إليه، والصبر عليه، وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه، وليس للعالم صلاح بدون ذلك ألبتَّة)[1].

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: (ليس من الخافي على كل من له أدنى علم أو بصيرة أن العالم الإسلامي اليوم، بل العالم كله في أشد الحاجة إلى الدعوة الإسلامية الواضحة الجلية التي تشرح للناس حقيقة الإسلام، وتوضح لهم أحكامه ومحاسنه)[2].

ولما كان الخير ليس كائنًا متحركًا بذاته، ولكنَّه مفهوم يطبقه ويحمله ويدعو إليه مخلوق، كان لزاما لسيادة الحق أن يحمله دعاة ملخصون، ويوصلوه إلى من يحتاجون إليه، ويدافعون عنه إذا ما انتقص ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٣﴾ . ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾[4].

وحينما ختمت الرسالات برسالة محمَّد ﷺ فضلت الأمَّة المحمدية المسلمة على سائر الأمم؛ لقيامها بواجب الدعوة والأمر بالمعروف

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٢/ ٢.
(٢) من أقوال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في الدعوة، زياد محمَّد السعدون ٢٢.
(٣) [سورة المجادلة: ٢٢].
(٤) [سورة الأنعام: ٩٠].

والنهي عن المنكر، وعنايتها بها ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[1]. ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[2]. ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[3].

وعلى هذا كان لزاما من إيجاد دعاة يحملون هذا الإسلام إلى الآفاق، فما قام دين ولا انتصر مبدأ، أو سادت فكرة إلا بالدعوة[4].

وتبرز حاجة الأمة إلى الدعاة وتتأكد للأمور التالية:

١ - لقصور العقل عن استقلاله بمعرفة الحق.

٢ - لتعرض الأمة المسلمة إلى هجمات شرسة من أعدائها.

٣ - لحمل ميراث النبوَّة والإعذار أمام الله.

قصور العقل عن استقلاله بمعرفة الحقِّ والصواب:

إن العقل مهما اتسع أُفُقُه، وامتدت مداركه فإنَّه لا يستطيع بلوغ المغيبات، ومعرفتها على الوجه الصحيح -وهو معذور في ذلك -؛ لأنَّ مدارك الإنسان محدودة جدًّا، وقاصرة جدًّا. فمن أين للإنسان أن يعلم بعقله أن الله تعالى خلق جنة لمن أطاعه، وناراً لمن عصاه؟ ومن أين للإنسان أن يعلم بعقله الطاعة وكيفيتها، وأنواعها، وشرائط صحتها،

---

(١) [سورة يوسف: ١٠٨].

(٢) [سورة أل عمران: ١١٠].

(٣) [سورة أل عمران: ١٠٤].

(٤) انظر: الدعوة إلى الله الرسالة - الوسيلة - الهدف، د. توفيق الواعي ٤١ وما بعدها.

ومفسداتها؟ ومن أين له أن يعلم بعقله حقيقة المعصية وأنواعها؟ ولماذا كان هذا مطلوبًا، وكان هذا ممنوعًا؟

كل هذه الأمور لا يستطيع العقل أن يصل إليها، أو أن يدركها وحده[١].

كما إن دعوى العقل في إمكانه الاستقلال بهداية الإنسان إلى ما يصلحه ويسعده دعوى باطلة ساقطة، لا وزن لها ولا واقع، وذلك لأننا رأينا الكثير من الأمم والشعوب لما فقدت هداية الوحي الإلهي لم تُغْنِ عنها هداية العقول شيئا، فضلَّت وهلكت، ومما قاله القرآن الكريم في هذا الموضوع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[٢].

وذلك لأن العقول لا تهتدي إلى معرفة كل ما ينفع الإنسان في حياته ليأخذ به، ولا إلى معرفة كل ما يضره في حياته كلتيهما ليجتنبه، وينجو مما يضره إلا في ضوء الشرع الإلهي.

فالعقول لا تعدو كونها آلة إدراك كحاسة العين التي هي آلة إبصار، والعين قطعا لا تبصر -مهما كانت سليمة وقوية - إلا في الضوء والنور، ولا يمكنها أن ترى وتبصر في الظلام أبدًا وفي أي حال من الأحوال[٣].

---

(١) انظر: مرشد الدعاة، محمَّد نمر الخطيب ٣٩ وما بعدها.

(٢) [سورة الأحقاف: ٢٦].

(٣) انظر: عقيدة المؤمن، أبو بكر جابر الجزائري ٢٨ وما بعدها.

تعرض الأمة المسلمة إلى هجمات شرسة من أعدائها:

في هذا العصر الذي نشط فيه الباطل وحشد حشوده، وجند جنوده، في محاولة لقطع الطريق على الحق، لا بدَّ من الكشف عن هذه الطاقات المادية والروحية واستثمارها، وإحياء هذه الملكات المعطلة، وإطلاقها في كل اتجاه؛ لتقول كلمتها في معركة حياة أو موت.

ولن يصل المسلم بالعقل الذكي وحده إلى ما يصبو إليه، ولن يحقق به النصر المأمول.

فكم من فلاسفة عباقرة كانوا في الحقيقة على مرمى حجر، لكنهم ضلُّوا وأضلُّوا.

وكم من قادة لا ينقصهم الاستعداد ولا التدريب، بل كانوا يملكون أسباب النصر، لكنهم لم يحققوه، وظل الطريق إليهم غائما؛ لأنهم جميعا لم يستمسكوا بالعروة الوثقى، ولم يصلوا طاقاتهم واستعداداتهم بالمدد الذي لا ينفد، وبالمصباح الذي لا ينفد زيته، ولا يخفت ضياؤه أبداً، ولا تغني عنه قوى الدنيا مجتمعة[1].

والأمَّة المسلمة تتعرض اليوم إلى هجوم شرس من كافَّة دول الإلحاد وجماعات الكفر وأرباب الزندقة: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[2]، وقد استعمل العدو في حربه للأمة المسلمة شتى الطرق، وأمكر الأساليب،

(١) نحو أسلوب أمثل للدعوة الإسلامية، د. محمود محمَّد عمارة ١٩ وما بعدها.

(٢) [سورة التوبة: ٣٢].

متوسلين بكل ما لديهم من أسلحة ومغريات، ولو أن بعض هذه الحملات، وبعض هذه الخطط وجهت إلى غير الإسلام، وإلى غير هذه الأمة لانتهت من الدنيا، وأصبحت أثراً بعدَ عين، ولكنه الدين الذي تكفَّل الله بحفظه[1].

وقد حان الوقت لنفسح الطريق إلى معرفة أوثق بديننا الحنيف عن طريق دعاة من طراز خاص، يمثلون الرائد الذي لا يكذب أهله.

إننا لا نحتاج إلى شرح جديد، فقد من الله تعالى علينا به واضحًا جليًّا، ولكننا في حاجة إلى دعاة صادقين مخلصين يذودون عن هذا الدين[2].

حمل ميراث النبوة والإعذار أمام الله:

عن كثير بن قيس، قال: كنت جالسًا عند أبي الدرداء ﷺ في مسجد دمشق، فأتاه رجل فقال: يا أبا الدرداء أتيتك من المدينة، مدينة رسول الله ﷺ لحديث بلغني أنك تحدث به عن النبي ﷺ. قال: فما جاء بك تجارة؟ قال: لا. قال: ولا جاء بك غيره؟ قال: لا. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ علْمًا سهَّل اللَّه لَه طَرِيقًا إِلَى الجنةِ، وَإِنَّ الملائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطالب الْعِلْمِ رِضًا بِما يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعالِم لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ منْ في السَّمَواتِ ومنْ فِي الأَرْضِ حتَّى الحِيتانُ في الماءِ، وفَضْلُ الْعَالِم عَلَى الْعابِدِ كَفَضْلِ الْقَمر عَلى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وإِنَّ الْعُلَماءَ وَرَثَةُ الأَنْبِياءِ وإِنَّ الأَنْبِياءَ لَمْ يُورِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وإِنَّما ورَّثُوا الْعِلْمَ، فَمنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحظٍّ وَافِرٍ)[3].

(١) مرشد الدعاة، محمَّد نمر الخطيب ١٥ وما بعدها.

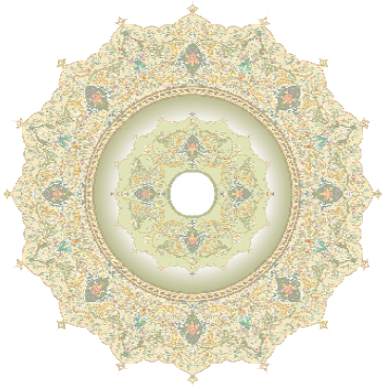
(٢) انظر: نحو أسلوب أمثل للدعوة الإسلامية، د. محمود محمَّد عمارة ٢٠.

(٣) أخرجه ابن ماجه في: المقدمة، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، صحيح سنن

فما الدعاة إلى الله عزَّ وجلَّ إلا الذين اقتفوا أثر رسول الله ﷺ في دعوة الأمم إلى الخير، وهداية البشرية إلى الصراط السوي، ويحسن بالداعية أن لا يفكر في أن الناس هل سيستمعون إلى دعوته ويقبلونها أم يرفضونها.

بل ينبغي عليه أن يبذل كل ما يستطيع من جهد لاستمالة الآخرين وجذبهم إلى نداء الله، وقد حكى القرآن الكريم رد كثير من الذين طلب إليهم أن يعرضوا الدعوة على أناس قد تحقق من مواقفهم الماضية أنهم لا يؤمنون أبدًا، إنه يلقي ضوءً ساطعًا على نوعية مسؤولية الداعي، ويحدد موقفه تحديدًا واضحًا.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1].



ابن ماجه، الألباني ١/ ٤٣ رقم ٢٢٣، وأخرجه الترمذي في أبواب: لعلم، باب: في فضل الفقه على العبادة، صحيح سنن الترمذي، الألباني٢/ ٣٤٢ رقم ١٨٣٥، وأخرجه أبو داود في كتاب: العلم، باب: فضل العلم، صحيح سنن أبي داود، الألباني ٢/ ٦٩٤ رقم ٣٦٤١

(١) [سورة الأعراف: ١٦٤]. وللاستزادة انظر: منهج الدعوة إلى الله، أمين حسن إصلاحي، تعريب: سعيد الأعظمي الندوي، ونور عالم الندوي ١١٠ – ١١.

الفصل الأول
الصفات الأساسية

الإيمان

الإيمان بالله ﷻ هو القاعدة الصلبة التي ينطلق من خلالها الداعية في ميدان دعوته وفي معترك حياته، فكلما كان إيمان الداعية قويًّا وعمليًّا كان نشاطه، وبذله وتضحيته في سبيل نشر دعوته أكثر.

فالإيمان جوهرة نفيسة ومنحة ربانية على عباده السعداء كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[2].

---

(١) [سورة الحجرات: ٧].

(٢) [سورة يوسف: ١٠٣].

إنَّ الإيمان الذي نطالب به الداعية هو ذلك الإيمان الذي اعتقده النبيُّ الكريم ﷺ وصحابته ﷺ، وهو التصديق الجازم بأنَّ الله سبحانه ربُّ كل شيء ومليكه وهو المستحق وحده للعبادة وهو المتصف بصفات الجلال والكمال اللائقة بجلاله وكبريائه.

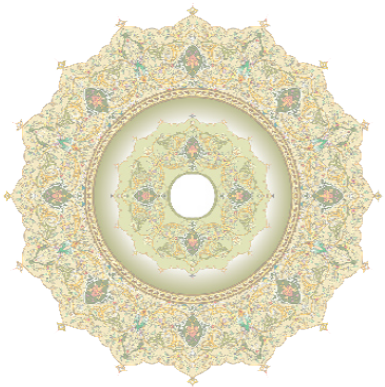
وهو الإيمان الذي استشعره حارثة بن سراقة ﷺ، ففي الحديث: (بينما رسول الله يومًا في طريق من طرق المدينة استقبله شاب من الأنصار، يقال له حارثة. فَقَالَ لَهُ ﷺ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، فَقَالَ: انْظُرْ مَا تَقُولُ، فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟ فَقَالَ: قَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لَيْلِي، وَاظْمَأَ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا. فَقَالَ: يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ. فقال: يا رسول الله أدعُ الله لي بالشهادة، فدعا له رسول الله ﷺ فقتل يوم بدر شهيدًا فجاءت أمُّه إلى رسول الله ﷺ وهي تبكي وتقول: يا رسول الله إنَّك تعلم منزلة حارثة مني. فإن يك في الجنة أصبر. فقال لها رسول الله ﷺ أجنة هي؟ إنها جنان، وإنَّ ابنك أصاب الفردوس الأعلى، فذهبت وهي تقول: بخ بخ يا حارثة)[1].

إن الإيمان هو الدافع المحرك للقوى الكامنة في نفس الإنسان.

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد، باب: من أتاه سهم غرب فقتله، ٣/ ٢٧١ - ٢٧٢ رقم ٢٨٠٩، وأخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٢٤ رقم ١٢٢٧٤، وأخرجه الترمذي في أبواب: تفسير القرآن، باب: تفسير سورة المؤمنون. انظر: صحيح سنن الترمذي، الألباني ٣/ ٧٩ رقم ٣٤٠٠، وللاستزادة انظر: الدعوة إلى الإسلام وأركانها، أحمد عز الدين البيانوني ٤٤-٩٢.

فالإيمان بالله يجعل المؤمن في شوق دائم للعمل بما يرضيه، ويحرك في قلبه عوامل الخير ليحقق غايته، ويحبب إليه العبادة بالشكل الذي يرضاه ويتقبله[١].

فإنَّه بقدر إيمان الداعية بدعوته، وتفهمه لضرورتها وحاجة الناس إليها، ينجح في دعوته، وبقدر ضعف هذا الإيمان، والنظر إليها بأنَّها مهمة ثانوية يتهاون فيها ويتكل فيها على غيره، ويتعثر في طريقه ويعطيها من فضل وقت[٢].



(١) انظر: أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمَّد السيد الوكيل ٧١، من صفات الداعية، محمَّد الصباغ ١٣.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمَّد أبو الفتح البيانوني ١٥٥.

قوة الصلة بالله

الداعية مرشد إلى الخير وموجه نحو الهدى، وكل هدفه: تعريف الناس بخالقهم وبدينهم ليفوزوا بسعادة الدارين، وعليه أن يمتِّن صلته بالله؛ لتكون دعوته نابعة في قوله وفعله.

فالاجتهاد في الطاعات والتقرب بها إلى الله ﷻ من أقوى أسلحة الدعاة، ذلك لأن للطاعات نورا ينعكس على وجوههم، ووقارًا وهيبة يدعوان الناس إلى احترامهم وتقديرهم.

وأقرب القربات وأعظم الطاعات التي تجعل صلة الداعية قوية بمن يدعو الناس إليه، الواجبات المفروضة كالصلوات الخمس والزكاة وصيام شهر رمضان وحج بيت الله الحرام، ثم تكون النوافل يجبرها الكسر ويكمل بها النقص ويتقرب بها إلى رب السموات والأرض، فيصفو القلب وتزكو النفس، وتطهر الجوارح، فلا ينظر عندها الداعية إلا إلى ما يحل له، ولا يسمع إلا لما يستفيد منه، ولا يمد يده إلا إلى الحلال، ولا عيش إلا في الطاعة والرضوان.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلي عبد ي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه. وما يزال عبد ي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها. ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنَّه...)[1].

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: التواضع، ٤/ ٢٤٣ - ٢٤٤ رقم ٦٥٠٢.

وكان إمام الدعاة قدوتنا محمَّد ﷺ يجد راحته وقرَّة عينه في الصلاة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصَّلاة)[١].

ويقول ﷺ: (يا بلال أرحنا بالصلاة)[٢].

فالصلاة استرواح وخلوص من مشاغل الحياة وعنائها؛ ليقف الداعية بين يدي الله في خشوع وخضوع وركوع وسجود، والصلاة مصدر متجدد للطاقة الروحية والزاد، وقد توزعت أوقاتها على سائر ساعات الليل والنهار؛ لمواصلة التزود وتجديد الرصيد من الزاد، وقد يسَّر الله أداءها في كلِّ الأحوال والأوقات في السلم والحرب، في السفر والإقامة، في الصحة والمرض، وهذا من فضل الله ورحمته جلَّ جلاله.

ولقد كان رسول الله ﷺ أتقى المسلمين وأخشاهم لله عزَّ وجلَّ وكان يجتهد في العبادة اجتهادًا شديدًا.

عن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ يصوم حتى تقول: لا يفطر، ويفطر حتَّى نقول: لا يصوم)[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله، إذا صلى، قام حتى تفطر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخَّر؟ فقال: «يا عائشة أفلاً أكون عبدًا شكورًا؟)[٤].

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب: عشرة النساء، باب: حب النساء، صحيح سنن النسائي، الألباني ٣/ ٨٢٧ رقم ٣٦٨٠

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٣٦٤ رقم ٢٣١٣٧، وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات، الموسوعة الحديثية ٣٨/ ١٧٨ - ١٧٩.

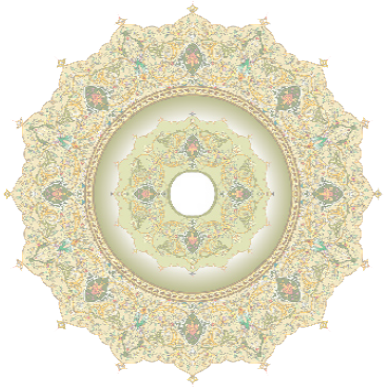
(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الصيام باب صيام النبي ﷺ في غير رمضان ٢/ ٨١١ رقم ١١٥٧.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: إكثار الأعمال، والاجتهاد في

وعن مطرف عن أبيه ﷺ قال: (أتيت النبيَّ ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل يعني من البكاء)[1].

وكان ﷺ لا يترك صلاة الليل في حضر ولا سفر، وكان يتصدق بكل ما عنده ولا يبقي لنفسه شيئًا.

لهذا كان الاجتهاد في الطاعات، والتنافس في الخيرات من أبرز سمات الدعاة إلى الله؛ حيث تكون الصلة وثيقة بينهم وبين بارئهم، فالصَّلاة معراجهم إلى الله، والصوم جنة من النَّار، والصدقة تطفئ غضب الربِّ[2].



العبادة ٤/ ٢١٧٢ رقم ٢٨٢٠.

(١) أخرجه النسائي في كتاب: السهو، باب: البكاء في الصلاة، صحيح سنن النسائي، الألباني ١/ ٢٦٠ رقم ١١٥٦، وأخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: البكاء في الصلاة، صحيح سنن أبي داود، الألباني ١/ ١٧٠ رقم ٩٠٤.

(٢) انظر: أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمَّد السيد الوكيل ٨٥ – ٨٦، مرشد الدعاة، محمَّد نمر الخطيب ٢١٥ وما بعدها.

الإكثار من ذكر هادم اللذات وقصر الأمل

ينبغي على الداعية أن يعي أنَّه لا يعيش للدنيا، لكنَّه يعيش في هذه الدنيا ليكسب عملاً صالحا يقربه من الله سبحانه، ويتذكر وصية النبيِّ الكريم ﷺ لعبد الله بن عمر رضي الله عنه، حينما أخذ بمنكبه وقال: (كن في الدنيا كأنَّك غريب أو عابر سبيل وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه يقول: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)[1].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (خطَّ النبي ﷺ خطًّا مربعا، وخطَّ خطًّا في الوسط خارجًا منه، وخط خُططًا صِغارًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال: هذا الإنسان؛ وهذا أجله محيط به. أو قد أحاط به. وهذا الذي هو خارج أملُه، وهذه الخطط الصغار لأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا)[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (خطَّ النبي ﷺ خطوطًا فقال: هذا الأمل وهذا أجله، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب)[3].

وقد حثَّ النبيُّ الكريم ﷺ عموم الأمَّة بالإكثار من تذكر الموت، وأنَّ الدار الخالدة هي الدار الآخرة، فليقدم لها ما يجعلها عامرة بالخير. لا سيِّما الداعية إلى الله فينبغي عليه أن يتذكر دائما أن مدَّة بقائه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق. باب: قول النبي ﷺ: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» ٧/ ٢٩رقم ٦٤١٦.

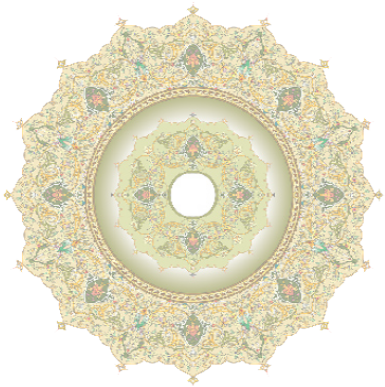
(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: في الأمل وطوله ٧/ ٢١٩ رقم ٦٤١٧.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب في الأمل وطوله ٧/ ٢٢٠ رقم ٦٤١٨.

في هذه الدنيا ليست طويلة، وأن الخير كلَّ الخير يكمن في إدخال السعادة على الناس بهدايتهم إلى الله سبحانه، ودلالتهم إلى الرشاد.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أكثروا ذكر هادمِ اللذات)[1].

إنَّ إكثار ذكرِ هادم اللذات يعطي الداعية شحنة كبيرة ليستغل ساعات ليله ونهاره، ويسعى حثيثًا في نشر الخير للغير، فإنَّ هداية المستجيب الواحد خير مما طلعت عليه الشمس.



(١) أخرجه الترمذي في أبواب: لزهد، باب: ما جاء في ذكر الموت، صحيح سنن الترمذي، الألباني ٢/ ٢٦٦ رقم ٢٤٢٣.

الإخلاص

الإخلاص في اللغة، هو: الصفاء من الكدر والشوائب[١].

كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾[٢].

وفي الاصطلاح: هو التبرِّي عن كل ما دون الله تعالى[٣].

وقيل هو: استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن. وقيل هو: إفراد الحق سبحانه بالتعبُّد في الطاعة. وقيل هو: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين.

وقيل هو: التوقِّي من ملاحظة الخلق حتَّى عن نفسك.

وقيل هو: نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق[٤].

وقيل هو: تصفية العمل من كل شوب[٥].

وقيل هو: تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفائه[٦].

والإخلاص: روح كل عمل، والأعمال التي يستعظمها الناس لا وزن لها عند الله عزَّ وجلَّ إذا فقدت هذه الروح[٧].

---

(١) مختار الصحاح، الرازي ١٨٤، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المقري الفيومي ١/ ٢٢.

(٢) [سورة النحل: ٦٦].

(٣) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق: محمَّد سيد كيلاني ١٥٤ – ١٥٥.

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، تحقيق: محمَّد حامد الفقي ٢/ ٩١.

(٥) المرجع السابق ٢/ ٩٢

(٦) التعريفات، الجرجاني، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة ٣٤.

(٧) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، السيد جلال الدين العمري، تعريب: محمَّد أجمل

والإخلاص هو: روح الدين، ولباب العبادة، وأساس أي داع إلى الله، فإذا غاض هذا المعنى أو تضاءل لم يبق هنالك ما يستحق الاحترام لا في الدنيا ولا في الآخرة[١].

والإخلاص أمر في أعماق القلب، لا يطلع عليه أحد إلا الله تبارك وتعالى، ولكنَّه يتجلى في أمور عديدة، وثمرته تبدو واضحة في مجال الدعوة.

ومن هنا نرى الفرق واضحًا بين رجلَين تساويا في أمور كثيرة، ولكنهما اختلفا في درجة الإخلاص.

يتجلَّى الإخلاص عند الداعية الصادق في كونه لا يريدُ من دعوته إلا وجه الله تعالى، فلا يريد أن يحظى بمكانة اجتماعية مرموقة، ولا يهمه كثيرا أن يكون مرفوعا، أو أن يكون مغموراً بين الناس ولا يبالي بنظرة الناس ولا بثنائهم، ولا يسعى إلى كسب إعجابهم ومديحهم، ولا يقصد من دعوته كسب المال الوفير.

ويتجلى الإخلاص في الداعية في أن يسرَّ إذا تحقق الخير على يدي غيره، كما يسر لو تحقق على يديه[٢].

وعلامة الإخلاص: الانفعال بالدعوة والتحمس لها، وبذل أقصى الجهد في تبليغها، ذلك لأنَّ من أخلص لشيء أعطاه كل ما يملك، فماله ووقته وجهده وفكره، وكل إمكاناته لا بد أن تكون كلها في خدمة

أيوب الإصلاحي ٣٥٦.

(١) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، محمَّد الغزالي ٢٠٢.

(٢) انظر: من صفات الداعية، محمَّد الصباغ ٤٤- ٤٥، من ركائز الدعوة، د. مجدي الهلالي ٤٧.

الدعوة وتحت تصرفها، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة؛ حيث أعطى دعوته كل ما يملك، ولم يترك ﷺ فرصة يستطيع فيها تبليغ دعوته إلا انتهزها، ولم يكن يطلب جزاءً ولا شكورًا ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1].

وقد جاءت نصوص شرعية كثيرة تأمر بالإخلاص وتشدد على التمسك به، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[6].

---

(١) [سورة الشورى: ٢٣]. وانظر: أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمَّد السيد الوكيل، ٨٦ – ٨٧.
(٢) [سورة البينة: ٥].
(٣) [سورة الزمر: ٢-٣].
(٤) [سورة الزمر: ١٤ – ١٥].
(٥) [سورة الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].
(٦) [سورة الكهف: ١١٠].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[1].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟

فقال: إنَّ العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة[2].

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم)[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم. ولكن ينظر إلى قلوبكم)[4].

وعن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه قال: (سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعةً، ويقاتل حميةً، ويقاتل رياءً، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله «من قائل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله»)[5].

---

(١) [سورة الملك: ٢].

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، تحقيق: محمَّد حامد الفقي ٢/ ٨٩.

(٣) أخرجه ابن ماجه في: المقدمة، باب: من بلغ علما، صحيح سنن ابن ماجه، الألباني ١/ ٤٤-٤٥ رقم ٢٣٠.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ٤ / ١٩٨٧ رقم ٢٥٦٤.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من سأل وهو قائم عالما جالسا، ١/ ٤٥ رقم ١٢٣، وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٣/ ١٥١٣ رقم ١٩٠٤.

ومن أبرز النصوص الشرعية من سنة النبي الكريم ﷺ التي بينت أن مدار الأعمال على النيَّة، حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّما الأعمال بالنيات وإنَّما لكل امرى ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[1].

ومن أبرز آثار الإخلاص على نفسية الداعية: نكران الذات، فإنَّ الداعية لا يفكر دائما في نفسه بل يفكر دائما في قبول عمله من عدمه.

ولو تحقق الإخلاص في واقع الصف المسلم لما كان هذا الشتات بين الدعاة، وتلك الفرقة بين أبناء الإسلام، علما أن البناء واحد، والغاية واحدة، والعدو واحد، ولكنه عبث الأهواء، والرغبة في الظهور وأجواء المصالح، والخلافات الشخصية، وإحاطة ذلك كله بحالة من المبررات الشرعية، والشرع منها بريء، والاستعانة بالكتاب والسنة وأقوال الأئمة ولويها وتأويلها، وحملها ما لا تحتمله من الاجتهاد الفاسد والقياس مع الفارق[2].

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٢٥ رقم ١٦٨، وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح ١/ ٢٢٧، وأخرجه البخاري في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ ١/ ٣ رقم ١، وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنيات ٣/ ١٥١٥ رقم ١٩٠٧، وأخرجه أبو داود في كتاب: الطلاق، باب: ما عني به الطلاق والنيات، صحيح سنن أبي داود، الألباني ٢/ ٤١٥ رقم ٢٢٠١، وأخرجه الترمذي في أبواب: فضائل الجهاد، باب: ما جاء من يقاتل رياء وللدنيا، صحيح سنن الترمذي، الألباني ٢/ ١٢٨ رقم ١٧١٤، وأخرجه النسائي في كتاب: الطهارة، باب: النية في الوضوء، صحيح سنن النسائي، الألباني ١/ ١٧ رقم ٧٣، وأخرجه ابن ماجه في كتاب: الزهد، باب: النية، صحيح سنن ابن ماجه، الألباني ٢/ ٤١٣ رقم ٤٢٢٧.

(٢) انظر: المنهاج في ضوابط السلوك والمنجيات، هاشم محمَّد ١٣٢- ١٣٤.

فـإذن عـلاج الإخـلاص: كسـر حظـوظ النفـس، وقطـع الطمـع عـن الدنيـا، والتجـرد للآخـرة؛ بحيـث يغلـب ذلـك علـى القلـب، فـإذ ذاك يتيسـر الإخـلاص[1].

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، تخريج: الحافظ العراقي، المجلد الخامس، ١٤/ ١٨٥.

العلم

إنَّ هذه الصفة من أهم الصفات اللازم توفرها في الداعية وتحليه بها، فليدع الداعية على علم وعلى هدى وبصيرة، ومن هنا جاءت التوجيهات القرآنية والنبوية تلفتان النظر إلى قيمة العلم وأهله.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[5].

وعن أبي واقد الليثي ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد، والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله ﷺ، فأمَّا أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأمَّا الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: (ألاَ أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله، فآواه الله. وأمَّا الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه. وأمَّا الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه)[6].

---

(١) [سورة الزمر: ٩].
(٢) [سورة فاطر: ٢٨].
(٣) [سورة العنكبوت: ٤٣].
(٤) [سورة المجادلة: ١١].
(٥) [سورة طه: ١١٤].
(٦) أخرجه البخاري في كتاب: لعلم، باب: من قعد حيث ينتهي به المجلس، ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ١/ ٢٨ رقم ٦٦.

وعن معاوية ﷺ قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين. وإنَّما أنا قاسم، والله يعطي...)[1].

وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: (مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)[2].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (نَضَّرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، ثُمَّ بَلَّغَهَا عَنِّي فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ)[3].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: (سيأتيكم أقوامٌ يطلبونَ العلمَ، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم: مَرحبًا مرحبًا بوصيَّة رسولِ الله. واقنوهم)[4].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (طَلَبُ العلمِ فَريضَةٌ على كلِّ مُسْلِمٍ)[5].

(١) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ١/ ٣٠ رقم ٧١.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب: العلم. باب: فضل من علم وعلم ١/ ٣٢ - ٣٣ رقم ٧٩.
(٣) أخرجه ابن ماجه في: المقدمة، باب: من بلغ علما. صحيح سنن ابن ماجه، الألباني ١/ ٤٥ - ٤٦ رقم ٢٣٦.
(٤) اقنوهم: أي علموهم، والحديث أخرجه ابن ماجه في: المقدمة، باب: الوصاة بطلبة العلم، صحيح سنن ابن ماجه، الألباني ١/ ٤٧ رقم ٢٤٧.
(٥) أخرجه ابن ماجه في: المقدمة، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، صحيح سنن

وعن أبي أمامةَ الباهلي ﷺ قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلانِ أحدُهما: عابدٌ، والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: (فضلُ العالِم على العابدِ كفضلي على أدْناكم)، ثمَّ قال رسول الله ﷺ: (إنَّ الله وملائكته وأهلَ السموات والأرضين حتى النملةُ في جحرها وحتَّى الحوتُ ليصلُّون على معلِّمِ النَّاسِ الخيرَ)[١].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ مَثل العلماء في الأرض كمثل النُّجوم في السَّماء يُهتدى بها في ظلمات البرِّ والبحر، فاذا انطمَست النُّجوم أوشكَ أن تضلَّ الهداة)[٢].

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: (اغدُ عالمًا أو متعلمًا ولا خير فيما سواهما)[٣].

وعن جابر بن عبدِ الله ﷺ قال: خرجْنا في سفرٍ، فأصابَ رجلًا منَّا حجرٌ فشجَّه في رأسه ثم احتلَم، فسأل أصحابَه فقال: هل تجدون لي رخصةً في التيمُّم؟ فقالوا: ما نجدُ لك رخصةً، وأنت تقدر على الماء، فاغتسلَ فمات، فلما قدِمنا على النبيِّ ﷺ أُخبرَ بذلك فقال: (قَتَلوه قَتَلَهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنَّما شفاء العيِّ السؤال، إنَّما كان يكفيه أن يتيمَّم ويعصر - أو يعصبَ - على جرحه خرقةً ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسدِه)[٤].

ابن ماجه، الألباني ١/ ٤٤ رقم ٢٢٤.

(١) أخرجه الترمذي في أبواب: لعلم، باب: فيفضل الفقه على لعبادة، صحيح سنن الترمذي، الألباني٢/ ٣٤٣ رقم ٠٢٨٣٨

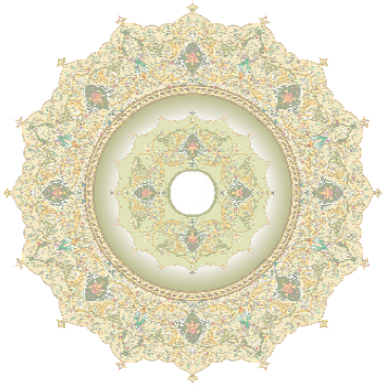
(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١٥٧ رقم ١٢٦٢١، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، الموسوعة الحديثية ٢٠/ ٥٢.

(٣) أخرجه الدارمي في: المقدمة، باب: في فضل العلم والعالم ١/ ٩٧.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب: الطهارة، باب: المجروح يتيمم، صحيح سنن أبي داود، الألباني

وعن عطاء بن أبي رباح ﷺ قال: (سمعتُ عبدَ الله بن عبَّاس ﷺ يخبر أن رجلاً أصابه جرح في رأسه، على عهد رسول الله ﷺ ثم أصابه احتلام. فأمر بالاغتسال، فاغتسل، فكز[1]، فمات. فبلغ ذلك النبي فقال: «قتلوه قتلَهم الله. أو لم يكن شفاء العيِّ السؤال». قال عطاء: وبلغنا أنَّ رسول الله قال: «لو غسل جسدَه وترك رأسه، حيث أصابه الجراحُ)[2].

ونخلص مما تقدَّم على أهمية تحصيل الداعية للعلم الشرعي، حتى يبلغ عن الله تعالى، عن دراية وسداد: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُـوا إِلَى اللَّه عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[3].



١/ ٦٨٦٩ رقم ٣٣٤.

(١) الكزازة: داء يتولد من شدة البرد، وقيل هو نفس البرد.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٣٠ رقم ٣٠٥٧، وقال العلامة أحمد شاكر: إسناد صحيح وأخرجه أبو داود في كتاب: الطهارة، باب: المجروح يتيمم، صحيح سنن أبي داود، الألباني ١/ ٦٩ رقم ٣٢٧، وأخرجه ابن ماجه في أبواب: لتيمم، باب: في المجروح تصيبه الجنابة فيخاف على نفسه إن اغتسل، صحيح سنن ابن ماجه، الألباني ١/ ٩٣ رقم ٥٧٢.

(٣) [سورة يوسف: ١٠٨].

استقامة السلوك

من واجبات الداعية أن يتابع نفسه وروحه بما يصلحها ويزكيها، وعليه أن لا يتساهل أو يلين في مراقبتها ومحاسبتها؛ لأنَّ النفس أمارة بالسوء، ومداخل الشيطان إليها أكثر من أن تحصى قال ﷺ: (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني)[1].

إن ضغوط الجاهلية التي يواجهها الداعية في حياته كثيرة ومتعددة، فهو يشعر بغربته، ويحس بأن مظاهر المدنية الحديثة ليس لها إلا هدف الإغواء والإغراء، وتقويض القيم والمثل لعليا، وتدمير الأخلاق والمكارم، وإشاعة الرذائل والفواحش في المجتمع.

والداعية إلى الله بحاجة ماسة إلى صيانة نفسه من التأثر والانحراف ليقوى على المضي في الطريق الذي يرضي الله ﷻ.

إن استشعار الداعية لمسؤولية إصلاحه لنفسه، أمر عظيم، فكيف سيأمر النَّاس بأمر وهو بعيد عن تطبيقه، وكيف سينهاهم عن فعل أمر وهو واقع فيه، فإنَّه لا محالة سيقع في التناقض والازدواجيَّة، ومن ثَمَّ ربَّما أثر ذلك تأثيرًا سلبيًّا على استجابة مدعويه لدعوته، قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[2].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٢٤/ ٤ رقم ١٧١٦٤، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، الموسوعة الحديثية ٢٨ / ٣٥٠. وأخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة، ضعيف سنن لترمذي، الألباني ٢٧٩ رقم ٠٤٢٦ وأخرجه ابن ماجه في كتاب: الزهد، باب: ذكر الموت والاستعداد له، ضعيف سنن ابن ماجه، الألباني ٣٤٨ - ٣٤٩ رقم ٩٣٠.

(٢) [سورة البقرة: ٤٤].

فالتوبيخ الوارد في الآية بسبب ترك فعل البر، لا بسبب الأمر بالبر.

قال أبو الأسود الدؤلي:

لا تَنْهَ عَن خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ ... عَارٌ عَلَيْكَ إذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

وابْدَأْ بِنَفْسِكَ فانْهَها عَنْ غَيِّها ... فإنِ انْتَهَتْ عَنه فأَنتَ حَكِيمُ

فهناكَ يُقْبَلُ إنْ وَعَظْتَ ويُقْتَدَى ... بالقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ[1]

وليس في الآية أنَّ الإنسان إذا لم يقم بما أمر به، أنه يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنها دلَّت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين.

وإلا فمن المعلوم أنَّ على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيها. فترك أحدهما، لا يكون رخصةً في ترك الآخر.

فإنَّ الكمال أن يقومَ الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما، وأمَّا قيامه بأحدهما دون الآخر فليسَ في رتبة الأوَّل، وهو دون الآخرِ.

وأيضًا: فإنَّ النفوسَ مجبولةٌ على عدم الانقياد لمن يخالف قولُه فعلَه، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجرَّدة[2].

والناس دائما في كل عصر يطالبون الداعية بأن يكون سلوكه حسنًا وقدوة لهم، بل يطلبون منه أكثر مما يطالبهم، ويطلب منهم ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[3].

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١/ ٣٦٦ - ٣٦٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: محمَّد زهدي النجار ١/ ٨٢.

(٣) [سورة الفتح: ٢٣].

فدعوة الناس إلى الخير تقتضي أن يكونَ الداعيةُ سبَّاقًا إلى الخير، ومطالبة النَّاس بتطبيق أحكام الشريعة تستوجب أن يكون الداعية آخذًا نفسَه بذلك، ونهي النَّاس عن الشرِّ والفساد يحتم أن يكون الناهي ملتزمًا بذلك النهي، فلا يبيح لنفسه ما حرمه على غيره.

والاستقامة في السلوك دليل الصدق العملي لدعوة الداعية، وجزاؤه عند الله عظيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1].

إنَّ نفس الداعية ينبغي أن تكون حقل تجارب، ومن النتائج المستفادة. يعرف أفضل البذور، وأنسب الأوقات وأجدى الأساليب.

إنَّ الرجل قذر البدن لا يغني عنه أن يحمل بين يديه قطع الصابون، وكريه الرائحة لا يجديه أن يرى ومعه زجاجات من العطور.

ودعاة الدين الذين تهب من سيرتهم سموم حارقة، إنما هم عار على الدين وصد عن سبيله.

وقد عاب الله سبحانه على أحبار اليهود أنهم كانوا دوابَّ ناقلة لكتب العلم لا بشرًا كرامًا يحسنون الإفادة مما معهم ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2].

والمراد من الدعاة أن يتحسسوا أنفسهم، وأن يداووا ما قد يكون بها من علل[3].

---

(١) [سورة فصلت: ٣٠]. وللاستزادة انظر: أسس الدعوة وآداب لدعاة، محمَّد السيد الوكيل ٧٥.

(٢) [سورة الجمعة: ٥].

(٣) انظر: مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، محمَّد الغزالي ١٩٣-١٩٥.

القدوة الحسنة

القدوة هي الأسوة، يقال فلان قدوة يقتدى به[١].

والقدوة اسم من اقتدى به، إذا فعل مثل فعله تأسيا، والقدوة: الأصل الذي يتشعب منه الفروع[٢].

والأسوة: القدوة، والأسوة ما يتأسَّى به، أي يتعزى به، فيقتدى به في جميع أفعاله، ويتعزى به في جميع أحواله[٣].

والاقتداء: طلب موافقة الغير في فعله[٤].

والأسوة نوعان:

أ - أسوة حسنة: كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٥].

فرسول الله ﷺ يمثل الأسوة والقدوة الحسنة، فإن المتأسي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم.

ب - وأسوة سيئة، وهو كل من يقتدي به غيره في السوء والشر كقول المشركين حين دعتهم الرسل للتأسي بهم: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[٦].

---

(١) مختار الصحاح، الرازي ٥٢٥.
(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المقري الفيومي ٢/ ٥٩٥.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٤/ ١٥٥.
(٤) المرجع السابق ٧/ ٣٥.
(٥) [سورة الأحزاب: ٢١].
(٦) [سورة الزخرف: ٢٣]. وللاستزادة انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن السعدي، تحقيق: محمَّد زهدي النجار ٢/ ٢٠٨ وما بعدها.

لقد حثَّ الإسلام أتباعه على الاقتداء بالصلحاء والشرفاء والعقلاء وفي مقدمة أولئك أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قول تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[2].

قال الحسن البصري ﷺ: عظ النَّاس بعقلك ولا تعظهم بقولك.

وقال أيضًا ﷺ: الواعظ من وعظ الناس بعمله لا بقوله، وكان ذلك شأنه إذا أراد أن يأمر بشيء بدأ بنفسه ففعله، وإذا أراد أن ينهى عن شيء انتهى عنه.

فمن أسرته نفسه، وأصبح عبدًا لهواه لا يمكن أن ينكر على الآخرين.[3] وقديمًا قيل: ما خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان، وما خرج من القلب فإنه يستقرُّ في القلب.

وإذا خالف فعل الداعية قوله ربما لم يقتصر الضرر على نفسه، بل تعدى ذلك الضرر إلى غيره، وكان قدوة سوء في المجتمع.

ولهذا ذم الله تعالى مثل هذا الصنع فقال سبحانه: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ

---

(١) [سورة الأنعام: ٩٠].
(٢) [سورة الممتحنة: ٦].
(٣) فقه الدعوة في إنكار المنكر، عبد الحميد الهلالي ٥٠ وما بعدها.
(٤) [سورة البقرة: ٤٤].

الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

وعن أبي وائل ﷺ قال: قيل لأسامة ﷺ: لو أتيت فلانًا فكلَّمته، قال: إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم، إني أكلمه في السرِّ دون أن أفتح بابًا لا أكون أول من فتحه، ولا أقول لرجل - إن كان علي أميرًا - إنه خير الناس، بعد شيء سمعته من رسول الله ﷺ، قالوا: وما سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: (يُجاء بالرَّجل يومَ القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النَّار، فيدور كما يدور الحمارُ برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شأنُك؟ أليس كنتَ تأمرنا بالمعروفِ وتنهانا عن المنكرِ؟ قال: كنت آمركم بالمعروفِ ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكرِ وآتيه)[2].

قال ابن القيِّم ﷺ: (علماء السوء جلسوا على باب الجنَّة، يدعون إليها النَّاس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النَّار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقًّا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلَّاء، وفي الحقيقة قطاع طرق)[3].

إن الداعية إلى الله يكسب لدعوته بسلوكه الحسن، وقدوته الطيبة

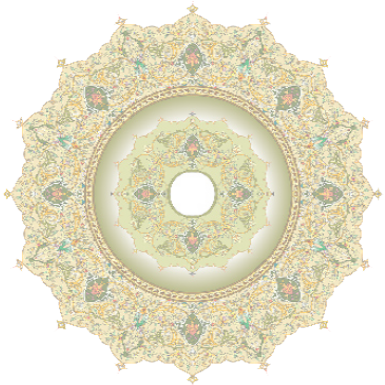
(١) [سورة الجمعة: ٥].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: صفة النار وأنها مخلوقة ٤/ ١٠٨ رقم ٣٢٦٧، وفي كتاب: الفتن، باب: الفتنة التي تموج كموج البحر ٨/ ١٢٤ رقم ٧٠٩٨، وأخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله ٤/ ٢٢٩٠ - ٢٢٩١ رقم ٢٩٨٩.

(٣) الفوائد، ابن القيم، تحقيق: بشير محمَّد عيون ص ٩٤.

أكثر مما يكسبه لها بأقواله اللبقة، لأنَّ الناس ينظرون دائما إلى الدعاة كنماذج حيَّة لما يدعون إليه، ويتأثرون بسلوكهم العملي أعظم مما يتأثرون بكلماتهم وخطبهم المثيرة[1]. ولقد حدث ذلك مع رسول الله ﷺ حين أمر أصحابه بعد صلح الحديبية أن ينحروا هديهم ويحلقوا رؤوسهم.

قال ابن القيم رحمه الله: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ: (قوموا فانحروا ثم احلقوا. فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرَّات، فلما لم يقم منهم أحدٌ دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من النَّاس، فقالت أم سلمة: يا نبيَّ الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلِّم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلِّم أحدًا منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا)[2].



(١) أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمَّد السيد الوكيل ٧٤.

(٢) زاد المعاد في هدي خير لعباد، ابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبدا لقادر الأرنؤوط ٣/ ٢٩٥

الاعتزاز بالإسلام

تظهر صفة انتماء الداعية لدينه بارزة من بين صفاته واضحة جلية في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(١).

فهذه الآية الكريمة تبين قدر الداعية من خلال انتمائه للإسلام، فتعلي قدرَه، وتجعله عزيزًا على غيره، ولم يحصل له هذا الشرف، وهذه المكانة بالنظر إلى جنسه أو لونه، وإنَّما لأنَّه ينتمي إلى هذا الدين العظيم الخاتم، قولًا وعملاً وسلوكًا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾(٢).

إن الداعية قد تجاوز درجة التدين الشخصي والذاتي إلى درجة الدعوة إلى هذا الدين بالقدوة، والقول، والفعل، ولذلك الشرف وهذه المكانة فالإسلام يعلو ولا يعلى عليه، والمسلم عند الله تعالى أفضل من غيره من البشر، بل إنه لا وجه هناك للمقارنة لتفضيل الله المسلمين بأنهم خير أمَّة ظهرت على وجه الأرض من البشرية، كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(٣)، وتجلت هذه الخبرية في جعلها أمَّة الاعتدال والوسط في المظهر والمخبر، وأمة الاعتدال والوسط في المنهج والسلوك، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٤).

(١) [سورة فصلت: ٣٣].
(٢) [سورة أل عمران: ١٩].
(٣) [سورة أل عمران: ١١٠].
(٤) [سورة البقرة: ١٤٣].

ويؤكد القرآن الكريم على عزَّة المؤمن وكرامته عند الله تعالى بسبب انتمائه للإسلام قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾(١).

والإسلام يذكي في المسلم انتماءه لدينه، لينطلق المسلم، وبالأخص الداعية من ثقة وقوة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٣). وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٤).

وعن حكيم بن معاوية، عن أبيه ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (أنتم توفون سبعين أمَّة أنتم آخرها وأكرمها على الله – عزَّ وجلَّ –)(٥).

وعن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنكم وفيتم سبعين أمَّة. أنتم خيرها، وأكرمها على الله)(٦).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ هذه الأمة مرحومة. عذابها بأيديها. فإذا كان يوم القيامة، دفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين. فيقال: هذا فداؤك من النار)(٧).

---

(١) [سورة المنافقون: ٨].

(٢) [سورة الأنعام: ١٦٢].

(٣) [سورة النمل: ٩١].

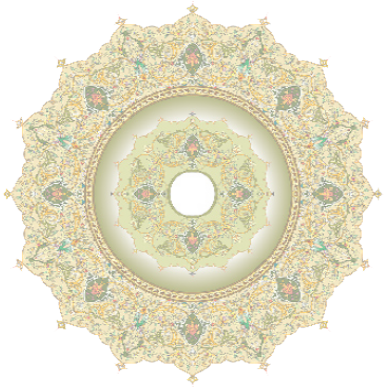
(٤) [سورة الزمر: ١١ – ١٢].

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٣ رقم ٢٠٠٣٧، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، الموسوعة الحديثية ٣٢/ ٢٢٨.

(٦) أخرجه ابن ماجه في كتاب: الزهد، باب: صفة أمة محمَّد ﷺ، صحيح سنن ابن ماجه، الألباني ٢/ ٤٢٦ رقم ٤٢٨٨.

(٧) أخرجه ابن ماجه في كتاب: الزهد، باب: صفة أمة محمَّد ﷺ، صحيح سنن ابن ماجه، الألباني ٢/ ٤٢٧ رقم ٤٢٩٢.

إنَّ الداعيـة الحـق هـو الـذي اقتنـع بفكرتـه وقضيتـه التـي يدعـو إليهـا، فهـو يدافـع عنهـا، ويتحمَّـس لهـا لأنـه يعتـز بالانتسـاب إليهـا ويفخـر ويتشـرف بالانتمـاء إليهـا.



الحلم

الحلم في اللغة: الأناة[١].

وفي الاصطلاح: هو الطمأنينة عند سورة الغضب، وقيل: تأخير مكافأة الظالم[٢].

والحلم أو ضبط النفس دليل على قوَّة الشخصية، ومظهر من مظاهر الرشد واكتمال العقل، وثمرة من ثمار التدين الصحيح.

والحلم من الصفات التي لا يستغني عنها الإنسان الذي يعيش في مجتمع تتصارع فيه الأهواء وتتضارب فيه الآراء، وتختلف فيه وجهات النظر[٣].

ومعنى الحلم: أن يكتم المؤمن غيظه، وأن يصل من قطعه، وأن يعفو عمَّن ظلمه، وأن يحسن إلى من أساء إليه[٤].

والحلم من الصفات التي يفطر عليها بعض الناس، وقد يكتسبها بعضهم اكتسابًا، والواجب على من فُطر عليها أن يتعهدها حتى لا تذبل، وأن ينمِّيها حتى لا تموت، وعلى من لم يفطر عليها محاولة اكتسابها، والتخلق بها، وذلك في مقدور الإنسان وطاقته[٥].

ولقد ضرب قدوة الدعاة محمَّد ﷺ مثلاً عظيما في التحلي بصفة الحلم، فقد كان مطبوعًا على الحلم والعفو مع القدرة على الانتقام

(١) مختار الصحاح، الرازي ١٥٢.
(٢) التعريفات، الجرجاني، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة ١٢٦.
(٣) دعوة الإسلام، سيد سابق ١٤٩.
(٤) أخلاقية الدعوة، عبد الله ناصح علوان ٢٦.
(٥) أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمَّد السيد الوكيل ٨٠.

أو المحاسبة، ممتثلاً أوامر ربِّه عزَّ وجلَّ ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[1].

وحلمه أوسع من أن يحاط بجوانبه، ولولا هذا الحلم بعد توفيق الله تعالى له ما استطاع أن يسوس شعبًا كالعرب، يأنف أن يطيع أو ينصاع أو يجرح ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[2].

وهناك مواطن يفقد فيها الرحماء رحمتهم، لكن رسول الله ﷺ لا تفارقه رحمته، فقد أوذي، وكذب، واضطهد من قومه، ويوم فتح الله له مكة، قال: (يا معشر قريش، ما ترون أني فاعلٌ بكم، قالوا: خيرًا، أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف عليه السلام لإخوته ﴿قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[3] اذهبوا فأنتم الطلقاء)[4].

والحلم من أهم الأخلاق التي يتحلَّى بها الدعاة إلى الله؛ لأنَّ الناس كثيرًا ما يصدر منهم ما يغضب النفوس، ويثير القلوب، فإذا لم يكن الداعية متحليًّا بالحلم، صدر عنه ما ينفر الناس منه فلا يجتمع عليه أحد، ولا يستطيع النجاح في مَهَمَّتِه.

ولذا مدح رسول الله ﷺ، أشجَّ عبد القيس بقوله: (إنَّ فيك خصلتين

---

(١) [سورة الأعراف: ١٩٩].

(٢) [سورة أل عمران: ١٥٩].

(٣) [سورة يوسف: ٩٢].

(٤) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام ٤/٥٤ وما بعدها، الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري ٣٩٠.

يحبهما الله: الحلم والأناة)[1] ، والدعاة يتعرضون لطبقات مختلفة من الناس، منهم: الخلوق المهذب، ومنهم: الشرس العنيد، وبالحلم يستطيع الداعية أن يلقى هؤلاء وهؤلاء، وأن يفسح صدره للجميع، ويعامل كل واحد منهم بالقدر الذي ينفعه ويستفيد منه[2].

وليس المراد بالحلم: السكوت على الهوان والاحتقار، فإنَّ المؤمن عزيز كريم يأبى الضيم، ويرفض الذل، وإنما يكون الحلم على جهل جاهل، أو سفه سفيه، والحلم المراد: هو الذي يكون عند القدرة على أخذ الحق ورد الظلم، وأمَّا أن يسكت الإنسان لعجزه عن الرد، فذلك هو الضعف[3].

ولقد جعل الله سبحانه من صفات المؤمنين الصادقين ما جاء في قوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[4]، ولقد كان من وصايا النبي الكريم لأحد أصحابه ﷺ ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه (أنَّ رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني. قال: لا تغضب. فردد مرارًا، قال: لا تغضب)[5].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ليس الشديد بالصُّرَعَةِ. إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)[6].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين، والدعاء إليه، والسؤال عنه، وحفظه، وتبليغه من لم يبلغه ١/ ٤٨ رقم ١٧.

(٢) أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمَّد السيد الوكيل ٧٩.

(٣) المرجع السابق. ٨.

(٤) [سورة أل عمران: ١٣٤].

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب، ٧/ ١٣٠ رقم ٦١١٦.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب، ٧/ ١٢٩ رقم ٦١١٤.

إن الذي يسيطر على نفسه، ويضبط جماحها، وينزعها عن الطيش والحمق، هو القوي على الحقيقة، وذلك يحتاج إلى دربة ومران لكل الظروف وجميع الاحتمالات.

وقد أرشد الرسول الكريم ﷺ إلى ما ينبغي فعله لمن حصل له شيء من الغضب ما رواه سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: (استَبَّ رجلان عند النبيِّ ﷺ ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسبُّ صاحبه مغضبًا قد أحمرَّ وجهه، فقال النبي ﷺ: إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد. لو قال: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم. فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ؟ قال: إني لست بمجنون)[1].

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب، ٧/ ١٣٠ رقم ٦١١٥. وللاستزادة انظر: دعوة الإسلام، سيد سابق ١٥٤ وما بعدها.

الرفق

الرفق في اللغة: ضد العنف[١].

وفي الاصطلاح: لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف[٢]، لقد كان الرفق ديدن دعوة الأنبياء السابقين عليهم السلام ، فقد دعا نوح عليه السلام قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، استخدم معهم أنواعًا من الأساليب؛ ليقبلوا على دعوته ويقبلوا منه، لكن المحصلة كانت قليلة، وكذا عاش إبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام على لأواء أقوامهم يدعونهم إلى الله برفق وتؤدة، حتى نص القرآن الكريم على وجه من توجيهات الرب تبارك وتعالى لموسى وأخيه هارون عليهما السلام في دعوتهما إلى فرعون: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[٣].

فالقول الليـن: هو القول الذي لا خشونة فيه، وإذا كان موسى عليه السلام أمر بأن يقول لفرعون قولا لينا، فمن دونه أحرى بأن يقتدي بذلك في خطابه، وأمره بالمعروف في كلامه، وقد أمر الله تعالى جميع الناس بالقول الحسن في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[٤].

ولقد تحلى قدوة الدعاة، النبي الخاتم محمَّد ﷺ بالرفق في أقواله وأفعاله مع من دعاهم إلى الله تعالى، وكان ذلك سببًا رئيساً من أسباب نجاحه في دعوته ﷺ ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: (بال أعرابي في المسجد فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبيُّ: «دعوه وأريقوا

(١) مختارا لصحا ح، الرازي ٢٥١.
(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٠/ ٤٤٩
(٣) [سورة طه: ٤٣ - ٤٤].
(٤) [سورة البقرة: ٨٣]. وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٠ / ٢٠٠.

على بوله سجلاً من ماء، أو ذنوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»)[1]، وعن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ قال: (بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجلٌ من القوم فقلت: «يرحمك الله» فرماني القوم بأبصارهم. فقلت: واثُكْلَ أُمِّيَاهُ! ما شأنكم؟ تنظرون إلي. فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني، لكنِّي سكتُّ، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمِّي ما رأيت معلِّما قبلَه ولا بعدَه أحسنَ تعليما منه، فوالله ما كهرني[2] ولا ضربني ولا شتمني. قال: «إنَّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس. إنَّما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»)[3].

وعن أبي أمامة ﷺ قال: (إنَّ فتى شابا أتى النبيَّ ﷺ فقال يا رسول الله ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه مه، فقال أدنه فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: أتحبُّه لأمِّك؟، قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: ولا النَّاس يحبُّونه لأمهاتهم قال أفتحبُّه لابنتك؟، قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: ولا النَّاس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبُّه لأختك؟، قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: ولا النَّاس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبُّه لعمَّتك؟، قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: ولا النَّاس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبُّه لخالتك؟، قال: لا والله جعلني الله فداك،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الطهارة، باب: صب الماء على البول في المسجد، ١/ ٦٩ – ٧٠ رقم ٢٢٠. وأخرجه مسلم في كتاب: الطهارة، باب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حصرها ١/ ٢٣٦-٢٣٧ رقم ٢٨٥.

(٢) كهرني: يقال القهر والكهر والنهر، متقاربة: أي ما قهرني ولا نهرني.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحة ١/ ٣٨١ – ٣٨٢ رقم ٥٣٧.

قال: ولا النَّاس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبَه وحصِّن فرجه»، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)[١].

ولقد حثَّ النبي ﷺ المسلمين عامَّة، ويدخل في ذلك الدعاة من باب أولى إلى التحلي بالرفق، فمن ذلك: ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنَّ النبيَّ ﷺ قال: (إنَّ الله رفيق يحبُّ الرِّفق. ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنفِ. وما لا يعطي على ما سواه)[٢].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قال: (من يُحرمِ الرِّفقَ، يحرمِ الخيرَ)[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبيِّ ﷺ قال: (إنَّ الرِّفق لا يكون في شيء إلا زانَه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)[٤].

فبالرفق تساس الطباع، ويعرف مكمن الداء، ويعطى الدواء، لتستقيم الأنفس على الخير، وتقبل دعوة الله ﷻ، ويزول ما في الصدور ما حلَّ فيها من عوارض البغض، وأسباب الشحناء، ولا شك أن الدواء لهذا كله بلسم الرفق[٥].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٢٥٦ - ٢٥٧، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، الموسوعة الحديثية ٣٦/ ٥٤٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق ٤/ ٢٠٣ - ٢٠٤ رقم ٢٥٩٣.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق ٤/ ٢٠٣ رقم ٢٥٩٢.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق ٤/ ٢٠٤ رقم ٢٥٩٤.

(٥) انظر: كيف يدعو الداعية، عبد الله ناصح علوان ٤٧ – ٧٥.

التواضع

التواضع من خير الخلال وأحب الخصال إلى الله سبحانه وإلى النَّاس، وهو موجب للرفعة، وباعث على التآلف، ومحقق للحب والود، وقد أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بأن يتواضع للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] وبين أن ذلك مِن أسباب جمع القلب عليه فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[2].

والتواضع في الحقيقة هو إلانة الجانب مع عزَّة في النفس وإباء للضيم، ومن التواضع عدم الافتخار بالآباء والأجداد، ومن التواضع عدم البغي والاعتداء.

والتواضع يمكن الدعاة من جمع الأنصار ويحببهم إلى الناس فيستمعون إليهم ويتأثرون بهم، ويتأسون بأفعالهم، ويجب أن يكون التواضع مع جميع النَّاس مع الكبير والصغير والرئيس والمرؤوس والغني والفقير، والضعيف والقوي، ومع العالم والجاهل وكل أصناف المجتمع.

فمن التواضع: طيب الحديث، والتبسم في وجه النَّاس، والرفق بهم وعدم مؤاخذتهم بزلاتهم، وتهدئة روعهم إذا فزعوا[3].

ولقد كان نبيُّ الرحمة ﷺ وهو قدوة الدعاة قمَّة في التواضع مع جميع النَّاس مع علوِّ منصبه ورفعة رتبه وحسبنا أنَّ الله تعالى خيَّره بين

(١) [سورة الحجر: ٨٨].
(٢) [سورة أل عمران: ١٥٩]. وللاستزادة انظر: دعوة الإسلام، سيد سابق ١٩٦.
(٣) انظر: أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمَّد السيد الوكيل ٨١ وما بعدها.

أن يكون نبيًّا ملكًا أو نبيًّا عبدًا فاختار أن يكون نبيًّا عبدًا[١].

وكان ﷺ كثيرًا ما يعظ قومه ويقول: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)[٢].

وعن الأسود ﷺ قال: سألت عائشة ﷺ ما كان رسول الله ﷺ يصنع في أهله؟ فقالت: (كان يكون في أهله. قال يعني في خدمة أهله - وإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة)[٣] ، وعن هشام، عن أبيه قال: سأل رجل عائشة ﷺ هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته؟ قالت: (نعم، كان رسول الله ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته)[٤].

وعن أنس ﷺ قال: (مرَّ رسول الله ﷺ على صبيان، فسلَّم عليهم)[٥].

وعن أنس بن مالك ﷺ: (أنَّ امرأة كان في عقلها شيء. فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة. فقال: «يا أم فلان انظري أي السكك شئت، حتى أقضي لك حاجتك، فخلا معها في بعض الطرق[٦]. حتى فرغت من حاجتها)[٧].

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي ٣/ ٣٠١.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه ١/ ٩٣ رقم ٩١.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الأذان، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج ١/ ٨٦ رقم ٦٧٦.
(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/ ١٢١ رقم ٢٤٩٤٧، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح، الموسوعة الحديثية ٤١ / ٣٩، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ١/ ٣٢٨ - ٣٢٩.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب: الاستئذان، باب: التسليم على الصبيان ٧/ ١٦٩رقم ٦٢٤٧.
(٦) أي وقف منها في طريق مسلوك ليقضي حاجتها في السؤال ويفتيها في الخلوة.
(٧) أخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به ٤/ ١٨١٢

وجاءه رجل يرتعد يومَ فتح مكَّة فقال له رسول الله ﷺ: (هوِّن عليك. فإني لست بملك. إنَّما أنا ابن امرأةٍ مِن قريشٍ تأكل القَديد)[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: (لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت)[2].

ولقد أوحى الله تعالى إلى نبيِّه بضرورة تواضع النَّاس فيما بينهم، وأن يبتعدوا عن الفخر والبغي.

فعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد)[3].

وتواضع الأفراد رفعة لهم فقد أخبر بذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: (ما نقصت صدقة من مال. وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفَعَه الله)[4].

والمقصود بالتواضع: أن يمشي المؤمن بين النَّاس هونًا، وأن يخفض جناحه لمن يلقاه، وأن يرضى أن يأكل ما حضر من طعام، ويلبس ما تيسر له من اللباس، ويمتزج على من يلتقي من البشر دون

-١٨١٣ رقم ٢٣٢٦.

(١) القديد: هو اللحم المجفف، والحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب: الأطعمة، باب: القديد، صحيح سنن ابن ماجه، الألباني ٤/ ٢٣٢ رقم ٢٦٧٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب: القليل من الهبة ٣/ ١٧٦رقم ٢٥٦٨.

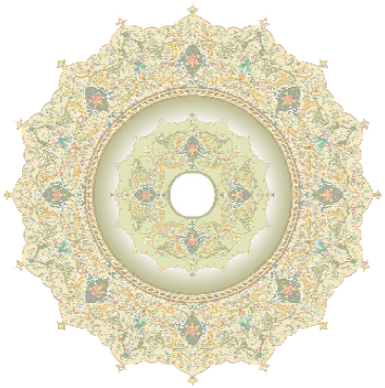
(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفها ونعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٤/ ٢٩٨- ٢١٩٩ رقم ٢٨٦٥.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع ٤/ ٢٠٠١رقم ٢٥٨٨.

كبر أو أن يدخله بقية من عجب، أو تساوره نظرة من استعلاء.

ولقد جعل الله ﷻ من أخص أوصاف تلك الأمة التي سيبعثها إذا شاء سبحانه، أنها متواضعة فيما بينها، شديدة على أعدائها قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1].

فالتواضع يجعل الداعية محبوبا في قومه وبيئته ذا أثر فعَّال بينهم، وقوامه عليهم صفة التواضع وخفض الجناح، فالكبر يشكل جدارًا وحاجزًا بين الداعية والناس، بل ويجعل الداعية معزولاً عن مجتمعه غير مألوف ممن حوله.



(١) [سورة المائدة: ٥٤]. وللاستزادة انظر: أخلاقية الداعية، عبد الله ناصح علوان ٣٠ وما بعدها.

التضحية

إنَّ الحق أبلج، لكنه يحتاج إلى دعاة صادقين، يحملونه طاهرًا نقيًّا بغير شوائب إلى المحتاجين له، وإنَّ الدعوة الإسلامية تطلب من أتباعها أن يصرفوا أَنْفَسَ أوقاتهم، وأعزَّ ما لديهم من جهد، ووقت، ومال في سبيل خدمة هذا الدين، ولقد ضرب الصحابة الكرام ﷺ أروع الأمثلة في تضحيتهم لدينهم، وحملهم لدعوتهم، فلم يبخلوا بنفس، ولا مال، ولا جهد، ولا وقت ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[1].

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ قالت: (لما خرج رسول الله ﷺ إلى الهجرة وخرج أبو بكر ﷺ معه، احتمل أبوبكر ماله كلَّه، ومعه خمسة آلاف درهم، أو ستة آلاف، فانطلق بها معه. قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قالت: قلت: كلا يا أبت! إنَّه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا، قالت: فأخذت أحجارًا فوضعتها في كوَّة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبا، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال، قالت: فوضع يده عليها، فقال: لا بأس إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم، ولا الله ما ترك لنا شيئا، ولكنِّي أردت أن أسكن الشيخ بذلك)[2].

وجاء في هذا المعنى قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي

(١) [سورة محمد: ٣٨].

(٢) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين ٢/ ١٣٣، البداية والنهاية، ابن كثير ٣/ ١٧٩.

نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[1].

نزلت هذه الآية في صهيب الرومي ﷺ فإنَّه أقبل مهاجرًا إلى رسول الله ﷺ فتبعه نفر من قريش، فنزل عن راحلته، وانتثل ما في كنانته، وأخذ قوسه، وقال: لقد علمتم أني أرماكم، وايم الله لا تصلوا إليَّ حتى أرمي بما في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا ما شئتم، فقالوا: لا نتركك تذهب غنيًّا وقد جئتنا صعلوكا، ولكن دلَّنا على مالك بمكة ونخلِّي عنك، وعاهدوه على ذلك ففعل، فلما قدم على رسول الله ﷺ نزلت الآية السابقة، فقال له رسول الله ﷺ: (ربح البيع أبا يحيى)، وتلا عليه الآية»[2].

وعن صهيب ﷺ قال: لما أردت الهجرة من مكة إلى النبي ﷺ قالت لي قريش: يا صهيب، قدمت إلينا ولا مال لك، وتخرج أنت ومالك، والله لا يكون ذلك أبدا، فقلت لهم: أرأيتم إن دفعت إليكم مالي، تخلون عني؟ قالوا: نعم، فدفعت إليهم مالي، فخلوا عني، فخرجت حتى قدمت المدينة، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: (ربح صهيب، ربح صهيب)[3].

وعن خباب بن الأرت ﷺ قال: (هاجرنا مع رسول الله في سبيل الله. نبتغي وجه الله. فوجب أجرنا على الله. فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيئا، منهم مصعب بن عمير. قُتل يومَ أحد. فلم يوجد له شيء

(١) [سورة البقرة: ٢٠٧].

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣/ ٢٠، والحديث أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/ ٢٢٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٢٦٥، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: محمَّد زهدي النجار ١/ ٢٥٢ وما بعدها.

يكفَّن فيه إلا نَمِرَةً. فكنَّا، إذا وضعناها على رأسه، خرجت رجلاه. وإذا وضعناها على رجليه، خرج رأسه. فقال رسول الله: «ضعوها مما يلي رأسَه. واجعلوا على رجلَيه الإذخر[1]، ومنَّا من أينعت له ثمرته، فهو يُهديها»[2].

عن أنس بن مالك ﷺ أن عمه أنس بن النضر ﷺ لم يشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا، قال: فشق عليه. قال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غيبت عنه. وإن أراني الله مشهدًا، فيما بعدُ، مع رسول الله ﷺ، ليراني الله ما أصنع. قال: فهاب أن يقول غيرها. قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يومَ أحد. قال: فاستقبل سعد بن معاذ ﷺ فقال له أنس ﷺ: يا أبا عمرو أين؟ فقال: واهًا لريح الجنة. أجده دون أحد. قال: فقاتلهم حتى قتل. قال: فوُجِد في جسده بضعٌ وثمانون، من بين ضربة وطعنة ورمية. قال فقالت أخته، عمَّتي الربيع بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببنانه. ونزلت هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[3].

قال: فكانوا يرون أنَّها نزلت فيه وفي أصحابه[4] ﷺ.

وحينما اشتدَّ الوطيس يومَ بدر قال رسول الله ﷺ: (... قوموا إلى جنَّة عرضها السموات والأرض) قال أنس بن مالك ﷺ - راوي الحديث

(١) الإذخر: حشيش معروف طيب الرائحة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: إذا لم يجد كفنا إلا ما يواري رأسه أو قدميه، غطي به رأسه ٢/ ٩٧ رقم ١٢٧٦، وأخرجه مسلم في كتاب: الجنائز، باب: فيكفن الميت٢/ ٦٤٩ رقم ٩٤٠.

(٣) [سورة الأحزاب: ٢٣].

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة أحد ٥/ ٣٦ -٣٧ رقم ٤٠٤٨، وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد ٣/ ١٥١٢ رقم ١٩٠٣.

-(قال: عمير بن الحمام الأنصاري ﷺ: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم» قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بخ بخ» قال: لا. والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «فإنَّك مِن أهلها» فأخرج تمرات من قرنه. فجعل يأكل منهنَّ. ثمَّ قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنَّها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل)[1].

وهكذا تتكاثر الأمثلة والشواهد في سيرة سلفنا الصالح لتزرع الهمة في نفس الداعية، وتجعله يضحي بأغلى ما يملك ولا يبخل على دعوته في سبيل تقديم خطوة نافعة في استصلاح الآخرين.

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد ٣/ ١٥٠٩ - ١٥١٠ رقم ١٩٠١.

صحبة الأخيار

لا شكَّ أنَّ الداعية هو أولى من غيره في صحبة المتقين الأخيار، ومعاشرة أصحاب القلوب الطيبة وأهل المعرفة السليمة وذلك لسببين هما:

الأول: لكون الشرع أمر بصحبتهم وملازمتهم:

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: (المرء على دين خليله، فلينظر أحدُكم من يخالل)[1].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: (لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامَك إلا تقيٌّ)[2] ولقول جماعة من السلف: اصحب من ينهضك حاله ويدلُّك على الله مقاله[3].

فإذا كانت الصحبة كذلك فإنها ستكون أرسخ من الجبال الرواسي، وأقوى من البناء المتطاول بل لا يمكن أن تزعزعها حادثات الليالي، ولا أن تفرط عقدها نوازل الأيام.

الثاني: لاكتساب التقوى والروحانية والنصح منهم.

عن جرير: أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (إنَّ من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٣٣٤ رقم ٨٣٩٨، وأخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: من يؤمر أن يجالس، صحيح سنن أبي داود، الألباني ٣/ ٩١٧ رقم ٤٨٣٣. وأخرجه الترمذي في أبواب: الزهد، صحيح سنن الترمذي، الألباني ٢/ ٢٨٠رقم ٢٤٩٧.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: من يؤمر أن يجالس، صحيح سنن أبي داود، الألباني ٣/ ٩١٧رقم ٤٨٣٢، وأخرجه الترمذي في أبواب الزهد، باب: ما جاء في صحبة المؤمن، صحيح سنن الترمذي، الألباني ٢/ ٢٨٥ رقم ٢٥١٩.

(٣) روحانية الداعية، عبد الله ناصح علوان ٦٢.

القيامة بمكانهم من الله. قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إنَّ وجوههم لنور وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن النَّاس، وقرأ هذه الآية: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

وعن أنس بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: (ما من قوم اجتمعوا يذكرون اللهَ - عزَّ وجلَّ- لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السَّماء: أن قوموا مغفورًا لكم، فقد بدلت سيئاتكم حسنات)[2].

ولقد جاء التوجيه الإلهي الحكيم لنبيِّنا محمَّد ﷺ بصحبة الأخيار: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[3].

ولا شكَّ أنَّ هذا التوجيه له ﷺ ولأمته من بعده إلى قيام الساعة.

قال العلامة ابن كثير ﷺ: (أي اجلس يا محمَّد مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيّا من عباد الله سواء أكانوا فقراء أم أغنياء أم أقوياء أم ضعفاء، ويقال إن هذه الآية نزلت في أشراف قريش حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود ﷺ وليفرد أولئك بمجلس على حدة فنهاه الله عن ذلك)[4].

(١) [سورة يونس: ٦٢].
(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١٤٢رقم ١٢٤٧٦، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره، الموسوعة الحديثية ١٩/ ٤٣٧.
(٣) [سورة الكهف: ٢٨].
(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير٣/ ٩٠.

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: (كنَّا مع النبيِّ ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: أطرد هؤلاءً لا يجترؤون علينا. قال: وكنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ما شاء أن يقع، فحدَّث نفسه، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾)[1]

فالداعية حينما يسير في طريق الدعوة وحده يستوحش الطريق لكثرة أشواكه، وقلة سالكيه، فهو محفوف بالمكاره والمزالق والعقبات والفتن، وشياطين الإنس والجنِّ له بالمرصاد، فهو محتاج في طريق دعوته إلى من يؤنسه، وينير الطريق له، يبصره بعيوبه، ويذكره إذا نسي، ويعينه إذا ذكر، ليتحقق عند ذلك قول الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[2].

إنَّ الصحبة الخيرة تذكر رؤيتها بالله وبطاعته وعندها يتذكر الداعية قول الرسول الكريم ﷺ: (إنَّما يأكل الذئبُ من الغنم القاصيةَ)[3].

---

(١) [سورة الأنعام: ٥٢]. والحديث أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: في فضل سعد بن أبي وقاص ٤٠/ ١٨٧٨ رقم ٢٤١٣.

(٢) سورة العصر بكاملها.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ١٩٦رقم ٢٧٥٨. وأخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: في التشديد في ترك الجماعة، صحيح سنن أبي داود، الألباني ١/ ١٠٩رقم ٤٧ ٥، وأخرجه النسائي في كتاب: الإمامة، باب: في التشديد في ترك الجماعة، صحيح سنن النسائي، الألباني ١/ ١٨٤ رقم ٨١٧.

الغيرة

وغيرة الداعية على دينه، وعلى حرمات الله أن تنتهك من السمات الحسنة التي ينبغي أن يتحلى بها ولقد كان رسول الله ﷺ يغار غيرة شديدة تعرف منه إذا انتهكت حرمات الله، فإنَّه ينتقم لله عزَّ وجلَّ كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرَهما، ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعدَ النَّاس منه. وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط، إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم له)[1].

وغيرة المرء على دينه تقتضي أن تكون أحواله وأعماله وأفعاله كلها لله، وكذلك يغار على أوقاته أن يذهب منها وقت في غير رضى الله.

ومن الغيرة المحمودة: كراهية المرء أن ينصرف قلبه عن محبته إلى محبة غير الله بحيث يشاركه في حبِّه، ولهذا كانت غيرة الله تعالى أن يأتي العبد ما حرم الله عليه، ولأجل غيرته سبحانه حرَّم الفاحشة ما ظهر منها وما بطن؛ لأنَّ الخلق عبيده وإماؤه فهو يغار على إمائه مما يغار السيد على جواريه ولله المثل الأعلى، ويغار على عبيده أن تكون محبتهم لغيره[2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: (إنَّ الله يغار. وإنَّ المؤمن

---

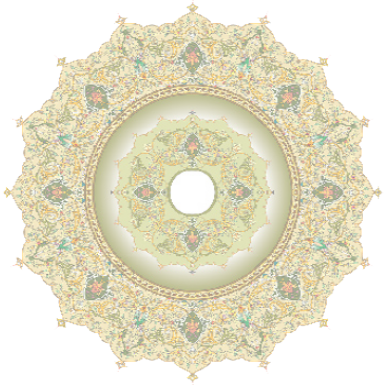
(١) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب صفة النبي ﷺ ٤/ ٢٠١ رقم ٣٥٦، وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: مباعدته ﷺ للآثام، واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته ٤/ ١٨١٣ رقم ٢٣٢٧.

(٢) انظر: الفوائد، ابن القيم، تحقيق: بشير محمَّد عيون ٦٩ وما بعدها.

يغار. وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرَّم عليه)[1].

وعن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ليس أحد أحب إليه المدح من الله. من أجل ذلك مدح نفسه. وليس أحدٌ أغيرَ من الله، من أجل ذلك حرَّم الفواحش)[2].

فينبغي على الداعية أن يتألَّم إذا رأى الناس مرضى من الردى الذي أصابهم ويسعى لاستصلاحه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[3].



(١) أخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: الغيرة، ٦/ ١٩١رقم ٥٢٢٣، وأخرجه مسلم في كتاب: التوبة، باب: غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش ٤/ ٢١٤ رقم ٢٧٦١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: التوبة، باب: غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش ٤/ ٢١٣ رقم ٢٧٦٠.

(٣) [سورة الروم: ٤١]. وللاستزادة انظر: المنهاج في ضوابط السلوك والمنجيات، هاشم محمَّد ٩١ وما بعدها.

الأمل والثقة في نصر الله

مما ينبغي أن يستشعره الداعية ويؤمن به إيمانًا راسخًا ثقته في سلامة الطريق التي يسلكها، وصدق الحق الذي يحمله، حتى يسير على طريق الدعوة بنفس مطمئنة، وثقة كبيرة في انتصار هذه الدعوة لأنها محتوى الدين الذي هو الإسلام الذي ارتضاه الله للبشرية كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾(١).

وكما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٢).

فبمقدار تفاؤل الداعية وثقته في نصر الله يمشي في طريق الدعوة ويمضي قُدُمًا نحوَ الأمام والتفاؤل قوَّة نفسية إيجابية فعَّالة، ينظر صاحبها إلى الغد بابتسامة أمل، ويسير إلى الغاية المرجوَّة بروح فيها شجاعة، وبنفسية العزيز المنتصر دون أن يعتريه يأس، أو يستحوذ عليه قنوط، يتذكر وعد الرسول ﷺ بانتصار الإسلام وغلبته: (والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنَّكم تستعجلون)(٣).

وهذا النصر سيتحقق للإسلام دائما - إن شاء الله - مهما انتفخ الباطل وقويت شوكته ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾(٤).

(١) [سورة أل عمران: ١٩].
(٢) [سورة أل عمران: ٨٥].
(٣) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام ٤/ ٢٧ رقم ٣٦١٢.
(٤) [سورة الأنفال: ٣٦].

والمتأمل للقصص القرآني يجد مصداق ذلك مع رسل الله وأنبيائه جميعًا وكيف أنَّ الله دحر أعداءه، ونصر أولياءه وأصفياءه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[2].

(١) [سورة الروم: ٤٧].

(٢) [سورة سورة غافر: ٥١]. وللاستزادة انظر: الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمين عبد العزيز ٦٣ وما بعدها، صفات الداعية النفسية، عبد الله ناصح علوان ٤٨ وما بعدها.

الصدق

الصدق من الصفات الأساسية التي تبين معدن الرِّجال، حتى كان أنبياء الله تعالى يسألون الله عزَّ وجلَّ أن يجعلهم من الصادقين، فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام يدعو ربَّه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾[1]. ويثني ربنا ﷻ على من تحلى بالصدق ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾[2].

ولقد كان نبيُّنا محمَّد ﷺ يسمى: الصادق الأمين قبل بعثته، فضلا عن كونه متحليًا بالخصال الحميدة بعد بعثته ﷺ، قد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين بالصدق في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[3].

وقد حثَّ النبي الكريم ﷺ أتباعه المؤمنين بالتحلي بالصدق، والتزامه في أطوار حياة الإنسان كلها فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (عليكم بالصدق. فإنَّ الصدق يهدي إلى البرِّ. وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّة. وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقًا...)[4].

والصدق في حدِّ ذاته ملازم للإيمان، ومرتبط بالتقوى، بل لا

---

(١) [سورة الشعراء: ٨٤ – ٨٥].

(٢) [سورة مريم: ٥٤].

(٣) [سورة التوبة: ١١٩].

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة التوبة]، وما ينهى عن الكذب ٧/ ١٢٤رقم ٦٠٩٤. وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ٤/ ٢٠١٣ رقم ٢٦٠٧.

يمكن أن يجتمع إيمان عميق كامل وكذب صريح في قلب مؤمن واحد أبدًا وهذه الحقيقة اتضحت في حديث صفوان بن سليم ﷺ أنه قال: (قيل لرسول الله ﷺ: أيكون المؤمن جبانًا؟ فقال: «نعم» فقيل له: أيكون المؤمن بخيلا؟ فقال: «نعم» فقيل له: أيكون المؤمن كذابا؟ فقال: «لا»)[1].

فالداعية المشتهر بالكذب يسقط اعتباره، وتذهب مهابته، ويصبح هملاً فيسقط المتاع[2].

وينبغي على الداعية أن يكون صادقًا في كلِّ أحواله حتى يقبل عليه النَّاس، ويقبلوا منه ما يدعوهم إليه، وعليه أن يكون صادقًا في لسانه، وفي قصده، وفي أعماله، وفي مواعيده ووعوده وصادقًا مع ربِّه ومع نفسه ومع الآخرين لقد نزلت آية تتلى إلى يوم القيامة ميزت أهل الصدق في عهدهم مع ربِّهم ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[3].

وعن أنس ﷺ أنَّ عمَّه أنس بن النضر ﷺ غاب عن بدر، فقال: (غبت عن أوَّل قتال مع النبي ﷺ، لئن أراني الله مشهدًا مع النبي ﷺ ليرين الله ما أصنع فلقي يوم أحد فهزم النَّاس، فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما جاء به المشركون، فتقدَّم

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب: الكلام، باب: ما جاء في الصدق والكذب، وقال محمَّد فؤاد عبد الباقي: هو حديث حسن مرسل ٢/ ٩٩٠ رقم ١٩.
(٢) أخلاقية الداعية، عبد الله ناصح علوان ١٦ وما بعدها.
(٣) [سورة الأحزاب: ٢٤].

بسيفه، فلقي سعد بن معاذ ﷺ فقال: أين يا سعد؟ إني أجد ريح الجنة دون أحد، فمضى فقتل، فما عرف حتى عرفته أخته بشامة – أو ببنانه – وبه بضع وثمانون من طعنة، وضربة، ورمية بسهم)[١].

وإذا صدق العبد مع ربِّه في حياته صدقه في دعائه، فقد قدم وفد من عضل والقارة[٢]، فقالوا : يا رسول الله إن فينا إسلامًا فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقِّهوننا في الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام، فبعث معهم ستة، وفي الطريق غدروا بهم، وممن قتل: عاصم بن ثابت ﷺ فأرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد، وكانت نذرت حين أصاب ابنيها يومَ أحد : لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه –أي جمجمته – الخمر، فأرسل الله النحل تحميه، وقالوا : اتركوه إلى المساء فلما كان المساء أرسل الله سيلًا احتمل عاصمًا لا يدرون من أين جاء ولا إلى أين ذهب.

وذلك لأنَّ عاصمًا عندما أسلم سأل الله وعاهده بصدق ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركًا أبدًا[٣].

فرضي الله عن هذا الصحابي الجليل فقد صدق مع الله في حياته فأصدقه الله بعد مماته[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة أحد، ٥/ ٣٦ –٣٧ رقم ٤٠٤٨. وللاستزادة انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٥٢٣.

(٢) قبيلتان من الهون بن خزيمة بن مدركة.

(٣) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين ٣/ ١٧٨ وما بعدها، تهذيب سيرة ابن هشام، عبد السلام هارون١٩٥ وما بعدها.

(٤) للاستزادة انظر: المنهاج في ضوابط السلوك والمنجيات، هاشم محمَّد ١٢٣ وما بعدها، صفات الدعاة، د. عبد الرب نواب الدين ١٢٨ وما بعدها

التيسير

من الصفات التي تساعد الدعاة على الإيصال بدعوتهم بين الناس: معالجة الأمور باليسر والتيسير لا بالعسر والتعسير.

إن القاعدة النبوية في التعامل مع الآخرين والتي يجب أن تحكم أسلوب الدعوة والداعية، تبدو واضحة جلية في حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: (يسروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفروا)[1].

وفيما ترويه أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت: (ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا)[2].

ويحض رسول الله ﷺ في الحديث الذي يرويه عبد الله بن مسعود ﷺ حيث قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أخبركم بمن يحرم على النَّار، أو بمن تحرم عليه النار؟ على كل قريب هين سهل)[3].

إنَّ سماحة الداعية ولينه وسهولة معشره هي التي تفتح مغاليق القلوب، وتنفذ به إلى أعماق النفوس، يلامسها بالهداية فتقبل، ويدعوها إلى الخير فتستجيب، وهذا الخلق يجب أن يغطي مساحة حياة الداعية كلّها، وأن يكون ملازما له في كل شأن من شؤونه، في

(١) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ١/ ٣٠ رقم ٦٩، وأخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: في الأمر بالتيسير وترك التنفير ٣/ ١٣٥٩ رقم ١٧٣٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: صفة النبي ﷺ ٤/ ٢٠١ رقم ٣٥٦٠، وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: مباعدته ﷺ للآثام، واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته ٤/ ١٨١٣ رقم ٢٣٢٧

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب: صفة القيامة، صحيح سنن الترمذي، الألباني ٢/ ٣٠٤ رقم ٢٦١٩.

دعوته، وفي حياته اليومية وفي حياته العامة، وفي سائر أموره.

ولقد كان من سماحة الإسلام أن جعل أحكامه وتشريعاته مبنية على التيسير ورفع المشقة والحرج عن الأمة يقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إنَّ الدين يسر، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)[3].

لقد يسر الله ﷻ الأخذ بأحكام الإسلام فجعلها مقدورة من جهة، وتزال الكلفة عند حدوث المشقة قال تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[4].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم. فإنَّما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم)[5].

تتمثل السهولة واليسر في شريعة الإسلام في كل أوامره وأحكامه،

(١) [سورة البقرة: ١٨٥].
(٢) [سورة الحج: ٧٨].
(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ ٨/ ١٨٠ رقم ٧٢٨٨، وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف ٣/ ١٨٣٠رقم ١٣٣٧.
(٤) [سورة البقرة: ٢٨٦].
(٥) أخرجه البخاري في كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ ٨/ ١٨٠ رقم ٧٢٨٨، وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف ٣/ ١٨٣٠رقم ١٣٣٧.

ومنهـا: شـعائره التعبديـة الأساسـية، فالصلـوات لـم تفـرض أكثـر مـن خمـس مـرات فـي اليـوم والليلـة، وكـذا الصيـام لـم يفـرض أكثـر مـن شـهر واحـد علـى مـدار العـام، وكـذا العمـرة واحـدة فـي العمـر كلـه، وهـذه الـزكاة فرضـت علـى الأغنيـاء إذا ملكـوا النصـاب ودار علـى مالهـم حـولٌ كامـل، وهـذه الشـريعة الميسـورة تتحقـق بدرجـة أكبـر عنـد العجـز، فـإذا فقـد المـاء لمـن يريـد الصـلاة نابـه التـراب، وإذا أصيـب الإنسـان بمـرض صلـى قاعـدا، وإذا شـارف علـى الهلكـة أبيـح لـه بعـض المحرمـات كأكل لحـم الميتـة ومـا شـابهها.

إنَّ الدعـوة الإسـلامية بحاجـة ماسـة إلـى دعـاة لديهـم مـع العلـم الرَّاسـخ فقـه ثاقـب حتـى لا يحجـر علـى المدعـو كثيـرا فيبتعـد كثيـرا عـن هـذا الخيـر الـذي يدعـى إليـه.

الصبر

الصبر في اللغة: حبس النفس وكفها عن الجزع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[1]. أي احبس نفسك معهم.

وفي الاصطلاح: هو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسهما عنه[2]. وهو حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش[3].

قال ابن القيم رحمه الله: ذكر الصبر في القرآن الكريم على نحو من ستة عشر نوعًا.

الأول: الأمر به نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[4].

الثاني: النهي عن ضده كقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾[5].

الثالث: الثناء على أهله كقوله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[6].

---

(١) [سورة الكهف: ٢٨]. وانظر: مختار الصحاح، الرازي ٣٥٤، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المقري الفيومي ١/ ٣٩٢.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق: محمَّد سيد كيلاني ٢٧٣.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم، تحقيق: محمَّد حامد الفقي ٢/ ١٥٦.

(٤) [سورة البقرة: ١٥٣].

(٥) [سورة الأحقاف: ٣٥].

(٦) [سورة البقرة: ١٧٧].

الرابع: إيجابه سبحانه محبته لهم، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[١].

الخامس: إيجاب معيته لهم، وهي قيمة خاصة تتضمن: حفظهم ونصرهم وتأييدهم، ليست معية عامة، وهي معية العلم والإحاطة كقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٢].

السادس: إخباره بأن الصبر خير لأصحابه، كقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾[٣].

السابع: إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم، كقوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤].

الثامن: إيجابه سبحانه الجزاء لهم بغير حساب، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٥].

التاسع: إطلاق البشرى لأهل الصبر، كقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[٦].

العاشر: ضمان النصر والمدد لهم، كقوله تعالى: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[٧].

---

(١) [سورة آل عمران: ١٤٦].
(٢) [سورة الأنفال: ٤٦].
(٣) [سورة النحل: ١٢٦].
(٤) [سورة النحل: ٩٦].
(٥) [سورة الزمر: ١٠].
(٦) [سورة البقرة: ١٥٥].
(٧) [سورة ال عمران: ١٢٥].

الحادي عشر: الإخبار منه تعالى بأن أهل الصبر هم أهل العزائم، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[1].

الثاني عشر: الإخبار أنه ما يلقى الأعمال الصالحة وجزاءها والحظوظ العظيمة إلا أهل الصبر، كقوله تعالى: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[3].

الثالث عشر: الإخبار أنه إنما ينتفع بالآيات والعبر أهل الصبر، كقوله تعالى: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[4].

الرابع عشر: الإخبار بأنَّ الفوز المطلوب المحبوب، والنجاة من المكروه المرهوب، ودخول الجنة إنما نالوه بالصبر، كقوله تعالى: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[5].

الخامس عشر: أنَّه يورث صاحبه درجة الإمامة، فبالصبر واليقين تنال الإمامة بالدين لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[6].

السادس عشر: اقترانه بمقامات الإسلام، والإيمان، كما قرنه الله

(١) [سورة الشورى: ٤٣].
(٢) [سورة القصص: ٨٠].
(٣) [سورة فصلت: ٣٥].
(٤) [سورة إبراهيم: ٥].
(٥) [سورة الرعد: ٢٣ - ٢٤].
(٦) [سورة السجدة: ٢٤].

سبحانه باليقين، والإيمان وبالتقوى، والتوكل، وبالشكر، والعمل الصالح، والرحمة، ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه جسد لمن لا رأس له.

عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (... والصبر ضياء...)[1].

وعن صهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (عجبا لأمر المؤمن. إنَّ أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له. وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له)[2].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ: (إنَّ ناسا من الأنصار سألوا رسولَ الله ﷺ فأعطاهم، ثمَّ سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عندَه فقال: ما يكون عندي من خيرٍ فلن أدَّخرَه عنكم، ومن يستعفف يعفّه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر)[3] ، وقد أمر ﷺ عند ملاقاة العدو بالصبر.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (الصبر عند الصدمةِ الأولى)[4]. فالصبر أنفع الأمور للمصاب لأنَّه يخفف المصيبة،

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء ١/ ٢٠٣ رقم ٢٢٣.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير ٤/ ٢٢٩٥ رقم ٢٩٩٩.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف في المسألة، ٢/ ١٥٧ رقم ١٤٦٩، وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: فضل التعفف والصبر ٢/ ٧٢٩ رقم ١٠٥٣.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: الصبر عند الصدمة الأولى،٢/ ١٠٥ رقم ١٣٠٢، وأخرجه مسلم في كتاب: الجنائز، باب: في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى ٢/ ٦٣٧ رقم ٩٢٦.

ويوفر الأجر، بخلاف الجزع والتسخط والتشكِّي فإنَّه يزيد في المصيبة ويذهب الأجر[1].

أنواع الصبر:

١ - صبر عن معصية الله:

وذلك بمطالعة الوعيد، إبقاء على الإيمان، وحذراً من الحرام وحياء من الواحد الديان.

٢ - صبر على طاعة الله:

بالمحافظة عليها دوما، وبرعايتها إخلاصا وبتحسينها علما.

وفعل الطاعة آكد من ترك المعصية، فيكون الصبر عليها فوق الصبر عن ترك المعصية في الدرجة. فترك المعصية إنَّما كان لتكميل الطاعة، والنهي مقصود للأمر. فالمنهي عنه لما كان يضعف المأمور به وينقصه: نهى عنه حماية، وصيانة لجانب الأمر، فجانب الأمر أقوى وآكد، وهو بمنزلة الصحة والحياة، والنهي بمنزلة الحمية التي تراد لحفظ الصحة وأسباب الحياة.

ولا بدَّ وأن تكون هذه الطاعة خالصة لله تعالى، ومطابقة لسنة رسول الله ﷺ حتى تقبل.

٣ ٠ الصبر على البلاء:

بملاحظة حسن الجزاء، وانتظار روح الفرج، وتهوين البلية بعد أيادي المنن وبذكر سوالف النعم[2].

---

(١) للاستزادة انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، تحقيق: محمَّد حامد الفقي ٢/ ١٥٣ وما بعدها.

(٢) انظر: المرجع السابق ٢/ ١٦٤ - ١٦٨.

والصبر في مجال الدعوة وفي حياة الدعاة يشمل هذه الأنواع الثلاثة، فالداعية يصبر على طاعة الله وعن معصيته في حال التزامه بما يدعو إليه ويصبر على أقدار الله المؤلمة والمشكلات التي قد تعترضه في طريق دعوته وهذا النوع من الصبر هو من عزائم الأمور[١].

الداعية إلى الله في أمس الحاجة إلى خلق الصبر، إذ إنَّ نظام الكون اقتضى أن يكون لأصحاب الدعوات أعداء يمكرون بهم، ويكيدون لهم ويتربصون بهم الدوائر، ولذلك كان لآدم عليه السلام إبليس، وكان لإبراهيم عليه السلام نمروذ، وكان لموسى عليه السلام فرعون، وكان لمحمد ﷺ أبو جهل ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾[٢].

فما أحوج الداعية إلى الصبر على هذا البلاء ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾[٣].

وقد جاء التوجيه لنبيِّنا محمَّد لثلة وهو خير الدعاة وإمامهم: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾[٤].

فإذا كان الصبر ضروريًّا لكل مسلم فإنَّه بالنسبة للداعي أشد ضرورة لأنَّ الداعية يعمل في ميدانين: ميدان نفسه، يجاهدها ويحملها على الطاعة، ويمنعها من المعصية، وميدان خارج نفسه وهو ميدان الدعوة الفسيح، ومخاطبة الناس ومخالطتهم لأنَّ المؤمن الذي يخالط

(١) انظر: صفات الدعاة، د. عبد الرب نواب الدين ١٧ وما بعدها.
(٢) [سورة الفرقان: ٣١].
(٣) [سورة الأنعام: ٣٤].
(٤) [سورة الأحقاف: ٣٥].

الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم[١].

ولقد أدرك هذه الحقيقة لقمان الحكيم وهو يوصي ولده وصيته المشهورة التي نص عليها القرآن الكريم: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[٢].

ونلاحظ في هذه الوصية المباركة أنَّ لقمان رتب الأمر ترتيبًا يحسن بالدعاة مراعاته، حيث بدأها بإعداد النفس وأخذها بالطاعة، ثمَّ ثنَّى بدعوة الغير ثمَّ أمره بالصبر على ما يصيبه، وتحمل ما يعرض له[٣].

ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في صبره وشدَّة تحمله على ما أصابه في طريق الدعوة فقد ألصقت به ﷺ عبارات السوء فقالوا عنه: شاعر، وكاهن، وساحر، ويعلمه بشر... إلخ وقد كسرت رَبَاعِيَتُه وشج وجهه يومَ أحد، وصبر على ذلك.

وكان من صور صبره ﷺ في دعوته للمشركين:

ما جاء في حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: (شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردةً له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن

(١) انظر: الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمين عبد العزيز، ٦٠ - ٦١.
(٢) [سورة لقمان: ١٧].
(٣) أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمَّد السيد الوكيل ٧٧.

دينه. والله ليتمنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنَّكم تستعجلون)[1].

وعن عائشة ﵂ قالت: (يَا رَسولَ اللهِ، هلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كانَ أَشَدَّ مِن يَومِ أُحُدٍ؟ فَقالَ: لقَدْ لَقِيتُ مِن قَوْمِكِ وَكانَ أَشَدَّ ما لَقِيتُ منهمْ يَومَ العَقَبَةِ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي علَى ابْنِ عبدِ يَالِيلَ بنِ عبدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إلى ما أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ علَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إلَّا بقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بسَحَابَةٍ قدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقالَ: إنَّ اللَّهَ ﷻ قدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَما رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فيهم، قالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ، إنَّ اللَّهَ قدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بأَمْرِكَ، فَما شِئْتَ، إنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهمُ الأَخْشَبَيْنِ[2]، فَقالَ له رَسولُ اللهِ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أَصْلَابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ به شيئًا)[3].

وكان من صور صبره ﷺ في دعوته للمسلمين:

ما رواه عبد الله بن مسعود ﵁ قال: (لما كان يومَ حنين آثر النبي ﷺ أناسًا في القسمة: فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل. وأعطى عيينة مثل ذلك. وأعطى أناسا من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة قال رجلٌ: والله إنَّ هذه القسمة ما عدل فيها وما

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، ٤/ ٢٧ رقم ٣٦١٢.
(٢) الأخشبان: هما جبلا مكة: أبو قبيس، والجبل الذي يقابله.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ٣/ ١٤٢٠ - ١٤٢١ رقم ١٧٩٥.

أريد بها وجه الله. فقلت والله لأخبرنَّ النبيَّ ﷺ فأتيته فأخبرته. فقال فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ رحم الله موسى عليه السلام قد أوذي بأكثر من هذا فصبر فقلت: لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثًا)[1].

وما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كنت أمشي مع النبيِّ ﷺ وعليه بردٌ جراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبيِّ ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ثمَّ قال: مُرْ لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء)[2].

وقد حث المصطفى ﷺ المسلمين عامَّة والدعاة خاصة بضرورة التحلي بالصبر بأنواعه الثلاثة في أحاديث كثيرة منها:

ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ، وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ)[3].

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول:

(١) أخرجه البخاري في كتاب: فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس، ٤/ ٧٢ رقم ٣١٥٠. وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ٢/ ٧٣٩ رقم ١٠٦٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: فرض الخمس، باب: ما كان النبي لجل يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ٤/ ٧٢ رقم ٣١٤٩.

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب: الفتن، باب: الصبر على البلاء، صحيح سنن ابن ماجه، الألباني ٢/ ٣٧١ رقم ٤٠٢٣. وأخرجه الترمذي في أبواب: الزهد، باب: الصبر على البلاء، صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٨٦ رقم ٢٥٢٢.

(ما يصيبُ المؤمنَ مِن وَصَبٍ[١]، ولا نَصَبٍ[٢]، ولا سقمٍ، ولا حزن، حتَّى الهم يهمه إلا كفِّر به من سيئاته)[٣].

وعن معاذ بن أنس ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله عزَّ وجلَّ على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور ما شاء)[٤].

والصبر قوَّة نفسية إيجابية فعالة، تدفع المتحلي بها إلى مقاومة كل أسباب الخور والضعف والاستكانة والاستسلام، وتحمله على الصمود والثبات أمام الفتن والمغريات، وأمام المحن والمكاره والأحداث إلى أن يأذن الله له بالنصر والتوفيق أو أن يلقى الله عزَّ وجلَّ وهو عنه راضٍ[٥].

والناس أصحاب أمزجة شتى، وعيوب شتى، وطباع شتى، وحاجات ومصالح شتى، ومشكلاتهم كثيرة، وهمومهم كبيرة، يحتاجون إلى من يتسع لهم، والداعية الموفق هو الذي يعيش لغيره لا لنفسه، وتهمه سعادة غيره ولو على حساب سعادة نفسه، يتجرع الغيظ في ذلك وهو على يقين بأنه سيتحول في جوفه إيمانًا، وسيكون له ذخرا عند الله يوم الحساب.

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من جرعة أعظم أجرًا عند الله، من جرعة غيظ، كظمها عبد ابتغاء وجه الله)[٦].

---

(١) الوصب: الوجع اللازم.

(٢) النصب: التعب.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها ٤/ ١٩٩٢ -١٩٩٣ رقم ٢٥٧٣.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: في الحلم وأخلاق النبي ﷺ، صحيح سنن أبي داود، الألباني ٣/ ٩٠٧ - ٩٠٨ رقم ٣٩٩٧.

(٥) صفات الداعية لنفسية، عبد الله ناصح علوان ٣٥.

(٦) أخرجه ابن ماجه في كتاب: الزهد، باب: الحلم، صحيح سنن ابن ماجه، الألباني ٢/ ٤٠٧ رقم ٤١٨٩.



الفصل الثاني

الصفات اللازمة

أولا: التخطيط للدعوة

يظنُّ كثير من الدعاة أن الدعوة تقوم على قول الكلمة الخيرة في أي وقت، وفي أي مكان، وفي أي ظرف، وأنها تسير بطريق عشوائي يستوي فيه الدعاة على اختلاف إمكانياتهم[1].

والواقع أن هذا الظنَّ خاطئ، فكما أن الكلمة الخيرة لها جمال، وفيها بركة، إلا أنه يصحب كلمة الخير بل ربما يسبقها كلمات كثيرات زخرفت بفنون الباطل ومحاسنه، مما يكون له تأثير ساحر على قلوب كثيرين من الناس. ومما يدل على ذلك كثرة ما نسمع في عالمنا اليومَ، وفي واقع النَّاس، اليوم وفي محيط الدعوة المعاصر من: كلمات وتوجيهات وخطب ومواعظ وإرشادات ووصايا وتعليقات ولكن المستجيب لها قليل، فما أكثر العبر وأقل الاعتبار! ولذا فإنَّه ينبغي على الدعاة أن يبحثوا في أسباب عدم استجابة المدعو لكلمة الحقِّ مع جلالها وفضلها، هل يعود عدم استجابته إلى مشكلات في المدعو لكلمة الحقِّ مع جلالها وفضلها، أم يعود ذلك إلى مشكلات فيهما معًا.

إنَّ كثيرًا من الدعاة يتصور أنَّ همَّه وهدفه ومنتهى أمله ينتهي في تلك الكلمة التي يلقيها على المدعو ولا ينظر في آثارها ومغزاها وفق الاستجابة لها ويستشهد بقول الرسول ﷺ: (ألا هل بلغت اللهمَّ فاشهد)[2]. ولم يتصور هؤلاء أنَّ إمام الدعاة ﷺ مكث سنوات طويلة

(١) قواعد الدعوة إلى الله، د. همام عبد الرحيم سعيد، ١١٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: ليبلغ العلم الشاهد الغائب، ١/ ٤٠ رقم ١٠٥، وأخرجه مسلم في كتاب: القسامة، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ٣/ ١٣٠٥ رقم ١٦٧٩.

أبان فيها معالم دعوته قبل أن يقول هذه الكلمة، ثم إنه لحقبة لم يقل هذه الكلمة الجامعة المانعة، إلا حينما كان في ذلك المجمع العام وهو مجمع حجة الوداع وكان يخشى ﷺ أنه لا يلقى هذه الجموع مرة أخرى فكان ما قال.

إن الدعوة إلى الله بحاجة ماسة إلى:

تخطيط قويم:

أن يعنى به دعاة اليوم كما عني بها دعاة الأمس من دعوة النبي ﷺ وسلف الأمة الصالح رضي الله عنهم.

إن المتفحص في سيرة النبي ﷺ يرى أنه كان يعنى بالتخطيط، فقد كان ﷺ يختار العينات الصالحة لأن تكون رسلا للبشارة بالإسلام وهداية الناس إليه، فقد أرسل مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة المنورة، وأرسل معاذ ابن جبل رضي الله عنه إلى اليمن، وحبيب بن زيد رضي الله عنه إلى مسيلمة الكذاب، وقد كان يخبرهم بأحوال هذه المجتمعات وما هي عليه، وما يصلح لها من دعوة، وقد أقام نبي الإسلام ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم لتربية الصحابة وتعليمهم أمور الإسلام، وقد عاش بدعوته السرية ثلاث سنوات حتى كثر أتباع هذه الدعوة وأصبح لها قيمة في المجتمع المكي، وكذا كانت الهجرة النبوية تمضي بخطة مدروسة محكمة آتت ثمارها الحسنة والإيجابية.

إن التخطيط الواعي للدعوة هو الذي يوصل إلى النتائج المثمرة بأقصر الطرق بعد توفيق الله ﷻ، وهو الذي ينقل الدعوة من قالبها التقليدي الجامد إلى روح عصرية جديدة تستخدم أفضل الوسائل،

وتستخدم أرقى الأساليب وتفيد من وسائل الاتصال المعاصرة والتقنية الحديثة المتطورة لتصل إلى كل قلب، من خلال محبوبات الناس ورغباتهم.

إن مما ينبغي بيانه والتأكيد عليه أن البذرة مهما كانت صالحة فإنها تحتاج في نمائها إلى صلاح الأرض، وطيب التربة، وملاءمة الطقس للغرس والإنبات، وكذلك كلمة الحق رغم أنها تحمل في داخلها تأثيرًا طبيعيًا، فإنها تحتاج إلى أن يراعي الداعية عند عرض الدعوة أوضاع المخاطب النفسية، فإن القلوب والنفوس تختلف إقبالاً وإدبارًا، وتقدمًا وتخلفًا، ورغبةً وإعراضًا بفعل الملابسات والأحوال التي تناوبها كاختلاف المواسم والفصول تمامًا في الملاءمة لشيء ما أو عدم الملاءمة له... إذن فيجب على العامل في مجال الدعوة الإسلامية أن يكون على معرفة تامَّة وخبرة عميقة بهذا الاختلاف الذي يواكب القلوب كمعرفة الفلاحين والمزارعين باختلاف المواسم وملاءمة الفصول لأنواع البذور والزروع[1].

(١) للاستزادة انظر: منهج الدعوة إلى الله، أمين أحسن إصلاحي، تعريب: سعيد الأعظمي الندوي، ونور عالم ا لندوي، ٨٧ وما بعدها.

ثانيًا: التجدد في الأساليب

إنَّ مما ينبغي أن يعنى به الدعاة إلى الله في مجال دعوتهم وميدان عملهم عدم اقتصارهم على أسلوب واحد يمله المستمع أو المدعو، فيتصور هذا المدعو أنَّ هذا الداعية لا يعرف في ميدان حقله وتجربته إلا هذا الأسلوب الواحد، وربما استخفَّ به وسخر منه ونكص عنه.

وينبغي أن تساق الدعوة في ثوب جميل مزين حتى تقبلها النفوس، حتى ولو دعا ذلك إلى أن يجرب في عرض الدعوة للآخرين عشرات الأساليب ثم يختار الداعية أنسب هذه الأساليب مع كل مدعو، أو كل طائفة تعرض عليها الدعوة، كما ينبغي أن يتنبه الدعاة إلى أمر مهم وهو أن الدعوة ينبغي أن تعرض عند الحاجة إليها، كما يصرف الطبيب الدواء، ولذا كان رسول الله ﷺ يتخول الصحابة ﷺ الموعظة خشية مللهم، مع أنَّهم من أشد الناس رغبة وقبولًا للدعوة، ولكن حال القلوب تتقلب فتقبل تارة، وتدبر تارة أخرى.

عن شقيق قال: كنا جلوسًا عند باب عبد الله بن مسعود ﷺ ننتظره. فمربنا يزيد بن معاوية النخعي. فقلنا: أعلمه بمكاننا. فدخل عليه فلم يلبث أن خرج علينا عبد الله ﷺ فقال: إني أخبر بمكانكم فما يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهية أن أملكم.(إنَّ رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة في الأيام. مخافة السآمة علينا)[1].

وتقول أم المؤمنين عائشة ﷺ لابن أبي السائب - قاص أهل

(١) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ١/ ٢٩ رقم ٦٨، وأخرجه مسلم في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: الاقتصاد في الموعظة ٤/ ٢١٧٢ رقم ٢٨٢١.

المدينة -(قص على الناس في كل جمعة، فإن أبيت فاثنتين، فإن أبيت فثلاثا، فلا تمل الناس هذا الكتاب، ولا ألقينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم، فتقطع عليهم حديثهم، ولكن أتركهم فإذا جروك عليه وأمروك به فحدثهم)[1].

ولقد كان أنبياء الله تعالى، ودعاة الحق يسيرون نحو هدفهم بعشرات الطرق، وقد عبر القرآن الكريم عن هذه الحقيقة بتصريف الآيات، أي تفهيم الحقيقة الواحدة وتقريبها إلى الأفهام بشتى الأساليب وأنواع الطرق.

وهم الداعية ينحصر في تبليغ الرسالة، وتقريبها إلى العقول، وبالتالي: إتمام الحجة على النَّاس، فلا بدَّ من التنويع في التفهيم، فقد لا يفهم الحديث بهذا الأسلوب، ولكنَّه يفهم بذلك الأسلوب، وقد لا يسيغ العقل هذا الكلام من هذه الناحية لكنَّه يسيغه من ناحية أخرى إساغة كاملة، وذلك لأنَّ الأفهام تختلف فيما بينها قوة وضعفًا كالطبائع والأذواق ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2].

ولم يقتصر القرآن الكريم على أسلوب واحد في عرضه لدعوة الأقوام، فمرة يسوق عرضه الدعوي بأسلوب الترغيب، وأخرى بالترهيب، وتارة بأسلوب القصة، وتارة بأسلوب المثل، ومرة بذكر أحوال الأمم السابقة وما حل بها، ومرة بذكر بعض حقائق الغيب..... وهكذا.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٢١٧رقم ٢٥٨٦٢، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره، الموسوعة الحديثية ٢٠/ ٤٣.

(٢) [سورة الأنعام: ١٠٥]. وللاستزادة انظر: منهج الدعوة إلى الله، أمين أحسن إصلاحي، تعريب: سعيد الأعظمي الندوي، ونور عالم الندوي ٧١ - ٧٢.

والداعية الناجح هو الذي يثير في السامعين مشاعر الانتباه والاهتمام، ويحرك في المجتمعين أحاسيس الانفعال والعاطفة حتى لا يقع المدعو أو المستمع في الملل. ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

حيث اشتمل تبليغ دعوته ﷺ للناس على أساليب متجددة ومنها:

١ - انتهاجه ﷺ أسلوب القصة:

وذلك في إخباراته ﷺ عن الأمم السابقة وما جرى لها من وقائع وأحداث كإخباره عن قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار[2].

وكإخباره ﷺ عن قصة الرجل الذي قتل تسعًا وتسعين نفسًا[3].

وكإخباره عن قصة إبراهيم عليه السلام، وهاجر وإسماعيل عليهما السلام[4].

إلى غير ذلك من القصص التي رواها الثقات وثبتت في الصحاح. فالداعية الموفق يستطيع أن يكيف عرض القصة أيا كانت بالأسلوب الملائم الذي يتناسب مع عقلية المخاطبين، كما أنه يستطيع أن يخرج

---

(١) [سورة الأحزاب: ٢١].

(٢) وردت القصة في صحيح البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار ٤/ ١٧٧ - ١٧٨، رقم ٣٤٦٥، وفي صحيح مسلم في كتاب: الرقاق، باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، ٤/ ٢٠٩٩ - ٢١٠٠، رقم ٠٢٧٤٣

(٣) وردت القصة في صحيح البخاري كتاب: الأنبياء، باب: حديث أبرص واعمى وأقرع في بني إسرائيل ٤/ ١٧٦ - ١٧٧ رقم ٣٤٦٤. وفي صحيح مسلم في كتاب: التوبة، باب: قبول توبة القاتل،٤/ ٢٨٨ رقم ٢٧٦.

(٤) وردت القصة في صحيح البخاري في كتاب: الأنبياء، باب: يزفون النسلان في المشي، ٤/ ١٣٧ رقم ٣٢٦٤.

من القصة مواطن العبرة والعظة ليكون أبلغ في التأثير وأقوى في الاستجابة.

٢ - انتهاجه ﷺ أسلوب الحوار والاستجواب:

ما أكثر الأساليب الحوارية والاستجوابية التي انتهجها نبي الرحمة محمَّد مع أصحابه ﷺ حين كان يدعوهم إلى الله ويربيهم التربية المثلى ومن ذلك: ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: (أتدرون من المفلس»؟ قالوا: المفلس فينا مَن لا درهم له، ولا متاع، فقال: «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيام وزكاة. ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكلَ مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخذ مِن خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار)[١].

وما هذا الأسلوب الحواري الذي انتهجه نبينا محمَّد ﷺ مع من يلتقي بهم ويدعوهم إلا ليثير انتباههم ويحرك فطنتهم وذكاءهم، ويذهب مللهم وسآمتهم، ويصب في مشاعر أحاسيسهم معين المعرفة وسلسبيل الهدى.

٣ - انتهاجه ﷺ أسلوب التعليم بالقدوة العملية:

عن حمران مولى عثمان أن عثمان بن عفان رضي الله عنه دعا بإناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرار فغسلهما ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنشق، ثم غسل وجهه ثلاثًا، ويديه إلى المرفقين ثلاث مرار، ثم

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم ٤/ ١٩٩٧ رقم ٢٥٨١.

مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرار إلى الكعبين، ثم قال: «من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غفر له ما تقدم من ذنبه»[1].

ولا يخفى ما في التعليم بالقدوة العملية من أثر طيب، وتعليم دقيق شامل، وترسيخ للعلم ثابت.

٤ - انتهاجه ﷺ أسلوب ضرب المثل:

كان ﷺ يستعين على توضيح توجيهاته الدعوية بضرب المثل مما يشهده الناس بأم أعينهم، ومما يقع تحت حسهم ومشاهدتهم، لينتقل بالناس في ضرب الأمثال من الصورة إلى الحقيقة ومن ذلك.

حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينةٍ فأصاب بعضُهم أعلاها وبعضُهم أسفلَها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ مَن فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا)[2].

وحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآنَ مثل الأترجة. ريحها طيب وطعمها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة. لا ريح لها وطعمها حلو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة. ريحها طيب وطعمها

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الوضوء، باب: الوضوء ثلاثًا ثلاثًا، ١/ ٥٥ رقم ١٥٩.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الشركة، باب: هل يقرع في القسم؟ والاستهام فيه، ٥/ ١٥٢ رقم ٢٤٩٣.

مر. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة. ليس لها ريح وطعمها مر)[1].

وحديث أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: (مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك، إمَّا أن يحذيَك، وإمَّا أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة. ونافخ الكير، إمَّا أن يحرق ثيابَك، وإمَّا أن تجد ريحًا خبيثة)[2].

٥- انتهاجه ﷺ أسلوب انتهاز المناسبات:

وكان ﷺ كثيرًا ما ينتهز المناسبة لمن يريد إصلاحهم وتوجيههم ليكون التعليق على المناسبة أبلغ في التأثير وأقرب للفهم والمعرفة ومن ذلك:

حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: «قدم على النبي ﷺ فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته. فقال لنا النبي ﷺ: أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدِها»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل القرآن على سائر الكلام، ٦/ ١٣٠ رقم ٥٠٢٠، وأخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة حافظ القرآن، ١/ ٥٤٩ رقم ٧٩٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الذبائح والصيد، باب: المسك، ٢/ ٢٨٧ رقم ٥٥٣٤، وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، ٤/ ٢٠٢٦ رقم ٢٢٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ٧/ ٩٩ رقم ٥٩٩٩، وأخرجه مسلم في كتاب: التوبة، باب: سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه ٤/ ٢١٠٩ رقم ٢٧٥٤.

ولا شكَّ أن انتهاز المناسبة هو من أعظم العوامل المؤثرة في إصلاح المجتمع وتربية الأمَّة واستصلاح الأفراد.

٦ - انتهاجه ﷺ أسلوب الالتفات إلى الأهم:

وكان ﷺ يلفت السائل عن سؤاله إلى ما هو أهم منه، ومن ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن رجلا سأل النبي ﷺ متى الساعة يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها من كثير صلاة، ولا صوم. ولا صدقة ولكنِّي أحب الله ورسوله، قال: أنت مع من أحببت)[١].

ولا شكَّ أنَّ الداعية حينما ينتهج هذا المسلك ويعني بالإجابة على السؤال لكنَّه يركز على ما هو أهم منه أو ما ينبغي أن يؤكد عليه كان ذلك عين المصلحة.

هذه أهمُّ الأساليب التي كان يتبعها نبينا محمَّد ﷺ في توجيه الكبار وتعليم الصغار وإرشاد الخاصة وهداية العامَّة وتثبيت الفضائل وتقويم الاعوجاج، ولم يكن ينتهج أسلوبا واحدا في إرشاد الناس ودعوتهم إلى الخير وإنَّما كان ينتقل بين هذه الأساليب وغيرها مراعاة لحال المدعو[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: علامة الحب في الله، ٧/ ١٤٦ رقم ٦١٧١

(٢) وللاستزادة انظر: كيف يدعو الداعية، عبد الله ناصح علوان ١٧٧ - ١٣٥.

ثالثًا: الإلمام بفنون القول والتبليغ

لا ينتهي عمل الداعي بمجرد الإفصاح عن الحقيقة، بل يجب عليه أن يجعلها من الوضوح بمكان يتذوقها الكبار، ويستطيع العوام أن يستسيغوها دون جهد وعناء، ثم يجب أن تكون تجلية هذه الحقيقة بأسلوب رشيق جدا، حتى يقبلها من المخاطبين كل من لديه أدنى إحساس لقبول الحق[1].

وأجناس الكلام لا تخرج عن واحد من ثلاثة:

١ - البليغ الرصين الجزل.

٢ - الفصيح القريب السهل.

٣- الجائز الطلق الرسل.

والمخاطبون ليسوا سواء، فمنهم: الحضري الذي هذب لسانه، ومنهم سكان البادية الذين أكسبتهم البداوة قوة ورصانة.

وإذا كان المخاطبون كذلك، فإن الموضوعات التي يقصدها إليهم المتكلم ليست سواء كذلك، فالحديث عن الوصف، يختلف عن الحديث عن الهجاء، وهذا يختلف عن الفخر، وأسلوب الرثاء يختلف عن أسلوب الهجاء، كما أن التقريع والتبكيت يختلف عن أسلوب التحبب والمؤانسة، وأسلوب التخويف يختلف عن أسلوب الترجي، لذلك لا بد له من كلمات قوية كأنما هي الرعد القاصف، كلمات تقرع القلوب، وترتجف لها النفوس، وترتج من سماعها الأفئدة، أما

(١) انظر: منهج الدعوة إلى الله، أمين أحسن إصلاحي، تعريب: سعيد الأعظمي الندوي، ونور عالم الندوي، ٦٧.

أسلوب التأنيس والإطماع فلا بد له من الكلمات الرقيقة التي تتدفق عذوبة وحيوية.

ولما كانت الفخامة ناشئة عن القوَّة، وكانت العذوبة ناشئة عن السهولة، كانا كالمتضادين؛ لأنَّ الفخم القوي لا يتفق مع السهل السلس، وما أشبهها برجلين: أحدهما: شديد صلب قوي العريكة، والآخر: سهل موطَّأ الأكناف. وبلاغة القرآن الكريم اشتملت على هذه الأنواع الثلاثة.

فإذا كان الحديث عن المكذبين، رأيت الجزالة القوية بارزة في الأسلوب، ويدل على ذلك صدر سورة الحاقة.

وإذا كان الحديث عن ما أعد الله للمؤمنين، تجد الكلمات السلسة العذبة بارزة في الأسلوب، ويدل على ذلك صدر سورة الإنسان.

وفيما بين هذا وذاك تجد الوسط، وربما تقرأ الآيات من كتاب الله تعالى فتجدها اشتملت على الأجناس الثلاثة معا، وليس بعض هذه الثلاثة أبلغ من بعض، بل إن كل واحد في مكانه، وسياقه هو آية الحسن[1].

(١) للاستزادة انظر: إعجاز لقرآن، الجرجاني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز لقرآن للرماني، والخطابي، والجرجاني، تحقيق: محمَّد خلف الله أحمد، د. محمَّد زغلول سلام، ٢٢، ٢٦، ٢٧.

ومما يحسن بالداعية العناية به أمور منها:

١ - التحدث باللغة العربية الفصيحة:

يرجع ذلك إلى أن مادة الدعوة وموضوعها يقومان على القرآن الكريم، والقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، كما وضح ذلك القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٣].

٢ - الاقتصاد في القول بقدر الحاجة:

عن الحكم بن حزن الكلفي ﷺ قال: وفدت إلى رسول الله ﷺ سابع سبعة، أو تاسع تسعة، فدخلنا عليه فقلنا: يا رسول الله زرناك فادع الله لنا بخير- فأمر بنا أو أمر لنا، بشيء من التمر، والشأن إذ ذاك دون - فأقمنا بها أياما، شهدنا فيها الجمعة مع رسول الله لجلة، فقام متوكئًا على عصا، أو قوس، فحمد الله وأثنى عليه كلمات خفيفات طيبات مباركات، ثم قال: (أيها الناس، إنكم لن تطيقوا -أولن تفعلوا - كل ما أمرتم به ولكن سدِّدوا وأبشروا)[٤].

وكان رسول الله ﷺ يتخوَّل الصحابة ﷺ بالموعظة خشية السآمة.

---

(١) [سورة النحل: ١٠٣].

(٢) [سورة الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

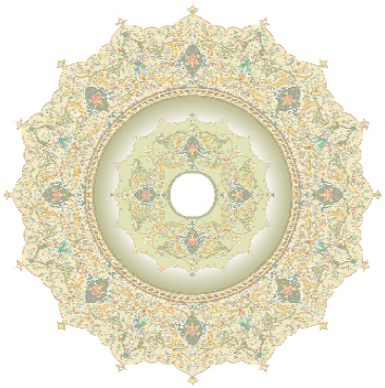
(٣) [سورة الزخرف: ٣].

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٢٢ رقم ١٧٨٨٩، وأخرجه أبوداود في كتاب: الصلاة، باب: الرجل يخطب على قوس، صحيح سنن أبي داود، الألباني ١/ ٢٠٤ رقم ١٠٩٦.

٣ - الابتعاد عن التفاصح:

عن عائشة ﵂ قالت: (كان كلام النبي ﷺ فصلاً يفقهه كل أحد لم يكن يسرده سردا)[١].

وعن جابر بن عبد الله ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ من أحبِّكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم منِّي يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارين والمتشدقين فما المتفيهقون؟ قال المتكبرون»[٢]. إن على الداعية أن يبتعد كل الابتعاد عن التنطع بالكلام والتشدق بالحديث، والثرثرة باللسان، والتكلف بالفصاحة.



(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/ ١٣٩ رقم ٢٥١٢١، وأخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: الهدى في الكلام، صحيح سنن أبي داود، الألباني ٣/ ٩١٧ - ٩١٨، رقم ٤٠٥١، وأخرجه الترمذي في أبواب: المناقب، باب: صفة النبي ﷺ، صحيح سنن الترمذي، الألباني ٣/ ١٩٦ رقم ٢٨٧٨.

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب: البر والصلة، باب: ما جاء في معالي الأخلاق، صحيح سنن الترمذي، الألباني ٢/ ١٩٦ - ١٩٧، رقم ١٦٤٢.

رابعًا: انتهاز الفرص

لقد سلك أنبياء الله عليهم السلام مع أقوامهم طرقا متعددة في عرضهم للدعوة، سواء أكان ذلك مع الملأ، أم مع العامَّة رغبة في استجابتهم وإقبالهم على ما يدعونهم إليه، ولنا فيهم الأسوة الحسنة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

وإنَّ الداعية اللبيب هو الذي يفيد من الدروس الدعوية التي تبرزها سور القرآن الكريم فيما يتعلق بدعوة الأنبياء لأقوامهم، وإن من المواقف الدعوية التي أبرزتها سورة يوسف ذلك الموقف الفريد الذي تبناه نبي الله يوسف عليه السلام مع صاحبي السجن، ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿يَا صَاحِبَيِ

(١) [سورة يوسف: ١١١].

السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[1].

فهذا الموقف بكل تفاصيله: هنالك رجلان يدخلان السجن، ويريان في المنام رؤيا عجيبة، فيتوقان إلى الاطلاع على الحقيقة التي تنطوي عليها هذه الرؤيا، فيريان يوسف عليه السلام بين هؤلاء السجناء، الرجل الوحيد الذي يمكن أن يسعفهم بالحاجة، فيعرضان عليه، وهما يكنّان له كل الإجلال والإكبار، والتقدير والإعجاب، ولكن يوسف عليه السلام لا يسرع في الإجابة، ولا يكتفي بإرضاء الحاجة، ولا يستغل هذه الفرصة في تضخيم شخصيته أمام أعينهما، أو في كسب إعجابهما، أو في نيل المصالح الذاتية، بل يقدر هذه اللفتة الكريمة الثمينة من الرجلين، فيستخدمها في نشر الدعوة.

وينفذ إلى الغرض من خلال الأسلوب الذي ينم عن أنَّ الكلام الدعوي تفرغ من صميم الحديث الذي بدأ فيه من أجل تأويل رؤياهما، ولم يقصده توا، مما يدل على أمرين مهمين:

الأول: أنَّه ينبغي للداعي أن يترقب الفرصة المناسبة لنشر الدعوة، ترقب الفرحين لنزول المطر، واعتدال الجو، ومواتاة الطقوس.

الثاني: أنَّه إذا أتاح الله له فرصة ما، تلائم عرض الدعوة، فلا يجوز له أن يدعها تضيع هدراً، بل يبادر في استعمالها في أكبر غاية وأعظم هدف[2].

---

(١) [سورة يوسف: ٣٦ - ٤١].

(٢) انظر: منهج الدعوة إلى الله، أمين أحسن إصلاحي، تعريب: سعيد الأعظمي الندوي، ونور عالم الندوي، ٩٣ وما بعدها.

وكان سبب حبس الملك للرجلين أنَّه توهم أنَّهما تمالآ على سمه في طعامه وشرابه، وكان يوسف عليه السلام، قد اشتهر في السجن بالجود والأمانة، وصدق الحديث، وحسن السمعة، وكثرة العبادة، ومعرفة التعبير والإحسان إلى أهل السجن، وعيادة مرضاهم، والقيام بحقوقهم، ولما دخل هذان الفتيان إلى السجن تآلفا به وأحبَّاه حبًّا شديدًا، وقالا له: والله لقد أحببناك حبًّا زائدًا، قال: بارك الله فيكما، إنه ما أحبني أحد إلا دخل علي الضرر بسببها، وأحبني أبي فأوذيت بسببه، وأحبتني امرأة العزيز فكذلك. فقالا: والله ما نستطيع إلا ذلك، ثم إنهما رأيا مناما فرأى الساقي أنه يعصر خمرًا، ورأى الآخر وهو الخباز أنه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه[1].

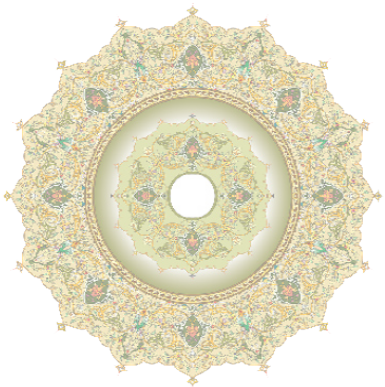
فقد استغل يوسف عليه السلام هذا الموقف؛ لكونه صاحب هدف سامٍ، ودعوة ربانية، فإن الفتيين - لما تقرر عند يوسف عليه السلام أنهما رأياه بعين التعظيم والإجلال، وأنَّه محسن معلم - ذكر لهما أن هذه الحالة، التي أنا عليها، كلها من فضل الله وإحسانه؛ حيث من علي بترك الشرك، وبإتباع ملة آبائي، فبهذا وصلت إلى ما رأيتما، فينبغي لكما أن تسلكا ما سلكت.

ثم صرَّح لهما بالدعوة: أأربابٌ عاجزة ضعيفة، لا تنفع ولا تضر، ولا تعطي ولا تمنع وهي متفرقة، ما بين أشجار، وأحجار، وملائكة، وأموات، وغير ذلك من أنواع المعبودات التي يتخذها المشركون، أم من له صفات الكمال في ذاته وأفعاله فلا شريك له في شيء من ذلك، بل هو القهار الذي انقادت الأشياء لقهره وسلطانه ووصفه،

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٥٢٢ وما بعدها.

خير من الآلهة المتفرقة التي هي مجرد أسماء لا كمال لها، ولا فعال لديها[1].

وعلى هذا فإنَّ الداعية ينبغي أن يكون على أهبة تامَّة لبذر الدعوة كلما واتته فرصة، وأن يحرص تمام الحرص على الابتعاد عن تضييع أي مناسبة صالحة لتقديم جهد مقدور لخدمة الإسلام.



(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن السعدي، تحقيق: محمَّد زهدي النجار، ٤/ ٢٧.

خامسًا: ترتيب الأولويات

يحسن بالداعية أن يعنى بالأهم فالمهم فالأقل أهمية، يتضح ذلك جليًّا في قول أمِّ المؤمنين عائشة ﵂: (إنَّ أوَّل ما نزل منه - أي القرآن - سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب النَّاس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدًا)[1].

وقد أشارت أم المؤمنين عائشة ﵂ إلى الحكمة في ترتيب التنزيل، وأنَّ أول ما نزل من القرآن: الدعوة إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام[2].

وينبغي أن يعنى الداعية بتقديم ما هو أصل على ما هو فرع، فيقنع الناس به، ويحملهم على قبوله، فإذا ما استقر في القلوب، واستجابت له النفوس، انتقل إلى ما هو دون ذلك من أمور متأسيًا برسوله الله ﷺ حينما أنفق ثلاث عشرة سنة من عمره في معالجة قضايا العقيدة، وبعض العبادات، لينتقل بعد ذلك إلى معالجة ما هو فرع من السلوك العملي، وهذا الأمر يتجلى في وصية النبي الكريم ﷺ لمعاذ بن جبل ﵁ حين بعثه إلى اليمن، فقال له: (إنَّك تأتي قومًا أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد في

(١) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن ٦/ ١٢٢ -١٢٣، رقم ٤٩٩٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٩/ ٤٠

فقرائهم فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتَّقِ دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب)[1].

ولقد وضَّح رسول الله ﷺ الأولويات في حديثه الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها: قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)[2].

والداعية الحكيم هو الذي يراعي الأولويات من جهة، ويراعي عدم ملالة النَّاس من جهة أخرى، عن شقيق قال: كنَّا جلوسا عند باب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ننتظره، فمربنا يزيد بن معاوية النخعي، فقلنا: أعلمه بمكاننا، فدخل عليه، فلم يلبث أن خرج علينا عبد الله رضي الله عنه، فقال: إني أخبركم بمكانكم، فما يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهية أن أملكم، إن رسول الله ﷺ(كان يتخوَّلنا بالموعظة في الأيام مخافة السآمة علينا)[3].

وتقول عائشة رضي الله عنها لابن أبي السائب - قاص أهل المدينة -(قص على الناس في طل جمعة فإن أبيت فاثنتين، فإن أبيت فثلاثة، فلا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة ٢/ ١٣٣ رقم ١٣٩٥، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين، وشرائع الإسلام، ١/ ٥٠ رقم ١٩، وللاستزادة انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، للمؤلف ٥٨٦ وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: أمور الإيمان، ١/ ١٠ رقم ٩، وأخرجه مسلم واللفظ له في كتاب: الإيمان، باب: عدد شعب الإيمان، وأفضلها، وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، ١/ ٦٣ رقم ٥٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ١/ ٢٩ رقم ٦٨، وأخرجه مسلم واللفظ له في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: الاقتصاد في الموعظة ٤/ ٢١٧٢ رقم ٢٨٢١.

تمل الناس هذا الكتاب، ولا ألقينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم، فتقطع عليه حديثهم، ولكن أتركهم، فإذا جروك عليه، وأمروك به فحدثهم)[1].

ولنا في رسول الله ﷺ، الأسوة الحسنة، فإنه كان يركز في دعوته - وخاصة مع المدعوين الجدد - على العناية بترتيب الأولويات.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء. فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية، فيسأله ونحن نسمع. فجاء رجل من أهل البادية، فقال: يا محمَّد! أتانا رسولك فزعم لنا أنَّك تزعم أنَّ الله أرسلك؟ قال: «صدق». قال: فمن خلق السماء؟ قال: «الله» قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله» قال: فمن نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟ قال: «الله». قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال، آلله أرسلك؟ قال: «نعم»، قال: وزعم رسولك أنَّ علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا، قال: «صدق». قال: فبالذي أرسلك. آلله أمرك بهذا؟ قال: «نعم». قال: وزعم رسولك أنَّ علينا زكاةً في أموالنا. قال «صدق» قال: فبالذي أرسلك. آلله أمر ك بهذا؟ قال «نعم» قال: وزعم رسولك أنَّ علينا صومَ شهر رمضان في سنتنا. قال: «صدق». قال: فبالذي أرسلك، الله أمرك بهذا؟ قال: «نعم». قال: وزعم رسولك أنَّ علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً. قال: «صدق». قال، ثم ولى. قال: والذي بعثك بالحق! لا أزيد عليهنَّ ولا أنقص منهنَّ. فقال النبي ﷺ: «لئن صدق ليدخلن الجنة»[2].

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٢١٧ رقم ٢٥٨٦٢، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره، الموسوعة الحديثية ٤٣/ ٢٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: السؤال عن أركان الإيمان، ١/ ٤١ - ٤٢، رقم ١٢.

سادسًا: إنزال الناس منازلهم

من الأمور المهمَّة التي ينبغي على الداعية أن يراعيها، وينتبه إليها، ويحرص على تطبيقها: إنزال النَّاس منازلهم، ومعاملتهم على حسب أقدارهم، وما ذاك إلا لتأليف قلوبهم، وجذب نفوسهم وشدهم إلى الإسلام، لاسيَّما إذا كان المدعو حديث عهد بالإسلام، أو كان ذا منزلة مرموقة في الناس، أو كان ذا نعمة معروفا بها، أو كان كافرا يرجى هدايته، أو كان ذا فسق يؤمل تقواه، أو كان ذا شيبة بلغ من الكبر عتيًّا.

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ من إجلال الله إكرامَ ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط)[١].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال النبي ﷺ: (ليس منَّا مَن لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا)[٢].

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (ليس منَّا من لم يرحم صغيرنا، ولم يعرف شرف كبيرنا)[٣].

وعن عائشة قالت: (أمرنا رسول الله ﷺ أن تنزل النَّاس منازلهم)[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: لأدب، باب: في تنزيل الناس منازلهم، صحيح سنن أبي داود، الألباني، ٣/ ٩١٨ رقم ٤٠٥٣.

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب: البر والصلة، باب: ما جاء في رحمة الصبيان، صحيح سنن الترمذي، الألباني، ٢/ ١٧٩ رقم ٢٠٠١.

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب: البر والصلة، باب: ما جاء في رحمة الصبيان، صحيح سنن الترمذي، الألباني، ٢/ ١٧٩ رقم ٢٠٠٢.

(٤) أخرجه مسلم في: المقدمة ١/ ٦.

وعن ميمون بن شبيب أن عائشة ﵂ مرَّ بها سائل فأعطته كسرة، ومرة بها رجل عليه ثياب وهيئة فأقعدته فأكل، فقيل لها في ذلك: فقالت: قال: رسول الله ﷺ: (أنزلوا النَّاس منازلهم)[١].

ومن خلال هذه النصوص نستنتج أنَّ على المسلمين عامَّة، والدعاة بشكل خاص، أن يعرفوا للناس فضلهم، ويؤدوا إليهم حقهم، وينزلوهم منازلهم، عسى أن يملكوا قلوب مدعويهم ويجذبوا إليهم نفوسهم، فيقبلوا هدي الله عزَّ وجلَّ[٢].

ولقد سطر النبي الكريم ﷺ - وهو قدوة الدعاة - أروع الأمثلة العملية في إنزال الناس منازلهم ومن ذلك:

١-الاهتمام بسيد القوم والقيام له:

عن أبي سعيد الخدري ﵁ أن سعد بن معاذ، سيد الأوس ﵁، لما دنا من المسجد، قال النبي ﷺ للأنصار: (قوموا إلى سيدكم. - أو خيركم -)[٣].

٢ - إشباع حب الفخر فيمن يتطلع إليه:

ذكر ابن هشام، وغيره، أنَّ العبَّاس ﵁ أتى النبيَّ ﷺ بعد أن أسلم أبو سفيان، وقال يا رسول الله: إنَّ أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر،

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: في تنزيل الناس منازلهم، ضعيف سنن أبي داود، الألباني، ص٤٧٧، رقم ١٠٣٢.

(٢) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، د. محمَّد أبو الفتح البيانوني، ١٦٦، كيف يدعو الداعية، عبد الله ناصح علوان، ١٥٦.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: مناقب الأنصار، باب: مناقب سعد بن معاذ ﵁، ٤٧/ ٢٧٤ رقم ٣٨٠٤، وأخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: جواز قتال من نقض العهد، وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم، ٣/ ١٣٨٨ - ١٣٨٩، رقم ١٧٦٨.

فاجعل له شيئا، قال: نعم (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن...)[1].

وقد ثبت هذا في صحيح الإمام مسلم في قصَّة فتح مكَّة، في الحديث الطويل، وجاء (..من دخل دار أبي سفيانَ فهو آمن ومَن ألقى السلاح فهو آمن ومَن أغلقَ بابه فهو آمن)[2].

٣ - مداراة السفهاء عند اللقاء بهم:

عن عائشة ﵂ قالت: (استأذن على النبي ﷺ رجل فقال ائذنوا له فبئس ابن العشيرة، أو بئس أخو العشيرة فلما دخل ألان له الكلام فقلت له يا رسول الله قلت ما قلت ثمَّ ألنت له في القول فقال أي عائشة إنَّ شرَّ النَّاس منزلة عند الله من تركه، أو ودعه - النَّاس اتقاء فحشه)[3].

ويذكر البخاري، عن أبي الدرداء ﵁ قوله: (إنَّا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم)[4].

٤ - شد القلوب إلى الإسلام بالعطاء:

عن أنس ﵁ (أنَّ رجلاً سأل النبيَّ ﷺ غنمًا بين جبلَين فأعطاه إيَّاه فأتى قومه فقال أي قوم أسلموا فوالله إنَّ محمَّداً ليعطي عطاء من لا يخاف الفقر. فقال أنس إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتَّى يكون الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها)[5].

---

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام ٤/ ٤٦، تهذيب سيرة ابن هشام، عبد السلام هارون، ٢٨٦.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: فتح مكة ٣/ ١٤٠٧ -١٤٠٨، رقم ١٧٨٠.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: المداراة مع الناس، ٧/ ١٣٣ رقم ٦١٣١.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب : الأدب، باب: المداراة مع الناس، ٧/ ١٣٣ رقم الباب ٨٢.
(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١٠٧ - ١٠٨، رقم ١٢٠٧٠، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: الفضائل، باب: ما سئل رسول الله فعي، شيئا قط فقال: لا، وكثرة عطائه ٤/ ١٨٠٦

سابعًا: المخاطبة على قدر الفهم

من لوازم الداعية أن يعنى بمخاطبة النَّاس على قدر فهمهم وثقافتهم، قال علي بن أبي طالب ﷺ : (حدِّثوا النَّاس بما يعرفون أتحبُّون أن يكذَّب الله ورسوله)[١].

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: (ما أنت بمحدِّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)[٢].

وهذا الإمام الشافعي ﷺ يقول: (لو أنَّ محمَّد بن الحسن كان يكلمنا على قدر عقله ما فهمنا عنه، ولكنَّه كان يكلمنا على قدر عقولِنا فنفهمه)[٣].

ونقرأ في سنَّة رسول الله ﷺ أنَّ جبريل ﷺ جاء إلى رسول الله ﷺ في صورة رجل من الصحابة هو دحية بن خليفة الكلبي ﷺ[٤]؛ ليختصر المسافة الشاسعة بين صورة الملك العظيمة في الخلقة، وبين صورة الإنسان، ليتسنى للناس أن يأنسوا به، ويقتربوا منه، وبالتالي ليفهموا ما يقول.

عن عبد الله بن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: (كان جبريل ﷺ يأتي النبي ﷺ في صورة دحية)[٥].

رقم ٢٣١٢، وللاستزادة انظر: كيف يدعو الداعية، عبد الله ناصح علوان ١٥٤ وما بعدها.

(١) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ١/ ٤٦ رقم الباب٤٩.

(٢) أخرجه مسلم في: المقدمة، باب: النهى عن الحديث بكل ما سمع، ١/ ١١ رقم ٥.

(٣) انظر: الآداب الشرعية والمنح لمرعية، محمَّد بن مفلح المقدسي الحنبلي، ٢/ ١٦٥.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٢/ ٥٥٠ – ٥٥٦، الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤/ ٢٤٩ – ٢٥١، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ١/ ٤٧٣– ٤٧٤.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٢/ ١٠٧ رقم ٥٨٥٧، وقال العلامة: أحمد شاكر إسناده صحيح، ٨/ ١٣٢.

إنَّ الدعوة إلى الله ينبغي أن: (تعرض على نحو يوائم طباع الناس، وباللغة التي يفهمونها، على لسان رجل منهم، يخاطبهم بما يلامس أفئدتهم ويوافق أغراضهم؛ لتحقيق الغاية من وجودهم)[1].

فعندما أراد رسول الله ﷺ قومه ببلاغ دعوته صعد على الصفا، ثم نادى: (يا صباحاه) فاجتمع النَّاس إليه بين رجل يجيء إليه، وبين رجل يبعث رسوله.

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[2]. ورهطك المخلصين[3]، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف(يا صباحاه) فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمَّد فاجتمعوا إليه، فقال: (أرأيتكم لو أخبرتكم أنَّ خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. قال: فقال أبو لهب: تبا لك أما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزلت هذه السورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾)[4].

ومع أن هذه الكلمة: (يا صباحاه) اصطلاح جاهلي، وعرف إسلامي، إلا أنَّ رسول الله ﷺ، خاطبهم باللغة التي يألفونها، وليس ذلك من المداهنة في شيء، بل هي من مخاطبته النَّاس بما يعرفون،

(١) انظر: نحو أسلوب أمثل للدعوة الإسلامية، د، محمود عمارة ٢٧٣.
(٢) [سورة الشعراء: ٢١٤].
(٣) قال الإمام النووي: الظاهر أن هذا كان قرآنا أنزل ثم نسخت تلاوته، ولم تقع هذه الزيادة عند البخاري، شرح صحيح الإمام مسلم، النووي ٣/ ٨٢.
(٤) [سورة المسد: ١ – ٥].

بل هي دليل على استخدام الأسلوب المناسب في الدعوة، ومن باب مخاطبة الناس على قدر فهمهم وتفكيرهم وعادتهم.

إنها كانت صيحة القوم في ساعة الخطر، وكانت تصحب هذه الكلمة تصرفات جاهلية لا يقرها الإسلام، فقد كانوا يجدعون أنوفهم، ويتجردون من ثيابهم، ويحولون رحالهم، ويشقون قمصانهم[1].

إلا أنَّ رسول الله ﷺ لم يتابعهم في بقية ما اعتادوه في مثل هذه الظروف، فلم يشق قميصه، ولم يجدع أنف بعيره، لكنَّه ﷺ: استعمل الطريقة فقط، بالقدر اللازم لجمع النَّاس، يعني بمقدار، وإلى حين.

ومما جاء في سيرة النبيِّ ﷺ ويدل على مخاطبة الناس على قدر الفهم ما جاء عن الأسود بن يزيد النخعي، قال: قال لي ابن الزبير: كانت عائشة رضي الله عنها تسر لك كثيرا، فما حدثتك في الكعبة؟ قلت: قالت لي: قال النبي ﷺ: (يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم - قال ابن الزبير بكفر - لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين، باب يدخل الناس منه، وباب يخرجون، ففعله ابن الزبير)[2].

ولم يكن الداعية غير مسدد وموفق حين يكون في بيئة لا يعرف أهلها شيئا من أمور دينهم، فيأتي إليهم ليحدثهم عن المادية والجدلية، أو الوجودية، مما لم يسمعوا به، ولم تبلغه عقولهم، أو يأتي مجموعة

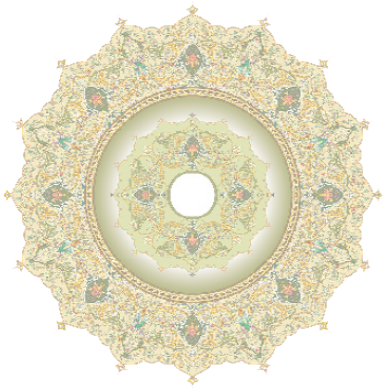
(١) وردت بعض هذه الأمور في وصف: ضمضم الغفاري حين أرسله أبو سفيان إلى مكة، انظر: السيرة النبوية، ابن كثير، ٢/ ٣٨٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من ترك بعض الأخبار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه، ١/ ٤٦ رقم ١٢٦، وأخرجه مسلم في كتاب: الحج، باب: نقض الكعبة وبنائها، ٢/ ٩٦٨ رقم ١٣٣٣، وأخرجه النسائي في كتاب: الحج، باب: الكعبة، صحيح سنن النسائي، لألباني، ٢/ ٦١٠ رقم ٢٧١٨.

لا تؤمن بكروية الأرض مثلاً فيسفه أحلامهم، ويرميهم بالجهل المطبق، والضلال المبين.

إنَّ عليه في مثل هذه الحالة أن يتحدث إليهم في التوحيد، ومكارم الأخلاق، وأحكام العبادات مما هو أهم، ومما تبلغه عقولهم، ثم بعد ذلك يتدرج بهم شيئا فشيئا، حتى يصل معهم إلى نهاية المسار، لينقلهم إلى الإقرار بحقائق العلم الحديث التي لا تتعارض مع حقائق الدِّين[١].

ينبغي أن يراعي الدعاة في حديثهم إلى النَّاس بين العالم والجاهل، وبين الأمي والمتعلم، والحضري والريفي[٢].



(١) انظر: كيف يدعو الداعية، عبد الله ناصح علوان، ٣٩ وما بعدها.
(٢) انظر: الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمين عبد العزيز، ١٨١ وما بعدها.

ثامنًا: استشعار فضل الدّعاة ومكانتهم

ينبغي على الداعية، وهو يسير في طريق الدعوة الطويل الموحش المليء بالأشواك والعقبات، أن يتذكر دائما في يسره وعسره فضل دعوته، وقيمتها ومنزلتها عند الله سبحانه، وما وعد الله سبحانه به دعاته الصادقين؛ ليزدادوا خيراً ونشاطاً وتنافسًا في ميدان الدعوة ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[1]. وليفرحوا بفضل الله ومن وكرمه ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2].

فينبغي على الداعية أن يتذكر تفضل الله ومنته عليه بأن هداه للإسلام ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[3]. وأن جعله ممن أنار لله بصيرته، وتحمل قسطا من أمانة تبليغ هذا الدين، وتحمل شيئًا من المسؤولية ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[4]. ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[5].

---

(١) [سورة المطففين: ٢٦].
(٢) [سورة يونس: ٥٨].
(٣) [سورة القصص: ٥٦].
(٤) [سورة الأحزاب: ٧٢].
(٥) [سورة يوسف: ١٠٨].

ومما ميز الله به الدعاة عن غيرهم ما يلي:

١ - الدعاة هم خير الناس:

لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: (خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام)[٢].

وعن درة بنت أبي لهب ﷺ قالت: (قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال يا رسول الله أي الناس خير؟ فقال ﷺ: خير الناس أقرؤهم وأتقاهم وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأوصلهم للرحم)[٣].

٢ - الدعاة هم الشهداء على الناس:

لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٤].

الوسطية: تعني العدالة والخيرية، فقد جعل الله أمة محمَّد فجي، وسطا لتشهد على الأمم يومَ القيامة، والجميع معترفون لهذه الأمَّة

---

(١) [سورة أل عمران: ١١٠].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: كنتم خير أمة أخرجت للناس، آل عمران: ١١٠، ٥/ ٢٠١ رقم ٤٥٥٧.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٤٣٢ رقم ٢٧٤٧٤، وللاستزادة انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٤٢٠ وما بعدها.

(٤) [سورة البقرة: ١٤٣].

بالفضل، عن أبي سعيد الخدريِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يدعى نوح ﷺ يومَ القيامة، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه، فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، أوما أتانا من أحد. قال: فيقال: لنوح من يشهد لك؟ فيقول: محمَّد وأمته؟ قال: فذلك قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1]، قال: الوسط: العدل، قال: فيدعون فيشهدون له بالبلاغ، قال: ثم أشهد عليكم)[2].

فأمَّة الإسلام هي الأمَّة الداعية الوسط، التي تشهد يوم القيامة على أنها بلغت الأمم رسالة الإسلام، وأقامت بينها موازين العدل والقسط[3].

٣ - الدعاة هم المفلحون في الدنيا والآخرة:

لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[4].

فالفلاح مختص بمن قام بواجب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[5].

---

(١) [سورة البقرة: ١٤٣].

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٣٢ رقم ١٣٠١، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: وكذلك جعلنكم أمة وسطا لتكونوا، البقرة: ١٤٣، ٥/ ١٧٦- ١٧٧، رقم ٤٤٨٧، وللاستزادة انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٢٠٣ وما بعدها.

(٣) فضل الدعوة والداعية، عبد الله ناصح علوان، ٥٦.

(٤) [سورة آل عمران: ١٠٤].

(٥) انظر: فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، ١/ ٤٥٠، ١/ ٣٦٩

وهذه الأمة المحمدية الداعية إلى الخير هي مفلحة في الدنيا؛ لكونها نفذت منهج الله في الدعوة والجهاد والعمل في سبيل الإسلام، ومفلحة في الآخرة؛ لكونها بلغت في الدنيا الرسالة، وأدت الأمانة ونصحت الأمة[١].

٤ - الدعاة أحسن الناس حديثًا:

لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

قال القرطبي ﷺ: (أي كلام أحسن من القرآن، ومن أحسن قولا من الداعي إلى الله وطاعته).

قال ابن سيرين ﷺ: (هو رسول الله محمَّد ﷺ).

وكان الحسن إذا تلا هذه الآية يقول: هذا رسول الله، هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا والله أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله[٣].

وقال الشيخ السعدي ﷺ: (أي لا أحد أحسن قولًا؛ أي كلامًا وطريقة وحالا ممن دعا إلى الله بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين، والمعرضين، ومجادلة المبطلين بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها، والحث عليها وتحسينها، مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصًا من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه)[٤].

---

(١) فضل الدعوة والداعية، عبد الله ناصح علوان، ٥٨ - ٥٩.

(٢) [سورة فصلت: ٣٣].

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٥/ ٣٦٠.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن السعدي تحقيق: محمَّد زهدي النجار، ٦/ ٥٧٥ -٥٧٦.

٥ - الدعاة يستغفر لهم أهل السماء والأرض:

لما رواه أبو أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النَّملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير)[١].

٦ - الدعاة لا تنقطع أجورهم:

لما رواه أبو هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (مَن دعا إلى هدى كان له مِن الأجر مثل أجور مَن تبعه لا ينقص ذلك مِن أجورهم شيئًا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا)(٢).

ولما رواه أبو مسعود الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله)(٣).

٧ - الدعاة في هديهم خير لهم من الدنيا وما فيها:

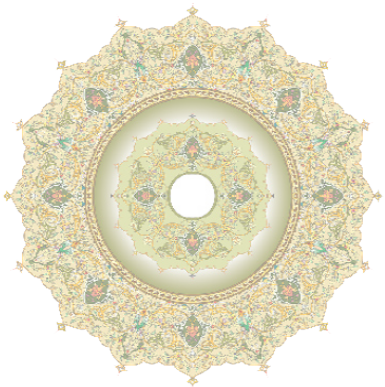
لما رواه سهل بن سعد ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال يومَ خيبر: «لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه. قال فبات النَّاس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها. فلما أصبح النَّاس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول الله. قال: «فأرسلوا إليه فأتوني به». فلما جاء بصق في عينيه

(١) أخرجه الترمذي في أبواب: العلم، باب: في فضل الفقه على العبادة، صحيح سنن الترمذي، الألباني، ٢/ ٣٤٣ رقم ٢٨٣٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ٤/ ٢٠٦٠ رقم ٢٧٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته أهله بخير، ٣/ ١٥٠٦ رقم ١٨٩٣.

ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: (انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثمَّ ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم)[1].



(١) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب ﷺ، ٤/ ٢٤٦ – ٢٤٧، رقم ٣٧٠١، وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، ٤/ ١٨٧٢ رقم ٢٤٠٦، وللاستزادة انظر: فضل الدعوة والداعية، عبد الله ناصح علوان، ٥٣ – ٦٨.

الخاتمة

إنَّـه هدايـة القلـوب، الهدايـة المسـتوجبة لقبـول الحـق والإذعـان لـه، وهـي مـا تسـمى بهدايـة التوفيـق والإلهـام، خاصـة بـالله ﷻ.

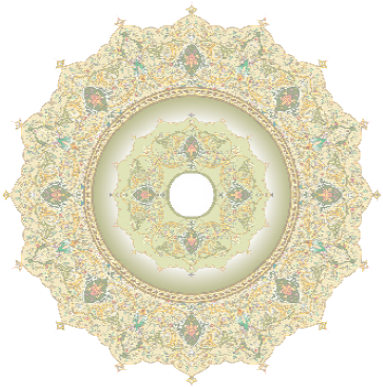
وعلـى الداعيـة السـير بخطـى حثيثـة فـي هدايـة النـاس: هدايـة الدلالـة والإرشـاد ودعوتهـم إلـى تـرك الباطـل وتـذوق الخيـر، ومِـن ثَـمَّ قبولـه والعمـل بـه وحملـه للآخريـن.

وعلـى الداعيـة أن يحبـب الآخريـن فـي الإسـلام، وأن يجعـل مـن نفسـه محـلا للقبـول؛ ليقيـم لـه الآخـرون وزنًـا وقيمة.

إنَّ صفـات الداعيـة كثيـرة وعديـدة، وإنَّ رسـالة الإسـلام جـاءت لاسـتصلاح هـذا الإنسـان فـي كل مـكان.

نسـأل الله سـبحانه أن يهيـئ لأمَّـة الإسـلام أمـراً رشـداً، يعـزُّ فيـه دعـاة الخيـر ويـذل فيـه دعـاة الباطـل.

وصلى الله على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين



الفهرس

الحديث

تقديم	٣
مقدمة موجزة حول السنَّة النبويَّة	٤
التعريف بالسنَّة النبويَّة	٤
أهمية السنَّة ومنزلتها	٦
أهميَّة تعلُّم السنَّة النبويَّة وثمرة ذلك	٧
التعريف بأمهات كتب السنَّة النبويَّة	١٠
مدخل	١٠
من أبرز كتب السنَّة النبويَّة	١٢
١-كتاب الموطأ	١٢
٢- مسند الإمام أحمد	١٤
٣- الجامع الصحيح للبخاري	١٥
٤- المسند الصحيح للإمام مسلم	١٦
٥- المجتبى «السنن الصغرى » للنسائي	١٧
٦- السنن لأبي داود	١٨
٧- الجامع للترمذي	١٩
٨- السنن لابن ماجة	٢٠
الموضوعات المقررة	٢١
١- النيَّة أو الإخلاص	٢١
سبب الحديث	٢٢
أهمية الحديث	٢٢

توجيهات الحديث	٢٣
٢- لزوم السنَّة والتحذير من البدع	٢٦
أهمية الحديث	٢٧
توجيهات الحديث	٢٧
٣- فضل الذكر	٢٩
أهمية هذه الأحاديث	٣٠
مسائل الأحاديث	٣٠
أنواع الذكر من حيث وقته	٣٢
نماذج للأذكار المقيدة	٣٣
٤- فضل السنن الرواتب وقيام الليل وصلاة الوتر	٣٥
أهميَّة هذه الأحاديث	٣٦
مسائل الأحاديث	٣٦
٥- فضل الصدقة	٣٩
أهمية هذين الحديثين	٤٠
مسائل الحديث	٤٠
٦- فضل الصيام	٤٣
مسائل الحديث	٤٤
٧- أهميَّة الأخلاق في الإسلام	٤٧
أهمية هذه الأحاديث	٤٨
توجيهات الأحاديث	٤٨
٨- من آداب الطعام	٥٢
أهمية الحديث	٥٣

مسائل الحديث	٥٣
٩- من آداب اللباس	٥٦
أهمية الحديثين	٥٧
توجيهات الحديثين	٥٧
١٠- من آداب النوم	٦٠
أهمية الحديث	٦١
توجيهات الحديث	٦١
١١- من آداب المجلس	٦٣
أهمية الحديث	٦٤
توجيهات الحديث	٦٤
١٢- حق الطريق	٦٧
أهمية الحديث	٦٨
توجيهات الحديث	٦٨
١٣- من آداب البيوت	٧٠
أهمية الحديثين	٧١
توجيهات الحديثين	٧١
١٤- بر الوالدين والنهي عن عقوقهما	٧٥
أهمية الحديثين	٧٦
توجيهات الحديثين	٧٦
١٥- الحث على صلة الرحم	٨٠
أهمية الحديثين	٨١
توجيهات الحديثين	٨١

١٦- من حقوق الجار في الإسلام	٨٣
أهمية الحديثين	٨٤
توجيهات الحديثين	٨٤
١٧- من حقوق المسلم	٨٧
أهمية الحديث	٨٨
مسائل الحديث	٨٨
١٨- الأخوة في الدين والنهي عن القطيعة بين المسلمين	٩٣
أهمية الأحاديث	٩٥
مسائل الأحاديث	٩٥
١٩- التعامل مع الكفار	١٠٠
أهمية الحديثين	١٠١
توجيهات الحديثين	١٠١
٢٠- المحافظة على البيئة والممتلكات العامة	١٠٤
أهمية هذه الأحاديث	١٠٥
توجيهات الأحاديث	١٠٥
الخاتمة	١٠٨
فهرس المراجع	١٠٩

الفقه

تقديم	١١٧
مقدمة في أهميَّة الفقه	١١٨
الطهارة	١٢٠
المياه وأقسامها	١٢١

آداب قضاء الحاجة	١٢٣
الوضوء	١٢٥
الغسل	١٢٩
أنواع الغسل	١٣٠
أحكام الجنابة	١٣٠
صفة الغسل	١٣٢
التيمم	١٣٣
المسح على الحوائل	١٣٧
أولاً: المسح على الخفين والجوربين	١٣٨
ثانيًا: المسح على الجبائر	١٣٩
ثالثًا: الفرق بين المسح على الخفين والمسح على الجبائر	١٣٩
الطهارة من النجاسة	١٤١
الدماء الطبيعية	١٤٤
سنن الفطرة	١٤٧
الصلاة	١٥٠
أنواع الصلاة	١٥٠
حكم تارك الصلاة	١٥٣
الأذان والإقامة	١٥٤
صفة الأذان والإقامة	١٥٥
أذكار الأذان والإقامة	١٥٦
شروط الصلاة	١٥٧
أ-آداب التوجه للمسجد	١٦٢

ب- صفة الصلاة	١٦٣
أركان الصلاة	١٦٦
صلاة الجماعة	١٦٨
أحكام الإمامة والائتمام	١٧٠
مبطلات الصلاة ومكروهاتها	١٧٣
صلاة التطوع	١٧٥
أنواع صلاة التطوع	١٧٥
صلاة الكسوف	١٨٠
صلاة الاستسقاء	١٨١
صلاة الاستخارة	١٨١
أوقات النهي	١٨٣
سجود السهو	١٨٦
صلاة أهل الأعذار	١٨٨
أ- الأعذار المبيحة للتخلف عن الجمعة والجماعة	١٨٨
ب- كيفية صلاة العاجز عن أركان الصلاة أو بعضها	١٨٩
ج- جمع الصلاة وقصرها	١٩٠
صلاة الخوف	١٩١
صلاة الجمعة	١٩٢
صلاة العيدين	١٩٥
الجنائز	١٩٨
الزكاة	٢٠٦
حكمها ومكانتها	٢٠٦

شروط وجوب الزكاة	٢٠٨
زكاة الدين	٢٠٩
الأموال الزكوية	٢١٠
زكاة الأوراق النقدية	٢١٣
زكاة الأسهم والسندات	٢١٤
مصارف الزكاة	٢١٦
إخراج الزكاة	٢١٧
زكاة الفطر وصدقة التطوع	٢١٨
صدقة التطوع	٢١٩
الصيام	٢٢٠
صوم رمضان	٢٢٠
شروط وجب الصوم	٢٢١
مفسدات الصوم	٢٢٢
سنن الصوم ومكروهاته	٢٢٤
صيام التطوع	٢٢٦
الأيام المنهي عن صيامها	٢٢٧
أحكام القضاء	٢٢٨
فضيلة العشر الأواخر من رمضان وليلة القدر	٢٢٨
الاعتكاف	٢٣٠
الحج والعمرة	٢٣٢
تعريف الحج والعمرة	٢٣٢
شروط وجوب الحج والعمرة	٢٣٤

الإحرام ومواقيته ومحظوراته	٢٣٥
أنواع الأنساك	٢٣٨
صفة العمرة	٢٣٩
صفة الحج	٢٤٠
آداب زيارة المسجد النبوي الشريف	٢٤٣
الهدي والأضحية والعقيقة	٢٤٥
البيع	٢٤٨
أركان البيع	٢٤٨
شروط البيع	٢٤٩
القرض	٢٥٠
الضمان	٢٥١
الشركة	٢٥١
الإجارة	٢٥٣
الوديعة	٢٥٤
الإتلافات	٢٥٤
الغصب	٢٥٦
الصلح	٢٥٧
العارية	٢٥٨
اللقطة	٢٥٩
النكاح	٢٦١
المحرمات في النكاح	٢٦٤
الحقوق الزوجية	٢٦٨

الطلاق	٢٧١
الرَّجْعة	٢٧١
الأيمان	٢٧٣
الأطعمة	٢٧٧
الطعام المباح	٢٧٧
الأطعمة المحرمة	٢٨٠
الأطعمة المسكوت عنها	٢٨٣
آداب الأكل	٢٨٤
أحكام الذبائح	٢٨٦
حكم ذبائح أهل الكتاب	٢٨٨
أحكام اللباس	٢٨٩
لباس المسلم	٢٨٩
الأصل في اللباس	٢٩٠
الألبسة المحرمة	٢٩٢

العقيدة

تقديم	٢٩٧
أولاً: مقدمة عن عقيدة التوحيد	٢٩٨
ثانيًا: التعريف بالدين ومراتبه	٣٠٢
الإسلام	٣٠٤
الإسلام حقيقته وأركانه	٣٠٤
التعريف بأركان الإسلام	٣٠٦
١ – الشهادتان	٣٠٦

٢- الصلاة	٣١٠
٣- الزكاة	٣١١
٤- صيام رمضان	٣١٢
٥- الحج	٣١٢
الإيمان	٣١٣
١- حقيقة الإيمان	٣١٣
٢- أركان الإيمان	٣١٤
- الإيمان بالله	٣١٦
- الإيمان بالملائكة	٣١٨
- الإيمان بالكتب	٣٢١
- الإيمان بالرسل	٣٢٥
- الإيمان باليوم الآخر	٣٣٠
- الإيمان بالقدر	٣٣٦
الإحسان	٣٣٩
١- حقيقة الإحسان ومرتبته	٣٣٩
٢- منزلة الإحسان وثمراته	٣٣٩
نواقض الإسلام	٣٤١
ما ينافي كمال التوحيد	٣٤٢

صفات الداعية

تقديم	٣٤٧
مدخل	٣٤٨
أولاً: تعريف الصفات	٣٤٩

ثانيًا: تعريف الداعية	٣٤٩
ثالثًا: حاجة الأمة إلى الدعوة	٣٥٢
الفصل الأول: الصفات الأساسية	٣٦٠
الإيمان	٣٦٠
قوة الصلة بالله	٣٦٣
الإكثار من ذكر هادم اللذات وقصر الأمل	٣٦٦
الإخلاص	٣٦٨
العلم	٣٧٤
استقامة السلوك	٣٧٨
القدوة الحسنة	٣٨١
الاعتزاز بالإسلام	٣٨٥
الحِلم	٣٨٨
الرفق	٣٩٢
التواضع	٣٩٥
التضحية	٣٩٩
صحبة الأخيار	٤٠٣
الغيرة	٤٠٦
الأمل والثقة في نصر الله	٤٠٨
الصدق	٤١٠
التيسير	٤١٣
الصبر	٤١٦
الفصل الثاني: الصفات اللازمة	٤٢٦

أولاً: التخطيط للدعوة	٤٢٧
ثانيًا: التجدد في الأساليب	٤٣٠
ثالثًا: الإلمام بفنون القول والتبليغ	٤٣٧
ما يحسن بالداعية العناية به	٤٣٩
رابعًا: انتهاز الفرص	٤٤١
خامسًا: ترتيب الأولويات	٤٤٥
سادسًا: إنزال الناس منازلهم	٤٤٨
سابعًا: المخاطبة على قدر الفهم	٤٥١
ثامنًا: استشعار فضل الدّعاة ومكانتهم	٤٥٥
ما يميز الله به الدعاة عن غيرهم	٤٥٦
الخاتمة	٤٦١
الفهرس	٤٦٢